عطا علي محمد شحاته ريّه

اليهود في بلاد المغرب الأقصى

في عهد المرينيين والوطاسيين

اليهود في بلاد المغرب الأقصى
في عهد المرينيين والوطاسيين

- اليهود في بلاد المغرب الأقصى
في عهد المرينيين والوطاسيين
- عطا علي محمد شحاته ريّه
- الطبعة الأولى 1999
- دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع
سوريـة - دمشـق - برامكـة
ص. ب: 2229 ها،فا: 2126326
- دار الشفيق للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق
ص. ب: 1484 ، ها: 4447395

- التنضيد والإخراج : دار الكلمة

عطا علي محمد شحاته ريّه

اليـهـود

في بلاد المغرب الأقصى

في عهد المرينـيين والوطاسـيين

الإهداء

إلى كل من يلتمس طريقاً لكي يسخر طاقاته البناءة في سبيل تنقية التاريخ من الشوائب وتطهيره من الأدران من أجل رفعة أمتنا الخالدة....

عطا أبو ريه

تقديم

هذا الكتاب دراسة متخصصة استوفت منهج البحث التاريخي، فقد استقصى صاحبها كل ما أتيح له من مصادر ومراجع، ليخرج بهذه الدراسة الممتعة عن موضوع هام لم يسبقه إليه أحد من الباحثين في حدود مانعلم.

وهذا الموضوع هو حديثٌ عن تاريخ يهود المغرب الأقصى في عهد دولتي المرينيين والوطاسيين في فترة بالغة الحساسية في تاريخ هذه المنطقة. فقد كان الصراع محتدماً بين ممالك إسبانيا النصرانية وبين ممالك المغرب الإسلامي، بدءاً من عهد المرابطين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد. فهل كان ليهود المغرب الأقصى دور في هذا الصراع في فترة البحث؟ وماهو طبيعة هذا الدور؟ وماهو دورهم داخل بلاد المغرب الأقصى؟ أقصد دورهم السياسي والحضاري؟

وقد أُجابت هذه الدراسة أو هذا الكتاب على هذه التساؤلات وغيرها في حيدة تاريخية، فقد فسر لنا علاقة المرينيين والوطاسيين بيهود المغرب الأقصى، وكشف عن تسامح هؤلاء الحكام وكذلك الرعية مع هؤلاء اليهود، الذين كانوا في الواقع فصيلاً من المواطنين الذين كانوا يعيشون وقتذاك على أرض هذه البلاد.

ولذلك نراهم وقد شاركوا في الحياة السياسية مشاركة واسعة، فصار منهم الوزراء والسفراء والحجاب وكبار الإداريين. كما أنهم شاركوا في الحياة الاجتماعية داخل طوائفهم وداخل أحيائهم التي اختصوا أنفسهم بسكناها،

سواء في إقليم فاس أو في سائر أقاليم المغرب الأقصى. وقد تحدث الباحث عن نظام حياتهم الاجتماعية، فأشار إلى جماعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم وأعيادهم. كما تناول الباحث حياتهم الاقتصادية وآثارهم في التجارة الداخلية وتجارة المغرب الأقصى الخارجية. كما عرض الباحث لحياتهم الثقافية ودراساتهم في ميادين شتى؛ سواء فيما يتعلق بالتراث اليهودي أم في سائر العلوم الأخرى من فلك وفلسفة ومنطق وموسيقى وطب وصيدلة.

هذا وإن كان الباحث لم يفته أن يشير إلى بعض من مؤامراتهم ودسائسهم التي قاموا بها في أحوال سياسية معينة. كما لم يفته أيضاً الإشارة إلى أثرهم في انهيار الاقتصاد المغربي في بعض الأحيان، نتيجة لارتباطهم بقوى خارجية، أو نتيجة لشدة حرصهم وجشعهم واتباعهم أساليب اقتصادية تؤدي إلى هذه النتيجة، كالاحتكار وغش السلع وتزييف العملة والتعامل بالربا وغير ذلك من الأعمال التي جرّت عليهم أحياناً غضب السلاطين والرعية، مما عرضهم للمساءلة والعقاب.

وعلى أي حال فإن هذه الدراسة تعتبر من الدراسات الجادة التي تناولت تاريخ يهود المغرب الأقصى في العصور الوسطى، وقد بذل صاحبها مجهوداً لابأس به في إخراجها على هذا النحو، ونرجو له المزيد من التوفيق والسداد والرشاد.

المنيل في 1997/8/22

أ. د. رجب محمد عبد الحليم

أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ

بمعهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

المقدمة

لعب يهود المغرب الأقصى دوراً خطيراً في تاريخ هذه البلاد خاصة في أواخر العصور الوسطى، وتَناوُلُ هذا الدور من الأمور الهامة والمثيرة، لأنه يمس أموراً فائقة الحساسية، ويفرض على الباحث نوعاً من الجدية والموضوعية الخالصة، وإن كانت هذه الجدية مطلوبة في كل الأحوال.

فالبحث في موضوع اليهود خاصة في المغرب الأقصى تعتبر ضرباً من الدراسات التاريخية الهامة، ذلك أن يهود المغرب الأقصى خاصة في عصر المرابطين والموحدين، لم ينالوا اهتمام الباحثين، وبالتالي لم يظهر لهم أي دور في المغرب، مما جعل الكثير من المؤرخين والباحثين لايعرفون الكثير عنهم في هذه الفترة. واتجهوا في الدراسة في العصور الإسلامية الوسطى بالحديث عن الدول التي قامت في هذه البلاد، وعلاقات هذه الدول بعضها ببعض. ولذلك كان اهتمام الباحث بدراسة تاريخ اليهود ودورهم في عصر الدول المرينية والوطاسية. فأظهر الباحث قدر استطاعته دورهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي في المغرب الأقصى، محاولاً أن يملأ فراغاً في المكتبة التاريخية بالنسبة لهذا الموضوع في هذه الفترة التي امتدت ثلاثة قرون ولم يتناولها الكثير من الباحثين باستفاضة كافية.

ومن هؤلاء الباحثين الذين تناولوا الموضوع في عجالة الدكتورة/ نوال علي عبد العزيز / في رسالتها للدكتوراه «علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بني وطاس [869 ـ 962 هـ/ 1465 ـ 1554م]». حيث ركزت على العلاقات

الخارجية للدولة، وتناولت اليهود من خلال دراستها التي تنصب أصلاً على علاقتها مع جيرانها. ولذلك غاب دور اليهود الاجتماعي والثقافي والسياسي، وأشارت إشارات سريعة عن دورهم الاقتصادي في صفحات عابرة.

وكذلك الدكتور/ محمد عادل عبد العزيز / في أطروحته للماجستير «الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين» فقد ركز على الدور الثقافي والاجتماعي للدولة، ودور المغاربة فيه. ولم يذكر أي دور لليهود في هذين المجالين، رغم خطورة دورهم خاصة الاجتماعي والثقافي. الذي استمد من تمركزهم في المغرب الأقصى دهوراً طويلة.

كذلك الدكتور / رضوان البارودي / في رسالته للدكتوراه «الحياة الحربية في عصر الدولية المرينية». والتي ركّز فيها على حروب الدولة الداخلية والخارجية. ومن خلال هذه الحروب ذكر النصارى ووضعهم داخل الدولة كجند مرتزقة، ولم يظهر أي دور لليهود المغاربة.

كذلك الدكتور / على حامد الماحي / في رسالة «المغرب في عصر السلطان أبي عنان». التي خصصها لدور السلطان أبي عنان فقط، ولم يذكر أي دور لليهود رغم كثرة تواجدهم وفعاليتهم في زمن هذا السلطان.

أما الدكتور / صالح محمد فياض / فقد ركز في رسالته للدكتوراه وهي «دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري» على دور الدولة ومواقفها السياسية والحضارية، خاصة وأن الدولة أثير حولها خلاف من خلال وضعها هل هي دولة أم إمارة، وهل قامت بدور في مقاومة الاستعمار البرتغالي، ولم يذكر أي دور لليهود. خاصة وأن دولة بني وطاس كانت تستقبل المهاجرين المسلمين واليهود المطرودين من الأندلس، والذين استقروا في أغلب المدن بالمغرب الأقصى. وفي رسالته للماجستير «نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين» ركّز فيها على أساليب الحكم، ولم يذكر أي إشارة لدور اليهود داخل الدولة، رغم كثرتهم ومشاركتهم في بعض النواحي الإدارية والاقتصادية داخل المدن المغربية.

هذا بالإضافة إلى دراسات أخرى، رسمت صورة جزئية لاتروى ظمأ الباحث الذي يهدف إلى القيام بدراسة متكاملة عن الدور الذي قاموا به في تلك الفترة، لذلك كان لابد من تناول هذا الدور في دراسة خاصة تلقى الضوء على أهميته وفاعليته.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على اتباع منهج البحث العلمي؛ كالتحليل والنقد للأصول، مع إبداء الرأي إذا أمكن، واستنباط النتائج والحقائق التي تمكن عن طريقها أن يصوغ الأفكار الجديدة صياغة علمية، راجياً التوفيق فيما قام به.

والبحث مقسم إلى مقدمة وتمهيد تاريخ وأربعة فصول وخاتمة، بالإضافة إلى بعض الملاحق والخرائط والمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها.

وقد ضم التمهيد دراسة موجزة للروافد التي على أساسها قدم اليهود للمغرب الأقصى، مروراً بالعنصر الفينقي والروماني ثم الفتح العربي حتى الهجرات من الأندلس.

وفي الفصل الأول أعطى الباحث فكرة موجزة عن نشأة وتطور الدولة المارينية والوطاسية، ثم تناول دور اليهود في النواحي السياسية وعلاقتهم بالدولة. حيث تميز هذا العصر بإعطاء دور كبير لليهود، مما جعل لهم دوراً في السياسة، حيث تولى أشخاص منهم عدة مناصب هامة في الدولة مثل الوزارة والسفارة. حيث تميز العصر الوطاسي بإرسال سفراء يهود للدول الأوروبية، عكس العصر المريني الذي لايوجد فيه سفراء يهود. ثم تناول الباحث أثر اليهود في الفتن والاضطرابات السياسية التي أثارت حفيظة المسلمين ضدهم.

وفي الفصل الثاني تم التركيز على التواجد اليهودي في المغرب الأقصى وأماكن إقامتهم بالمدن الكبرى، والفرق بين الجيتو في أوروبا، والملاح في المغرب الأقصى، وركزت على الطوائف اليهودية ونظامهم الداخلي ووظيفة كل شخص داخل الطائفة، وبعض من العادات والتقاليد الاجتماعية الخاصة بهم، ونقدها وإرجاعها إلى أصولها القديمة، وتناول الفصل الثالث النشاط الاقتصادي

لليهود من زراعة وصناعة، مثل صناعة الحديد والنحاس وصناعة المنسوجات وصناعة الذهب والفضة، وذكر الحرف التي يتميز بها اليهود، ورصد وتحليل دور اليهود في كل منها، ثم الرد على التهم الموجهة للمسلمين بترك الحرف الحقيرة لليهود. ثم ذكر دور اليهود في التجارة الداخلية، ورصد الأسواق المنتشرة في مدن وقرى المغرب الأقصى والتي يكثر فيها اليهود. وكذلك دور اليهود في التجارة الخارجية، ثم رصد طرق ووسائل تعامل اليهود في التجارة بالمدن والمواني، وأثرها في انهيار اقتصاد المغرب الأقصى من خلال ذكر أنواع البيوع، مثل بيع النجش، وبيع الجزاف، والمرابحة، والمضاربة، والوكالة ودور اليهود في هذه الأنواع وغيرها، وأثرها في انهيار المغرب الأقصى.

وتناول في الفصل الرابع اليهود والحياة الثقافية، حيث قام الباحث في هذا الفصل بالحديث عن أهداف وطرق التربية والتعليم، وأثر ذلك في تنشئة الطفل اليهودي.

ثم أنواع التعليم ودراسة دورهم في العلوم النقلية؛ مثل التفسير والجدول الديني وما أثير حول موقف اليهود من الدين الإسلامي والرد عليهم. ثم الدراسات اللغوية، وكذلك الإبداع الأدبي والإبداع القبالي. ثم دور اليهود في العلوم العقلية، وإسهاماتهم في مجال الفلك والفلسفة والمنطق وعلم الموسيقى، ودور اليهود في علم الطب والصيدلة. وختم الباحث الرسالة بالنتائج التي توصل إليها، وبعدد من الملاحق والخرائط التي توضح أماكن إقامة اليهود وطرق التجارة التي استخدموها.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على العديد من المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة، إلى جانب المراجع والدوريات العربية والأجنبية.

فمن المصادر المخطوطة، مخطوطة لمؤلف مجهول واسمها «ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين». وقد استفاد الباحث من هذا المخطوط إفادة عظيمة، نظراً لأن المؤلف أفرده لتاريخ اليهود بالمغرب، وخاصة مدينة فاس. وماقاموا به من غش ومكائد ضد المسلمين. والمخطوط في جملته استعراض

تاريخي لتاريخ اليهود منذ بناء مدينة فاس، واستقرارهم بها في عهد إدريس بن إدريس. وقيامهم بالأعمال الاقتصادية بها واشتغالهم بالحرف والصناعات المختلفة، ثم تحولهم إلى فاس الجديدة في عهد المرينيين، حيث حاولوا السيطرة على التجارة إلى أن تغير الحال بهم في عهد السعديين. وانتهى هذا المخطوط بوفاة المولى اسماعيل في عام 1139 هـ/1726م.

والمخطوط الثاني لعبد الله محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني المتوفى عام (781 هـ/ 1379م)، واسم المخطوط «المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن». والنسخة بالخط المغربي، وتأتي أهميتها من أن صاحبها كان معاصراً لدولة بني مرين، وكان أحد رجال الإدارة والبلاط. فاطلع على كثير من الحقائق والأحداث التي تتعلق بالدولة عن قرب، وخاصة النظم الإدارية والاقتصادية التي قام بها السلطان أبو الحسن المريني.

ومخطوط عبد الباسط خليل بن شاهين المتوفى عام (920هـ/1514م)، المسمى «الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم». وترجع أهمية هذا المخطوط إلى أن كاتبه كان معاصراً وشاهد عيان.

ومن المصادر المطبوعة التي أفادت الباحث كتاب «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس». تأليف أبي حسن بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي المتوفي عام (720هـ/1320م). فقد قام برصد للحرف والصناعات التي كانت منتشرة في فاس. ومنه استطعنا التعرف على اليهود وحرفهم. وكذلك كان له دور كبير في رصد المجاعات والأوبئة التي حلت بالمغرب. ورغم قرب المؤلف من الأحداث إلا أنه لم يستطع حسم تاريخ بناء مدينة فاس، خاصة «الملاح» الخاص بسكنى اليهود. ولنفس المؤلف كتاب «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية». وقد اهتم المؤلف في هذا الكتاب بذكر الأحداث الجارية بالدولة وأهمل تواجد اليهود رغم كثرتهم.

ثم يأتي كتاب ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».

ورغم وجود هذا المؤرخ في الدولة المرينية، وتوليه الوزارة، وقربه من الأحداث، وإلمامه بما جرى في الدولة من أدق التفاصيل. إلا أنه اقتصر في حديثه على الأمور السياسية، وأغفل التواجد اليهودي المنتشر في المغرب الأقصى.

وكذلك لسان الدين بن الخطيب (ت 1364/776هـ) وله عدة مؤلفات؛ منها «الإحاطة في أخبار غرناطة»، ثلاثة أجزاء. وكتاب «مثلى الطريقة في ذم الوثيقة». لكننا نقول إن كتابه «نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب» كان خير عون لنا في رصد الأحداث السياسية بالدولة، وما جرى بها من هيمنة الوزراء على السلطة، وأثر ذلك على المغرب الأقصى. وقدم لنا معلومات في غاية الأهمية.

وكذلك اسماعيل بن الأحمر (ت 807هـ/1404م) الذي أفرد ثلاثة كتب الأول «روضة النسرين في دولة بني مرين» والثاني «النفحة النسرينية واللمحة المرينية» والثالث «بيوتات فاس الكبرى». ففي هذه الكتب الثلاثة قام بسرد تاريخ السلاطين، وكذلك العائلات الكبرى في فاس ورصد لبعض المكائد التي قام بها اليهود ضد المسلمين. إذ أكثر في ذكر البعض منها ولم نجد لها ذكراً إلا عنده.

ومن بين الكتب الهامة التي رجع الباحث إليها كتاب «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» تأليف محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني والذي يعتبر من أهم المصادر التي أفادتنا. حيث شن المغيلي حملة شعواء على يهود المغرب، لهيمنتهم على التجارة مع بلاد السودان الغربي، ولإحداث معابد لهم في ديار الإسلام. وأثار الفقهاء حول قضية تواجدهم وعلاقتهم بالسلطة.

ثم تأتي كتب النوازل ومنها كتاب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب» للفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي. وترجع أهميته في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والديني، لكثرة مابه من فتاوى، تتميز بصدق واضح في تصوير الحياة اليومية في المجتمع المغربي. فقد كان كتاب المعيار يتضمن معلومات في غاية الأهمية للباحث، من حيث رصد كل الأمور من عادات وتقاليد الحياة الأسرية، والاحتفالات والأعياد والزي

والأطعمة، وعن النظم الاقتصادية. فكان من أصدق المصادر التي شكّلت مرآة صادقة عكست هموم ومشاكل المجتمع المغربي، إلى جانب أن هذه النوازل أعطتنا مادة وفيرة عن اليهود وماجرى منهم من مشاكل، وعرضها على الفقهاء، ورصده لرد فعل أي من الأمور على هذه الطائفة.

ومن المصادر ذات الأهمية الاقتصادية كتاب «الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة» لأبي الحسن علي بن يوسف المتوفى في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري. وترجع أهمية هذا الكتاب، إلى رصده مدى تغلغل يهود المغرب الأقصى في دور السكة وتجارة الذهب، ومدى تأثيرهم على انهيار النقد لكثرة غشهم وخداعهم للمسلمين، من خلال تواجدهم بدور السكة في مختلف أنحاء هذه البلاد.

ومن كتب الرحالة نجد أهم رحلتين في نهاية العصور الوسطى وهما رحلة الحسن الوزان التي تسمى (وصف إفريقية) ورحلة مارمول كربخال: (إفريقيا). حيث قام كل منهما برحلته داخل المغرب الأقصى. فكانت رحلة الحسن الوزان أصدق مرآة للمجتمع المغربي لكونه مسلماً. وحرصه على دقة المعلومات التي من خلالها رصد بعض أحوال اليهود بالمغرب الأقصى وأماكن إقامتهم وحرفهم.

أما مارمول كربخال، فكانت رحلته من أهم الرحلات أيضاً. فقد كانت رصداً للجماعات اليهودية ببلاد المغرب الأقصى، إلى جانب انتشار التجار النصارى في الجنوب المغربي، ورصداً لطرق التجارة التي امتدت من داخل البلاد إلى مركز النصارى بالمواني الساحلية التي تقع على المحيط الأطلنطي. ولكن يعيبه أنه كان عيناً للبابا في المغرب فكان كتابه شبه وثيقة يقدمها له.

أما كتب الجغرافيا، فنذكر منها كتب الجغرافيين الذين تناولوا بلاد المغرب الأقصى مثل البكري «ت 487هـ/1094» في كتابه الهام «المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب». والذي كان أهم مرجع في رصد أماكن إنتاج المواد الخام التي قامت عليها الصناعات والحرف اليهودية، إلى جانب ذكره للمدن المغربية

بالتفصيل وأهمية كل مدينة. ورغم بعد الفترة الزمنية للكتابة عن الفترة موضوع البحث، إلا أنه أفادنا في معرفة أماكن استخراج المواد الخام، وطرق المواصلات بين المدن المغربية.

وآخر، مثل الإدريسي «ت 585 هـ/1162م» في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق». ذلك الكتاب الذي تناول مدن بلاد المغرب بأكملها، كما أنه رصد الطرق التجارية، وجاء على ذكر المسافات بين المدن، فكان خير معين للباحث. وكذلك الحميرى وكتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار». فرغم كونه موسوعة في رصده لكافة أقطار العالم الإسلامي، إلا أنه خص المغرب الأقصى بحديث طويل عن مدنه وقراه وأفادنا بمادة علمية وفيرة عن النواحي الاقتصادية الخاصة ببلاد المغرب.

وكتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري (ت1041هـ/1631م). وقد حفل هذا الكتاب بمادة تاريخية أفادتنا في تناول الحياة الثقافية والسياسية.

ومن الكتب التي رجعنا إليها كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» لأحمد بن خالد السلاوي. وقد استخدم الباحث الجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب. فالمعلومات التي وردت في هذين الجزأين مهمة نظراً لضياع كثير من أصولها.

كذلك اعتمد الباحث على بعض المراجع العربية منها كتاب الدكتور / محمد عيسى الحريري «تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني» الذي ركَّز فيه على دور الدولة السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للدولة المرينية. فقد أمدنا بمادة وفيرة ساعدتنا في هذا البحث.

وكتاب الدكتور/ عز الدين أحمد موسى «النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري»، من الكتب الهامة التي رصدت مدى انتشار الطرق التجارية بطول وعرض المغرب الأقصى في عهد الموحدين وبداية دولة بني مرين، ومدى تواجد التجارة المغربية في البحر المتوسط. إلى جانب الإفادة

العظيمة من المادة التاريخية التي أمدنا بها عن وضع اليهود في عهد الموحدين.

ومن الكتب التي أفادتنا إفادة عظيمة موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، للدكتور/ عبد الوهاب محمد المسيرى التي أمدتنا بمعرفة الأعياد والطقوس والعادات والتقاليد اليهودية من خلال مصادرها الأصلية، رغم محاولة اليهود طمس أصولها إلا أنه تتبع تسلسلها فكان خير معين للباحث. وكذلك الدكتور/ حسن ظاظا في كتابه «الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه»، حيث أفادنا في معرفة الخلافات المذهبية بين الطوائف اليهودية وأصولها. وأزاح الكثير من الغموض الذي كان يدعيه اليهود حول نشأة طوائفهم وأعيادهم وديانتهم.

أما ماوصل إلى أيدي الباحث من دراسات للمؤرخين المغاربة، فلم نجد فيها من تناول موضوع اليهود كموضوع مستقل. بل هي إشارات عابرة في دراسات تنصب أصلاً على دراسة الدول المتعاقبة في المغرب الأقصى، مثل الدكتور/ ابراهيم حركات وكتابه «المغرب عبر التاريخ» في جزئين، وذكر دولتي بني مرين وبني وطاس في الجزء الثاني. ذكر فيهما دور اليهود عابراً. وكذلك المؤرخ العظيم محمد المنوني الذي تناول تاريخ المغرب الأقصى من عدة نواحٍ، فكان خير معين في دراستي السياسية والاقتصادية لدولة بني مرين. ولكن لَم يفرد دراسة خاصة باليهود رغم تناوله لشتى النواحي بالمغرب الأقصى.

وكذلك كتابات الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله، والدكتور محمد حجي. فرغم اقتصارها على الدولة السعدية إلا أنها أعطتنا مادة تاريخية عن الحياة الثقافية والاقتصادية في الدولة الوطاسية.

ومن المستشرقين الذين تناولوا تاريخ المغرب الأقصى، رويجه لوترنو، في كتابه «فاس في عصر بني مرين». تناول الدولة من خلال عاصمتها التي أصبحت مركز الإشعاع السياسي والاقتصادي والثقافي في عصر هذه الدولة، وتناول يهود المغرب الأقصى عابراً، ورصد تطور مدينة فاس عاصمة الدولة، وما أثير حول بناء «حي الملاح» الخاص باليهود. وكذلك كتاب حاييم زعفراني

«ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب». فقد أمدَّ الباحث بمادة تاريخية حول خصوصية الاحتفالات الدينية اليهودية المغربية، ونشاطهم الاقتصادي، ودورهم السياسي والثقافي. ورغم طول مدة الدراسة في هذا الكتاب، إلا أنه كان ذا أهمية كبرى، لكن يعيب الكتاب إعطاء دور لليهود المغاربة أكبر من حجمهم.

وهناك أيضاً عدد من الدوريات المغربية والمصرية التي كانت خير معين للباحث في إيحاد مادة علمية، ساعدت الباحث في التنقيب عن تاريخ اليهود بالمغرب الأقصى.

وختاماً فإنني لمدين في إخراج هذا العمل المتواضع إلى أستاذي الدكتور/ رجب محمد عبد الحليم / أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية في جامعة القاهرة. فهو صاحب الفضل في توجيهي وإرشادي في أعداد هذا البحث. فقد خصني بالتوجيه، وأمدني بخبرته دون كلل أو ملل، على الرغم من كثرة مشاغله. وبفضل توجيهاته خرج هذا البحث على هذا النحو، فله مني جزيل الشكر.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من مدَّ لي يد المساعدة في سبيل إخراج هذا البحث.

وبعد، فأرجو أن أكون قد وفقت في إنجازه على نحو مقبول، وذلك بعون من الله وتوفيقه، فهو نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد تاريخي

اليهود في بلاد المغرب الأقصى قبل العصر المريني

كان يهود المغرب الأقصى من أهل الذمة، وأهل الذمة مصطلح يعني أهل الكتاب من اليهود النصارى والمجوس والصابئين والسامرة[1]، والعجم[2]، وفي

(1) ـ أبو يوسف: كتاب الخراج، نشر محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة بدون تاريخ، ص 131 ، الشافعي: الأم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة بدون تاريخ جـ4 ص 95 ، 96 ، 97 ، ابن سلام: كتاب الأموال، تحقيق وتعليق من خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر القاهرة 1981 ص 30 ، الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الإسلامية، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة 1973 ص14 ، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار الكتب الإسلامية القاهرة 1983 جـ1 ص468 ، المجوس: هم الذين يزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة، انظر ابن منظور: لسان العرب دار المعارف، القاهرة بدون تاريخ، ج3 ص4141 ، الصابئون: هم الذين يميلون عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء انظر. الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1976 ، جـ2 ص5 . السامرة: هم فرقة من فرق اليهود، وتخالف في أكثر الأحكام ومنهم السامري الذي صنع العجل وعبدوه. انظر. محمد أمين الشهير بابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، القاهرة، بدون تاريخ، جـ3 ص291 ، ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، حققه طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 جـ1 ص25 . ←

كتب اللغة: هم المواطنون من غير المسلمين الذين يقيمون في دار الإسلام من اليهود والنصارى، وغيرهم من الذين صاروا في ذمة المسلمين، واعطوا الأمان، ولهذا سمى المعاهد ذمياً[1]. فالذمة في الفقة الإسلامي هي العهد الذي يعطى للقوم عند فتح المسلمين لبلادهم، فلايسترقون ويؤمنون على حياتهم وحريتهم، ثم على أموالهم ليقروا بها في دار الإسلام[2].

فوضع أهل الذمة داخل المجتمع الإسلامي يحدده قول الله تعالى: «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[3].

ويرى بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أن الجزية كَفِعْلَة من جزى فلاناً ما عليه إذا قضاها بجزية، والجزية مثل القعدة والجلسة. ومعنى الكلام حتى يعطوا الجزية التي يدفعونها للمسلمين عنهم[4]، وإعطاء الجزية بدلاً عن القتال[5]. وسميت جزية لأنهم يَجْزُون بها جزاء تأمينهم في دار الإسلام وحمايتهم والدفاع عنهم[6]. ويختص عقد الذمة بالإمام أو نائبه[7].

ولاينتقص عهدهم طالما أنهم يوفون بما اشترط عليهم من أداء جزية معينة،

← (2) - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة 1959 جـ7 ص67 ، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، جـ2 ص20 .

(1) - ابن منظور: نفس المصدر، جـ3 ص1517 .

(2) - الماوردي نفس المصدر، ص143 .

(3) - سورة التوبة: آية 29 .

(4) - الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة طبعة أولى 1327 هـ، جـ10 ص77 .

(5) - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967 ، جـ 8 ص110 .

(6) - الزمخشري: الكشاف، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، بيروت 1983 جـ 2 ص184.

(7) الماوردي: نفس المصدر، ص145 . ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، جـ2 ص125 .

وطالما أنهم لايذكرون كتاب الله تعالى بطعن فيه ولاتحريف له، ولايذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء، ولايذكرون دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه، ولايصيبون مسلمة بزنا ولاباثم نكاح، ولايفتنون مسلماً عن دينه، ولايعرضون لمالِه ولدينه، ولايعينون أهل الحرب على المسلمين[1].

ولما كان اليهود كما قلنا من أهل الذمة، فقد كانت لهم حقوق مارسوها في بلاد المغرب الأقصى، فقد كان لهم الحق في ترميم معابدهم وإعادة تشييدها، ولايسمح لهم بإقامة معابد جديدة في أماكن فتحها المسلمون، سواء أكانت هذه الأماكن فتحت صلحاً أو عنوة «وإن كان في قرية يملكونها منفردين لم يمنعهم إحداث كنيسة ولارفع بناء ولايعرض لهم في خنازيرهم وخمرهم وأعيادهم وجماعاتهم وأخذ عليهم أن لايسقوا مسلماً أتاهم خمراً ولايبيعونه محرماً ولايطعمونه إياه[2].

وفي نظير حمايتهم والدفاع عنهم، فإنهم كانوا ملزمين في بلاد المغرب الأقصى بدفع مبلغ معين من المال يتفق عليه يسمى جزية، أي جزاء إعفائهم من الخدمة في جيش المسلمين. ولذلك فإنها لاتؤخذ إلا من الشباب القادر على القتال من غير المسلمين، وتسقط عن العميان والرهبان والصبيان والمجانين وكبار السن والفقراء والمعوزين. أما مقدارها فإنَّه يتراوح مابين أربعة دنانير على الطبقة العليا، وديناران على الوسطى، ودينار واحد على من هم دون ذلك. وبالدراهم: الطبقة العليا ثمانية وأربعون درهماً، وعلى الوسطى أربعة وعشرون درهماً، وعلى الدون اثنا عشر درهماً[3] أو تحدد بحسب حالة الشخص المادية. وإن

---

(1) ـ الماوردي نفس المصدر، ص145 .

(2) ـ الشافعي: نفس المصدر، جـ4 ص126 . «فان وقع ـ الصلح ـ على أن الأرض لهم جاز الأحداث بناء كنيسة (معبد). انظر. ابن عابدين: نفس المصدر، جـ3 ص295 ، ابن القيم: نفس المصدر، جـ2 ص138 ـ 140 .

(3) ـ يحيى بن آدم: الخراج، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1986 ، ص66 ، قدامى بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، ←

تعذّر دفع الحد الأدنى بحيث لايكلف اليهودي فوق طاقته(1). كما أن اليهودي ملزم زمنياً بدفع الخراج عن الأرض التي يزرعها حسب نسبة معينة يتفق عليها(2). والجزية والخراج لاتجب إلا مرة واحدة في السنة بعد انتهائها.

أما الشؤون الداخلية لليهود فقد تركت لهم بما يتلاءم مع خصوصية وضعهم، وتركت لهم حرية الحكم فيما بينهم حسبما ورد في كتبهم. يدل على ذلك قوله تعالى «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين»(3). وإن طلب أحد منهم المحاكمة أمام قضاة مسلمين أجيز له ذلك(4). أما أوقاف اليهود فكان مسموحاً لهم باستغلالها وفي وقف بعضها على كنائسهم وشؤونهم(5). وكانوا يتعاملون مع المسلمين المغاربة بالبيع والشراء والطعام والهدايا «بشرط مايجوز شرعاً وقبل المسلمين منهم هداياهم في عيد الفطيرة»(6). ولذلك عاش اليهود داخل المجتمع المغربي كجزء منه ووصلوا إلى أعلى المناصب.

يتضح من ذلك أن اليهود كانوا يمثلون التواجد الذِّميّ المستأمن الذي كان

← العراق وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد للنشر 1981 ، ص255 ، الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الباز العريني، لجنة البيان والتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1946 ، ص107 ، ابن الأخوة: معالم القربة في أحام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1976 ص99 ، عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي، الدار البيضاء القسم الأول 1957 ص79 .

(1) ـ سيدة كاشف اسماعيل: مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 ، ص64 .

(2) ـ يحيى بن آدم: نفس المصدر، ص 64 ـ 66 .

(3) ـ سورة المائدة آية 34 .

(4) ـ الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 ، جـ10 ص56 .

(5) ـ المصدر السابق، جـ7 ص73 .

(6) ـ المصدر السابق، جـ11 ص112 .

يدفع الجزية، ويعيش في حماية الدولة الإسلامية في المغرب الأقصى في ذلك الوقت.

وقد جاء التواجد اليهودي في المغرب عن طريق تدفق ثلاث هجرات متفرقة.

الهجرة اليهودية الأولى:

كانت من فلسطين حيث يدَّعي اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم ويتكلمون اللغة البربرية: أن أجدادهم تركوا فلسطين للمغرب قبل الأسر البابلي الذي حدث بعد أن قام ملك بابل نبوخذ نصر بمهاجمة أورشليم في عام 587 ق.م وأسر يهودها ورحلهم إلى بابل وهو ما يعرف بالأسر البابلي[1] نفسه ويسمون أنفسهم البلشتيم. والكلمة تحريف واضح لفلسطين[2]. ويؤكد على ذلك عدد من المؤرخين القدماء الذين تحدثوا عن الوجود اليهودي في المغرب منذ القدم، وأكدوا أن قدومهم أتى من الشام، ولذلك نجد مدينة باسم أيت داود[3]، يقول البعض: إن مؤسسها كان يهودياً من قبيلة يهودا عندما كان الدين اليهودي منتشراً في بعض نواحي أفريقية[4]. ويؤكد على ذلك ابن

(1) ـ جورج رو: العراق القديم، ترجمة وتعليق حسن علوان العراق بغداد 1986 ص508 ، 509 .

(2) ـ جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1967 ص16 ، يسري عبد الرزاق الجوهري: شمال افريقيا دراسة في الجغرافية الاقليمية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص30 .

(3) ـ مارمول كربخال: افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد زنبير، أحمد توفيق، دار المعرفة، المغرب 1984 جـ2 ، ص19 ، 20 ، ايت داوُد: مدينة قديمة شيدها الأفارقة فوق جبل عال، وفي هذه المدينة الكثير من الصناع الذين يمارسون الحدادة وصنع الأحذية والصياغة والصباغة، وحياة أهالي المدينة قاسية جداً فهم يتغذون بخبز مصنوع من الشعير وزيت الهرجان ولحم الماعز، والقمح غير معروف لديهم. انظر. الحسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة راجعه علي عبد الواحد وافي، الناشر الرياض، بدون تاريخ، ص117 ، 118 .

(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص20 .

خلدون عندما يقول: «إن الدين اليهودي أخذه البربر عن بني إسرائيل، وانتشر بين عدد من القبائل مثل قبيلة نفوسة من بربر أفريقية، وقندلاوة ومديونة وبهلوله وغياثه وبنوفازان من بربر المغرب الأقصى»[1]. وكانوا يقطنون منطقة زهرون قرب مدينة فاس[2]. كذلك كانت هناك جالية يهودية كبيرة في مدينة فاس منذ القرون الأولى لانشائها[3]. وهؤلاء اليهود قدموا إلى بلاد المغرب من فلسطين كما روى بعض المؤرخين في أفواج متتالية[4]، بسبب الثورات أو السبي البابلي أو التجارة.

الهجرة اليهودية الثانية:

جاءت مع الفينيقيين[5]، الذين وصلوا إلى إسبانيا، والمغرب التي كانت في ذلك الوقت تسمى بلاد ترشيش[6] حيث وجد اليهود في بلاد المغرب الفينيقية المأوى والقبول والاستيطان، لما بين الفريقين من صلات الجنس واللغة والتقاليد والعادات[7] وهذا ما سمح لليهود بالتوغل داخل بلاد البربر، بين كثير من قبائل

---

(1) - ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الكتاب المدرسي ودار الكتاب اللبناني، بيروت 1985 ، م6 جـ11 ص214 .

(2) - نوال علي عبد العزيز: العلاقات الخارجية لدولة بني وطاس، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية 1991 ، ص238 .

(3) - ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم، مراجعة لطفي عبد البديع، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ، ص44 .

(4) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعدية، مجلة البحث العلمي السنة 24 المغرب 1975 ، ص88 .

(5) - جمال حمدان: نفس المرجع، ص66 . انظر، رولاند أوليفر: موجز تاريخ افريقيا، ترجمة دولة صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965 ، ص60 .

(6) - ج كونتو: الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه طه حسين، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة بدون تاريخ، ص96 .

(7) - يوسف فهمي الجزائري: الجزائر أرض البطولة، الوكالة العربية للدعاية والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص125 .

الأطلس، وقبائل جنوب المغرب الأقصى[1].

وتمرس اليهود على أعمال التجارة نتيجة لاحتكاكهم بالفينيقين، إلى جانب أنهم أصحاب عقيدة لاوطن. مما جعل اليهود يحترفون التجارة بشكل أساسي، معتمدين على مجموع الجماعات اليهودية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم القديم، بسبب التشرد الأول على يد نبوخذ نصر، ثم التشرد الثاني وتدمير أورشليم على يد هدريان عام 135م[2].

وهذه الجماعات كونت صلات وروابط وثيقة بينها واستقرت على حواف الطرق التجارية العالمية[3]. ولقد وجدت البعثة الأثرية عام 1935م بقيادة العالم الأثري (ألم طرادبل) معبداً يسمى زحل، تذكرنا ضخامة صحنه وردهاته بالطراز الكلاسيكي للمعابد الفينيقية، وعلى محرابه نقوش من العصر القرطاجي[4]، وكذلك عثر على شمعدان برونزي ذي سبعة عروش وبقايا شاهد قبر سيدة تحمل جُمَلاً عبرية[5]. واستغل اليهود التواجد الفينيقي فوطدوا تواجدهم في بلاد المغرب، حيث اتضح تأثيرهم الديني في تهويد بعض قبائل البربر البتر[6].

---

(1) ـ موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر. الجزائر 1979 ، ص83 .

(2) ـ محمود العابدي: قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1972 ، ص26 .

(3) ـ موريس لومبار: نفس المرجع، ص305 .

(4) ـ المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية فاس من 8 ـ 18 نوفمبر 1959: جامعة الدول العربية الادارة الثقافية، القاهرة 1961 ، ص187 .

(5) ـ نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص237 .

(6) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م6 جـ11 ص186 ، فيليب فارخ ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، سيناء للنشر القاهرة 1994 ، ص57 (البتر: هم بنو مدغيس الابتر فيجمعهم أربعة بطون، ولمزيد من المعرفة انظر. ابن خلدون: نفس المصدر، مجلد6 جـ11 ص178 .

الهجرة اليهودية الثالثة:

حدثت أثناء العصر الروماني في القرن الأول الميلادي، وكان عمادها المهاجرين الذين فروا من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم وانتشروا في المغرب، وإن كان هذا الانتشار محدوداً بين السكان المحليين وهم البربر[1]. وازداد التواجد اليهودي بالمغرب عندما فر يهود المدن الخمس[2]، وقرر هؤلاء الثورة على الرومان تضامناً مع زملائهم يهود فلسطين. وكذلك عندما قام الامبراطور جابوس (37 إلى 41م) بتخريب أورشليم[3]. ففر اليهود إلى جوف الصحراء الليبية[4]، ومنها انتشروا في بلاد المغرب.

ولم تمر سنوات كثيرة إلا وقامت ثورة أخرى لليهود في 70م في عهد الامبراطور فسباريان. كان من نتيجتها أن سقطت أورشليم في يد الرومان ودمر الهيكل عن آخره[5]. وقرر هؤلاء اليهود الموجودون في مدينة سيرين الثورة على الرومان أسوة بإخوانهم في فلسطين، وقتل كثيراً منهم وفقدوا امتيازاتهم، وقاد الباقي منهم «بوناثان» النساج إلى جوف الصحراء الليبية[6] هربا من الاضطهاد.

---

(1) - رضوان البارودي: أضواء على المسيحية والمسيحيون في المغرب في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي 1990 ، ص3 .

(2) - المدن الخمس هي 1 - مدينة سرين (قريشي) على حافة الجبل الأخضر بليبيا. 2 - برقة قيل انها اشتقت من الكلمة العبرية بركة وتعني مكان تجميع الماء. 3 - مدينة برنسيس (بنغازي). 4 - مدينة توشير (طوكرة) تقع على خليج سرت. 5 - مدينة أبولونيا (مرسى سوسة). 6 - مدينة بتوليماس (طليمته). انظر. ميخائل مكس اسكندر: تاريخ كنيسة بنتابولس المدن الخمس الغربية. دار الثقافة، القاهرة 1987 ص - 41 - 61 .

(3) - أورسيوس: تاريخ العالم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982 ، ص424 .

(4) - ميخائيل مكس اسكندر: مرجع سابق، ص87 ، يحدد الحسن الوزان الصحراء الليبية من النيل إلى المحيط الأطلسي غرباً. انظر الحسن الوزان نفس المصدر من ص517 - 525 .

(5) - مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968 ، ص170 .

(6) - ميخائل مكس اسكندر: نفس المرجع، ص87 .

وهذا مايعرف بثورة اليهود الأولى التي راح ضحيتها ألفان[1]. ولم يمر وقت كبير، ففي عهد الامبراطور تراجان (98 - 117م) كان لليهود ثورة عظيمة أخرى، إذ أشعلوا نار الحرب بأرض الشام وفي بلاد كثيرة[2]. في برقة كانت بدايتها على شكل فتنة بين ساكني المدينة من اليهود والإغريق وسرعان ماتحولت إلى حرب حقيقة ضد الحكومة الرومانية[3]. وراح ضحيتها مائتان وعشرون ألف نسمة[4]. واختار اليهود لأنفسهم ملكاً يدعى (أندرياس) أو لوكاس[5]. وقد أرسل الامبراطور تراجان قوات عسكرية وأخرى بحرية بقيادة قائده ماركوس توربو أشهر قواده[6]. واستطاع التغلب على اليهود والتنكيل بهم بعد أن حولوا برقه إلى خراب شامل عام 115م. واستمرت الثورة إلى عام 117م، وقتل من اليهود ألوف كثيرة[7]. ولاذ بعض اليهود إلى مدن الشمال الافريقي، وآخرين التجأوا إلى جنوب الصحراء الليبية، واختلطوا بالقبائل البربرية المناهضة للرومان وأسهموا في تنظيمها وتدريبها[8] مثل زناته، الذين نجحوا في اكتساب بعض المهارات السياسية بسبب تسرب شيء من التقاليد اليهودية إليهم[9]. وآخرون وصلوا إلى حوض نهر النيجر الأوسط والسنغال في غرب افريقيا. وتعتبر قبائل الفولاني الرعوية أكثر القبائل التي تأثرت باليهود[10].

وبعد قضاء ماركوس على ثورات اليهود نصب حاكماً على موريتانيا في

(1) - مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، هامش ص177 .
(2) - أورسيوس: نفس المصدر، ص437 .
(3) - مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، هامش ص177 .
(4) - الطيب محمد حمادي: اليهود ودعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة، منشورات جامعة قار يونس بنغازي 1994 ، ص110 .
(5) - مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، ص177 .
(6) - الطيب محمد حمادي: نفس المرجع، ص110 - 111 .
(7) - أورسيوس: نفس المصدر، ص437 .
(8) - ميخائيل مكس اسكندر: نفس المرجع، ص88 - 91 .
(9) - رولاند أوليفر: نفس المرجع، ص65 .
(10) - الطيب محمد حمادي: نفس المرجع، ص122 .

أوائل عصر هدريان (117 ـ 138م[1]). ويبدو أن مالقيه يهود المغرب على أيدي السلطات الرومانية، قد دفعهم إلى الميل والعزلة والتقارب فيما بينهم[2]، وإلى أن ينصاعوا ويبدؤوا في الحفاظ على دينهم دون الحاجة إلى الهيكل[3].

واستوطن الرومان المستعمرون لافريقيا المدن الساحلية، وأصبحوا تجاراً ومرابين، وكونوا طبقة علوية[4]، واستثمروا أموالهم في شراء العقارات وزراعة الأراضي مستغلين بربر البرانس في زراعتها خاصة القمح لتزويد روما به.

ومما لاشك فيه أن تلك الجموع الزاخرة من الفلاحين من بربر البرانس لم تحظ من الثقافة الرومانية إلا بقدر ضئيل جداً، واستمرت تعبد الهتها الوطنية، وتعيش في أكواخها، وتتكلم لهجتها المحليّة[5]، واختلطوا بالمسيحيين، ومنهم من اعتنق مذهب الدوناتية[6] وهرب إلى الجنوب.

أما اليهود فاختلطوا أكثر بالبربر البتر الذين لجؤوا إلى الداخل. وهذا ماجعل الأمر سهلاً في التفريق بين اليهود القدامى ـ الوافدين منذ القدم ـ ساكني المدن الصغرى في وسط وجنوب المغرب والواحات والقرى الجبلية[7]، وبين اليهود الجدد القادمين من أوروبا والذين استوطنوا المدن الساحلية مثل سبتة[8] والمدن الكبرى.

وكان لقرار الامبراطور قسطنطين (324 ـ 337م). بمنح اليهود حقوق

---

(1) ـ مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، ص185 .

(2) ـ المرجع السابق، ص173 ، وهذا مايطلق عليه الجيتو.

(3) ـ م. ب تشارلز وورث: الامبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، راجعة، محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي القاهرة 1961 ، ص174 .

(4) ـ م. روستوفتزف: تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة بدون تاريخ، جـ1 ، ص385 .

(5) ـ المرجع السابق، ص401 .

(6) ـ الدوناتية: هي خلاف شخصي (اقليمي بين طوائف الرهبان، وليست هرطقة وخروج على الدين المسيحي، انظر حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، دار الآداب 1948 ، هامش ص290 .

(7) ـ نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص46 .

(8) ـ سبتة: هي مدينة قديمة وفيها آثار ترجع إلى العصر الروماني، وجامعها كان ←

المواطنة من الدرجة الثانية[1]، أثر في هجرة عدد غير قليل منهم إلى الشمال الأفريقي، حيث استوطنوا المدن الكبرى لاحترافهم للتجارة. وانحدر بعضهم لجنوب المغرب، فاستوطنوا بعض المدن التي كانت لها أكبر الأثر على حركة التجارة في شمال بلاد المغرب الأقصى مثل مدينة فاس. أو في جنوبه مثل سجلماسة[2]. وهذه المدن ذات مواقع استراتيجية بسبب وقوعها على رؤوس الطرق التجارية القادمة من بلاد السودان الغربي التي تصدر الذهب وغيره من السلع إلى المغرب الأقصى.

ويرى البعض أن هجرات أخرى وصلت إلى بلاد المغرب من خيبر في سنة 7 هـ/ 628م، وأن أهلها اتخذوا من الجبال مقراً لحياتهم بعيداً عن الناس[3]. ولكن يبدو أن أصحاب هذا الرأي قد جانبهم الصواب، لأن المعروف أن يهود خيبر هاجروا إلى وادي أذرعات على حدود الشام[4].

← كنيسة، وتقع على بحر الزقاق، وفيها تجار أغنياء كانوا يتاجرون مع الهند وبلاد أخرى. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب مكتبة المثنى بغداد، ص103 ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ، جـ3 ص182 ، ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل المغربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982 ، ص139 ، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس. بيروت 1984 .

(1) ـ عادل سعيد بشتاوي: الأندلسيون المواركة، القاهرة 1983 ، ص220 .

(2) ـ سجلماسة: هي مدينة بنيت عام 140هـ/ 759م وأرضها خصبة حولها قرى كثيرة وبها بساتين كثيرة وبها جميع أنواع الفواكه. وسجلماسة تقع على أول الصحراء الكبرى ومنها يدخل التجار إلى بلاد السودان الغربي، وبها يهود يحترفون مهنة الكنافين والبنائين. وهذه المدينة من أغنى المدن لاحترافها التجارة مع بلاد السودان الغربي. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص 148 ، 149 ، ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ3 ص192 ، الحميري: نفس المصدر، ص306 ، اليعقوبي: كتاب البلدان، طبع ليدن 1893 ص359 .

(3) ـ عبد الهادي التازي: النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة، مخطوط لأحمد بن الرجال، مجلة البحث العلمي، عدد 32 السنة 17 المغرب 1980 ، ص15 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص46 .

(4) ـ يؤكد ذلك إن الذين هاجروا من يهود المدينة كانت رحلتهم شمالاً، وعاش بعضهم في وادي القرى مثل يهود بني قينقاع، والباقي رحلوا عن المدينة في ←

هذه هي الهجرات التي وصلت إلى المغرب خلال العصر القديم.ولكن ماهي الهجرات اليهودية إلى المغرب في العصر الوسيط؟

نجد لذلك رافدين بدأ أولهما من العصور الإسلامية المبكرة وبدأ ثانيهما مع نهاية هذا العصر وبداية العصر الحديث. أما الرافد الأول أو الهجرة الأولى، فقد بدأت مع ظهور الإسلام، واستمرت إلى شمال افريقيا رغم سقوط فينيقيا، وانقسام العالم القديم إلى قسمين اسلامي ومسيحي. وكان للاضطهاد الكاثوليكي لليهود في العالم الغربي ـ خصوصاً عندما عومل اليهود كمواطنين من الدرجة الثانية إلى جانب ما قام به ملك القوط، فلافيوس سيزاوبوت Flavius Sioebut ، ومن جاء بعده في القرن السابع؛ من عام 612 حتى عام 660م ضد اليهود بإسبانيا إذ أخذهم قتلاً وتشريداً، وحملهم

← شوال عام 2هـ/ 623م إلى وادي القرى ثم ساروا إلى أذرعات، على حدود الشام، وفي عام 4هـ/ 625م تآمر اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاولة القاء الصخرة عليه، ولما اكتشفت مؤامرتهم حاربهم الرسول حتى صالحوه على أن يحقن دمائهم وله الأموال ويسيرهم إلى اذرعات بالشام، وفي عام 5هـ/ 626م قتل بني قريظة لتواطئهم مع قريش في غزوة الخندق، وبذلك كانت رحلة يهود المدينة إلى وادي اذرعات وعاش بعضهم في خيبر، وفي عام 7هـ/ 628م حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر حتى إذا أيقنوا بالتهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماؤهم ففعل، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال. فكيف وهم أصلاً أقرب إلى وادي اذراعات على حدود الشام الذي فيه أبناء قبيلتهم وأقرب لهم من النزول إلى الجنوب، ثم عبور باب المندب والرحيل إلى مسافة طويلة لا مأمن لها ليستقروا في جنوب المغرب، ولهذا نرى إن ذلك رأي شخصي للدكتور عبد الهادي التازي وتبعته الدكتورة نوال علي عبد العزيز. حيث بقي أبناء القبيلة للتجارة مع الشمال حتى طرد عمر بن الخطاب من بقي منهم في خيبر إلى الشام وليس إلى المغرب. انظر ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة ومطبعة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، طبعة ثانية القاهرة 1955 ، جـ3 ص240 ، الطبري تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر 1977 ، جـ2 ص552 ، 553 ، ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ2 ص410 ، ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ، جـ3 ص198 ، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ص260 ـ 354 ، عبد الهادي التازي: النصوص الظاهرة، ص15 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع ص46 .

على الهجرة إلى البلاد المغربية[1]. مما كان له أكبر الأثر في حمل اليهود على الهجرة إلى بلاد يجدون فيه المعاملة الحسنة. فكان العالم الإسلامي على النقيض مع العالم المسيحي في هذا الصدد. وتقاطرت أفواج أخرى من يهود الأندلس بعد فتحها[2]. ولم تكن هذه الوفود المتعاقبة من الهجرات اليهودية إلى البلاد المغربية من أصل واحد، وإنما من سلالات مختلفة[3].

ويرى بعض الباحثين أن هذا هوالسبب في أن الصليبيين الفرنسيين قبل أن يتوجهوا إلى المشرق، صبّوا جام غضبهم على يهود فرنسا في الرون واللورين وبروفانس، لأنهم يرون أنه يجب قبل محاربة أعداء الرب في الشرق، التخلص من أعدائه اليهود الموجودين بينهم وفي متناول أيديهم، ولابد من استئصال شأفة اليهود المبغوضين[4]. ولذلك بدأت تظهر الأقليات وتظهر عزلة اليهود عن المسيحيين في المجتمع الأوروبي عكس مافي المجتمع الإسلامي حيث مارس اليهود نشاطهم بحرية كاملة دون أي عقبات تواجههم، إلى جانب وجود الروابط التجارية والعقائدية التي تربط يهود العالم بعضهم ببعض. مما أعطاهم فرصة الانتقال بين الشرق والغرب، فهاجر بعضهم إلى بلاد المغرب، حيث تمتعوا بحياة أساسها العدل والرحمة والتسامح[5]. إلا إذا خانوا فقد كانوا يعاملون بقسوة. والمثال على ذلك هو ماحدث في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس، فقد هاجر منها عدد من اليهود إلى المغرب وباقي المدن، هرباً من بطش السلطة الإسلامية بينهم، نتيجة لقيامهم بأعمال خيانة وتخريب، مثلما حدث في غرناطة عام 459هـ/ 1066م. إذ قام عامة الناس عليهم وقتلوا ابن نغزاله اليهودي، وقتلوا منهم أكثر من ثلاثة آلاف وأخذوا أموالهم[6].

---

(1) ـ محمد الحبيب بن خوجة: يهود المغرب الأقصى، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1973 ، ص33 ، ابراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية 1958 ، ص166 .

(2) ـ ابراهيم حركات: أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعدية، ص88 .

(3) ـ يوسف فهمي أحمد الجزائرلي: نفس المرجع، ص124 .

(4) ـ قاسم عبده قاسم: ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، دار المعارف القاهرة 1982 ، ص144 ـ 146 .

(5) ـ محمد الحبيب بن خوجه: بن خوجة: نفس المرجع، ص12 . ←

ونظراً لهذه الهجرات المتكررة التي لم تتوقف عبر التاريخ، كان التواجد اليهودي في بلاد المغرب محسوساً في الشمال والجنوب، في المدن والقرى والجبال. ولذلك نجد إدريس الأول يفتتح سنة ثلاث وسبعين ومائة بغزو من بقى من البربر على دين اليهودية والنصرانية والمجوسية، وكان قد بقي منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعة. فلم يزل إدريس يجاهدهم ويستنزلهم حتى دخلوا في الإسلام طوعاً أو كرهاً، وفتح بلادهم ومعاقلهم وأباد من أبى الإسلام منهم بالقتل والسبي، ودمَّر بلادهم وهدم معاقلهم، منها حصون قندلاوة وحصون مديونة وبهلوله وقلاع غيائه وبلاد فازاز ثم رجع إلى مدينة وْليلى[1]، ولكن هذا الرأي لايعني أنه تم القضاء عليهم في عهد إدريس الأول. إذ أننا نجد عند بناء مدينة فاس عام 193هـ/808م[2]، في عهد إدريس بن إدريس، قبائل متهودة في منطقة زهرون قرب فاس. كما سمح لهم إدريس الثاني بالسكن داخل أسوار فاس القديمة[3]، وذلك نظير دفع ضريبة الرأس المقررة سنوياً بمبلغ ثلاثين ألف دينار. وتعطي ضخامة هذا المبلغ فكرة عن عدد اليهود الكبير نسبياً[4]. وقد وافق إدريس الثاني لهؤلاء اليهود على بناء حي لهم في مدينة فاس القديمة أثناء تأسيسها، فبنوا الدور والحوانيت والرباع[5].

المهم أنه كان يقيم بفاس يهود مقابل دفع ضريبة سنوية مقدارها ثلاثون

← (6) - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج. س كولان، وليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، دار الثقافة بيروت 1983 ، جـ3 ص 275 .

(1) - ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 1972 ، ص7 ، 8 .

(2) - ابن عزاري المراكشي: نفس المصدر، جـ1 ص11 ، ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ4 ص230 ، الحميري: نفس المصدر، ص434 ، وقيل إنها بنيت عام 192هـ/808م. انظر ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب، ص9 .

(3) - نوال علي عبد العزيز: مرجع سابق، ص238 .

(4) - ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب، ص45 .

(5) - مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمين في البلديين، مخطوط مصور بالميكروفيلم، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1637/ تاريخ) ورقة رقم 1 .

ألف دينار[1]. وهذا عكس ما أثبته ابن أبي زرع الذي خوّل ذلك إلى إدريس الأول، الذي جاهد اليهود عام 173هـ/692م وقضى عليهم كما يقول، ورجع إلى مدينة وليلي عاصمة الاقليم. وهذا يثبت أن إدريس الأول لم يقض عليهم، بل احتواهم ابنه في مدينة فاس، وبنى لهم حيًّا خاصاً بهم إلى أن مات مسموماً عام 213هـ/828م[2]. كما نجد مدناً أخرى ذكر بها يهود مثل مدينة نكور[3]، حيث وجد في جنوب هذه المدينة باب اليهود[4].

كل هذه الأدلة هي عكس ماتوصل إليه ابن أبي زرع في القضاء على اليهود. ونجد أيضاً في العصر المرابطي دلالات على التواجد اليهودي، عندما أمر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عام 500هـ/1106م، بعدم دخول اليهود مدينة مراكش لكونها العاصمة. ففيها يتم وضع الخطط العسكرية للقيام بحركة الجهاد ضد دولة إسبانيا النصرانية. فمنعوا من دخول مراكش خوفاً من التجسس لصالح هؤلاء الأعداء، ولم يسمح لهم بدخولها إلا نهاراً لقضاء حاجاتهم ثم ينصرفون عنها عشية. فإذا عثر على أحدهم أبيح دمه وماله. ولذلك كان اليهود يرفضون المبيت في مراكش[5] خوفاً على أموالهم وأنفسهم[6].

---

(1) ـ مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمين بالبلديين، مخطوط ورقة رقم 1 .

(2) ـ ابن عذارى المراكشي: نفس المصدر، جـ1 ص211 .

(3) ـ نكور: مدينة بالمغرب قرب مدينة مليلة وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال ومسورة، وبها حمامات كثيرة وأسواقها عامرة وبها كثير من البساتين. انظر البكري المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص90 ـ 94 ، الحميري: نفس المصدر، ص576 ، 577 .

(4) ـ البكري المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص90 .

(5) ـ مراكش: من أعظم مدن المغرب الأقصى أختطها أبي بكر بن عمر اللمتوني عام 462هـ/169 ، ومراكش تعني بالبربرية اسرع المشي، وبنى علي بن يوسف بن تشفين أسوار هذه المدينة وكانت أذقتها واسعة وأسواقها حافلة وبنيت بها الفنادق والحمامات وفيها قيسارية عظيمة البنيان، وهي أكثر بلاد المغرب بساتين واعنابا وفواكه. انظر ابن عذارى المراكشي: نفس المصدر، جـ4 ص19 .

(6) ـ الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994 ، جـ1 ص235 .

رغم هذا الاعتراف بالتواجد اليهودي بالمغرب، إلا أننا نجد مؤرخاً معاصراً للدولة الموحدية يؤكد على عدم التواجد اليهودي: «لم ينعقد عندنا ذمة ليهودي ولانصراني منذ قيام أمر المصامدة، ولافي جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولاكنيسة. وإنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد ويقرؤون أولادهم القرآن، جارين على ملتنا وسنتنا والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم»(1). ولكنه يراجع نفسه ويعلق هذا الأمر على المشيئة خوفاً من خطئه وعدم إيمانه بإسلامهم. ولذلك كان الموحدون «يطردون اليهود الأندلسين والمغاربة المشكوك في عقائدهم وأفكارهم إلى مدينة أليسانة(2)». ومن هنا نجد مؤرخاً آخر يقول: «ساد المغرب اضطرابات بدأت عام 448هـ/1056م ولم تتوقف لمدة قرنين من الزمان وعاش كثير من اليهود في شبه عزلة(3)» ولذلك هرب بعضهم إلى الجنوب وسكنوا البوادي.

ومع ظهور بوادر التسامح الذي بدأ بعهد المأمون الموحدي (626 - 630هـ/1229 - 1232م)، وتخليه عن أفكار محمد بن تومرت وفكرة المهدي المنتظر، وأصدار كتابه إلى البلدان بمحو اسم المهدي من السكة والخطبة(4) تشكّلت ذلك بداية عصر لليهود في المغرب، وزاد مع استيلاء المرينيين على السلطة، خاصة وأنها ليست صاحبة أيديولوجية بل دولة ذات مسؤولية سياسية. ولذلك لاقى اليهود في عصرها قدراً كبيراً من الحرية والتسامح.

---

(1) - عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1963 ، ص383 .

(2) - أبو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة 1983 ، ص6 .
اليسانة: مدينة بالأندلس وهي مدينة اليهود ولها ربض يسكنها المسلمون وبعض اليهود وليس على الربض سور، والمدينة محصنة بخندق عميق حولها ومليء بالمياه وأهلها أغنياء ومن اليسانة إلى قرطبة أربعون ميلاً. انظر الادريسي: نفس المصدر، جـ2 ص571 ، 572.

(3) - Grauzel solomon. Ahistory of the Gaws - Amarica 1948. P. 724.

(4) - ابن خلدون: نفس المصدر، م6 جـ12 ، ص530 .

الفصل الأول

«الدولة المرينية والوطاسية وأثر اليهود في الحياة السياسية»

1 ـ نشأة وتطور الدولة المرينية والدولة الوطاسية.

2 ـ علاقة الدولة والعامة باليهود.

3 ـ السياسيون من اليهود.

أ ـ الحاجب.

ب ـ الوزراء.

4 ـ الإداريون من اليهود.

5 ـ السفراء من اليهود.

6 ـ أثر اليهود في الفتن والاضطرابات السياسية.

(1) ـ نشأة وتطور الدولة المرينية والوطاسية:

تنسب دولة بني مرين إلى فخذ قوي من قبيلة زناته التي تسكن الصحراء، ويتنقلون مابين ملوية وسجلماسة[1]، أي من القبائل الرحالة. وكان زعماؤهم يعرفون بالأحداث التي تجري من حولهم. وكانت لهم اتصالات قوية حيناً وضعيفة حيناً أخرى بالدول التي تحكم المغرب، وليس أدل على ذلك من مشاركتهم الفعلية في موقعة الأرك عام (561هـ/ 1195م) بقيادة الأمير محيو بن أبي بكر المريني. وقد استنفرهم إليها الخليفة يعقوب المنصور الموحدي، لما يعلم من شدتهم وقوة بأسهم وكثرة عددهم[2]. وكان الانتصار حليف الموحدين، مما زاد من أهمية المرينيين داخل الدولة الموحدية. ورغم ذلك لم يفكر المرينيون في التوغل داخل بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها إلا في سنة (610هـ/ 1213م)، إثر الهزيمة الكبرى التي لحقت بالموحدين في بلاد الأندلس في معركة العقاب في ذلك العام. وقد تولى الأمير عبد الحق بن محيو المريني بنفسه عملية الاشراف على تقدم المرينيين من وادي ملوية بالمغرب الأوسط وإدخالهم إلى بلاد المغرب الأقصى[3].

وبدأ المرينيون حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحدين، استمر ثمانية وخمسين عاماً[4]، وانتهى هذا الصراع على يد السلطان أبي يوسف

---

(1) ـ السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954 ، ج3 ص3 ، ابن خلدون: نفس المصدر، م7 ج13 ص343 .

(2) ـ السلاوي: الاستقصاء، ج3 ص4 .

(3) ـ محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم الكويت 1985 ، ص8 .

(4) ـ المرجع السابق ص8 .

يعقوب بن عبد الحق، عندما انتصر في موقعة وادي غفو، وقضى على آخر معقل للموحدين، ودخل مراكش العاصمة عام 668هـ/1269م(1). ومن هذا التاريخ يبتدئ عصر بني مرين. ولما توطدت أركان الدولة رأى السلطان أبو يوسف يعقوب المريني أن يختط مدينة تسكنها حاشيته وأهل خدمته وأولياؤه، وهي فاس الجديدة وذلك في عام 674هـ/1275م(2). وكان لليهود وضع داخل هذه الدولة من خلال خليفة بن حيون بن رقاصة المشرف على القصر السلطاني، وإمداده بكل ماتحتاجه عائلة السلطان(3).

وبدأت الدولة في الاتساع على يد السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب الذي تولى الحكم في عام 685هـ/1286م، حيث أحرز عدة انتصارات في الأندلس ضد الممالك المسيحية، وكذلك بالمغرب الأدنى والأوسط.

وازداد تسلط اليهود في عهد هذا السلطان كما سيتضح حين الحديث عن وضع اليهود السياسي في الدولة. وفي عهد السلطان أبي سعيد عثمان (710 - 732هـ/ 1310 - 1331م)، وصلت الدولة إلى ذروة ازدهارها السياسي والاقتصادي والثقافي، ووصل التسامح مع اليهود ذروةً أن هذا السلطان أمر العامة بالكف عن اليهود(4)، كما أمر ببناء حي خاص باليهود يوم الأحد التاسع عشر من شعبان عام 726هـ/1325م في مدينة فاس الجديدة(5).

وبعد وفاة السلطان أبي عنان الذي يعد آخر السلاطين الأقوياء في الدولة انتقلت السلطة الفعلية من يد السلاطين إلى يد الوزراء، وكان ذلك يشكل خللاً في الجهاز الحاكم للدولة، لدرجة أنهم لم يستطيعوا الدفاع عن أرض

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر م7 ج13 ص375 .
(2) ابن أبي زرع الأنيس المطرب، ص404 ، الذخيرة السنية، ص161 ، ابن خلدون نفس المصدر، م7 ج14 ص401/، ابن الأحمر: روضة النسرين، ص29 .
(3) - صالح محمد: دولة بني وطاس، ص62 .
(4) - الفردبل: الفرق الإسلامية، ص327 .
(5) - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص414 .

الدولة أمام أطماع البرتغاليين. فقام المغاربة بثورة ضد السلطان أبي سعيد عثمان الثاني عام (801 - 831هـ/ 1398 - 1427م)، لعدم قيامه بالدفاع عن سبتة، التي استولى عليها البرتغاليون عام (818 هـ/1415م)[1]. وفي هذه الفترة كانت السلطة الفعلية في يد بني وطاس[2]، وقد هيمنوا على السلطان عبد الحق المريني الذي تولى الحكم عام (831هـ/ 1427م) ولما انتبه هذا السلطان إلى استبدادهم بالأمر دونه، أنزل بهم وقعة استأصلت كثيراً منهم[3]. ولم ينج من هذه المذبحة سوى بعض الوطاسيين، وعلى رأسهم محمد الشيخ الوطاسي صاحب أصيلة[4]. ووصلت معلومات للسلطان أن العامة وكثيراً من الخاصة نقموا عليه لإيقاعة بالوطاسيين، وأضطرم حقد السلطان على رعيته، فسولت له نفسه بتعيين اثنين من اليهود، هما هارون وشاويل في منصب الوزارة، وجعل قائد شرطته الحسين اليهودي تأديباً لرعيته[5]. وكان هذا العمل بمثابة نهاية للدولة المرينية، حيث اندلعت الثورات في كل مكان من الدولة، ولم تنته إلا بضرب عنق هذا السلطان صبيحة يوم الجمعة 17 رمضان 869هـ/ 1465م[6]. وبايعت جماهير فاس الشريف أبا عبد الله الجوطي الذي استقل بالخلافة[7].

ولم يستطع الشريف الجوطي إدارة دفة الدولة، فبدأ محمد الشيخ الوطاسي الزحف من مقرة بأصيلة للاستيلاء على فاس، فبرز له الشريف الجوطي والتقى الجيشان بأحواز مكناسة. وانتصر الجيش الوطاسي ودخل محمد الشيخ الوطاسي فاس عام 876هـ/1471م. وانصرف لنشر سلطانه وتثبيت حكمه في

---

(1) - السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص92 .

(2) بنو وطاس فرقة من بني مرين غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق، انظر السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص118 .

(3) - المصدر السابق، جـ4 ص97 .

(4) - المصدر السابق، جـ4 ص119 .

(5) - المصدر السابق، جـ4 ص98 ، مجهول ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط، ورقة 5 .

(6) - السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص100 .

(7) - الزركشي: نفس المصدر، ص156 .

القبائل المجاورة لفاس وسائر المغرب الأقصى، وبذلك قامت دولة بني وطاس[1]. وقد شهد مطلع هذه الدولة عنف وضراوة حركة الاسترداد المسيحي ببلاد الأندلس، ولم يملك الوطاسيون أن يفعلوا شيئاً في ذلك الوقت، إلا أن يفتحوا المغرب الأقصى على مصراعيه لاستقبال المسلمين[2] واليهود الفارين من بلادهم. ورغم ذلك لم يستطع الوطاسيون أن ينشئوا نظاماً يقر سلطتهم على مجموع التراب المغربي[3]. ولذلك استغل البرتغاليون هذا الوضع واستولوا على عدة مدن مغربية مثل أنفي في عام 874هـ/1469م، وأصيلة في عام 876هـ/1471م[4].

وشهد المغرب في عهد السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي الذي خلف والده في عام (910هـ/1504م) نشاطاً كبيراً لمقاومة البرتغاليين من وجه، وضد السعديين القادمين من الجنوب والمناوئين للوطاسيين من جهة أخرى، وأسفر ذلك عن عدة حروب بينهما[5]، وكان الغلبة فيها للسعديين.

وفي عهد السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي الذي تولى عام 932هـ /1525م)، وقعت موقعة بو عقبة بوادي العبيد، أسفرت عن هزيمة الوطاسيين وانسحاب سلطانهم أبي العباس أحمد الوطاسي إلى فاس، بعد أن أجبر على توقيع معاهدة صلح يعترف فيها بامتداد نفوذ السعديين من تادلا حتى المغرب الأوسط[6]. وفي عهد هذا السلطان، استعمل عبد الرحمن المنجور اليهودي الذي أسلم، على جباية مكوس المغرب[7]. وازداد نفوذ اليهود في مدة حكم

---

(1) ـ الكراسي: عروسة المسائل، هامش ص14 .
(2) ـ محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي في المغرب الأقصى، ص102 .
(3) ـ ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبيل قيام الدولة السعدية، ص83 .
(4) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص116 .
(5) ـ محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي، ص108 .
(6) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص150 ، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص108 .
(7) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص158 ، مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط، ورقة7 .

هذا السلطان كما سيجيء في حينه من البحث. ولم تستطع الدولة الوطاسية الصمود في مواجهة هذه التحديات، خاصة عندما تولى محمد الشيخ السعدي السلطة في جنوب المغرب الأقصى في عام (946هـ/1539م)، وأخذ في الاستيلاء على ممتلكات الوطاسيين شيئاً فشيئاً، حتى انتهى بمحاصرته للعاصمة فاس الجديدة، واقتحمها في أوائل عام 956هـ/1549م[1]. ونقل السلطان أبا العباس الوطاسي معه إلى مراكش، حيث توفي عام 960هـ/1552م[2]. وفر من فاس أثناء حصارها أبو حسون الوطاسي إلى ثغر الجزائر، مستعيناً بالأتراك العثمانيين الذين استولوا على المغرب الأوسط من بني زيان. وفاوض أبو حسون الأتراك على مال كثير[3]، ووافق الأتراك على عرض أبي حسون، وأقبلوا معه بجيش كثيف تمكن من الاستيلاء على فاس الجديدة وفر محمد الشيخ السعدي من فاس، ودخلها أبو حسون وسط مظاهر السرور والفرح الشديد في عام 961هـ/1553م[4].

ولم يمض وقت طويل حتى كثرت شكوى الناس من عبث الأتراك العثمانيين وفسادهم واعتدائهم على الحريم، فبادر أبو حسون إلى دفع الأموال التي كان قد اتفق عليها معهم وأخرجهم من فاس، وتركوا نفراً يسيراً منهم لحماية أبي حسون[5]. ولكنَّ محمد الشيخ السعدي وجد أن الفرصة سانحة له للانقضاض على أبي حسون والقضاء على دولة بني وطاس، فزحف بجيش كثيف إلى فاس، ولم يصمد أبو حسون طويلاً حتى اقتحم محمد الشيخ السعدي فاس في الرابع والعشرين من شوال من عام 961هـ/1553م، وقتل السلطان أبا حسون. وبمقتل هذا السلطان انقرضت الدولة الوطاسية بالمغرب

(1) ـ محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي، ص108 .
(2) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص157 .
(3) ـ المصدر السابق، جـ4 ص159 .
(4) ـ المصدر السابق، جـ4 ص160 ، محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي، ص109 .
(5) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص160 .

الأقصى[1]، ودخل المغرب في عهد جديد.

هكذا نشأت الدولة المرينية والوطاسية وانتهتا. وإذا كنا قد أعطينا لمحة سريعة عن التطور السياسي لهاتين الدولتين، فقد حان الوقت للحديث عن الوضع السياسي لليهود في هاتين الدولتين، وعن علاقتهم بهما في فترة البحث.

(2) ـ علاقة الدولة والعامة باليهود:

لم تضع الدولة المرينية والوطاسية أي عقبات أمام اليهود، فقد أتاحت الدولة الإسلامية بمفهومها الديني لرعاياها من هؤلاء اليهود، قدراً كبيراً من الحرية داخل نطاق الدولة[2]، التي كان على رأسها السلطان. وكان هذا السلطان يستند في حكمه على مبدأ الوراثة[3]. وكان هذا المبدأ لايحترم في بعض الأحيان، ولذلك وقع التنافس بين الأمراء على السلطة، التي كان يفوز بها أقواهم وأقدرهم على الايقاع بالآخرين. وكان منهم من يستند أو يلجأ إلى الجيش، لتدعيم سلطته ضد الآخر أو التحالف مع الذميين لصالحه[4].

ولذلك نشأت علاقات قوية في بعض الأحيان بين اليهود وبعض السلاطين.

ويمكن التعرف على طبيعة علاقة سلاطين بني مرين وبني وطاس مع اليهود من خلال ماتركه لنا المؤرخون والفقهاء. فقد صدرت الفتاوى بتحريم قتال الذميين ـ واليهود منهم ـ إذا لم ينقضوا العهد، فلهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم إلا أن ينقضوا العهد[5].

وكان لليهود في بلاد المغرب الأقصى رؤساء، كانوا الوساطة في العلاقة

---

(1) ـ المصدر السابق، جـ4 ص161 .

(2) ـ مارسول كرنجال: نفس المصدر، جـ2 ص18 ، آدم متز، نفس المرجع، جـ1 ص384 .

(3) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص505 ـ 507 .

(4) ـ ابن الخطيب: نفاضه الجراب، ص306 .

(5) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص224 ، جـ8 ص262 .

بين الدولة ورعاياها من هؤلاء اليهود، وقد اعتبرت الدولة هؤلاء الرؤساء موظفين رسميين، بدليل أن توقيع تعيينهم كان يصدر من ديوان الإنشاء والعلامة(1) بعد أن تختاره الطائفة اليهودية، ثم كانت الدولة تقوم بتثبيته والاعتراف به.

ومن المعروف أن الجزية أحد شروط عقد الذمة. وعدم أدائها يعد خللاً في أحد شروط المعاهدة، وبذلك تتوتر العلاقة. وكانت أسماء اليهود تسجل في كشوف، فإن أخذت الجزية منهم كتب بها إيصال، وأعطي اليهودي تصريح المواطنة(2). وأما اليهودي القادم من خارج البلاد، فليس له الحق في دخولها إلا بهذا التصريح، الذي يدل على أنه دفعها في البلد الإسلامي القادم منها.

ومن مهام رئيس الطائفة اليهودية، أن يكتب إلى مسؤول الجزية في الديوان قوائم بأسماء المقيمين في البلاد من أبناء طائفته(3)، وأسماء من قدموا عليها لأخذ إيصال المواطنة(4).

وكانت الجزية مورداً من موارد الدولة(5). فتقام بها المساجد(6)، أو ينفق منها على المارستانات وعلاج المرضى، ومساعدة الفقراء بمرتبات شهرية تعطيها لهم الدولة(7). إذ أن الجزية كانت تبلغ أربعمائة دينار شهرياً(8). وكانت تجمع حسب المعتاد أربعة دنانير أو أربعين درهماً بالوزن الشرعي عن كل شخص في كل عام(9). ولكن ضعف السلطة المركزية للدولة نتيجة لأسباب كثيرة، منها

---

(1) القلقشندي: نفس المصدر، جـ5 ص198 .
(2) - Solomon - op - cit, P. 729.
(3) - قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، ص69 .
(4) - Solomon - op - cit, P. 729.
(5) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص153 ، محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني. ص281 .
(6) - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص297 ، صالح محمد: دولة بني وطاس، ص169 .
(7) - ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص100 .
(8) - الحسن الوزان: نفس المصدر: ص285 .
(9) - الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص253 .

الحروب ضد الاستعمار البرتغالي والقبائل المتمردة، أدى إلى تهرّب اليهود من دفع الجزية ـ فتناقصت. وأصبحت جزية يهود فاس على سبيل المثال لاتكفي لإعانة أسرة[1]. كما أصبح بعض اليهود لايؤدون الجزية كاملة، إذ كانوا يدفعونها درهماً عن كل رأس[2]، بينما وجد آخرون منهم في بعض المناطق لم يؤدوا الجزية تماماً مثل يهود توات[3]. وآخرون كانوا يدفعون للأمير المسيطر على المنطقة مثل يهود جبل هنتاته[4].

وقد تعرض اليهود لمصادرات وابتزازات مالية مثل المسلمين. ولكن عندما تولى السلطان أبو يوسف يعقوب مقاليد الحكم رفع ظلم واعتداء العمال عن الرعايا والغى مكوساً، كما محا الرسوم التي كانت تدفع على الرتب والمناصب[5].

وكذلك أسقط أبو الحسن المريني عام 731هـ/1330م الجزية عن اليهود[6] بسبب حسن سلوكهم.

ومن ناحية أخرى، وقفت الدولة أحياناً في وجه العامة التي هاجت مشاعرهم لتمتع بعض اليهود بمظاهر الثراء مثل الحكيم بن قبنال الذي كان يعمم ويتختم ويركب السروج على فاره الدواب، ويقعد في حانوته ويمشي في الأسواق بغير غيار يعرف به، بل كان يلبس أفخر من زي كبار المسلمين[7]. وفي بعض الأحيان كان بعض كبار الأمراء، يفرض حمايته على بعض اليهود خاصة القائمين بتدبير أموال أشراف المغرب[8].

---

(1) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص112 ، 150 .

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص55 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص129 .

(4) ـ المصدر السابق، ص145 .

(5) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص436 .

(6) ـ ابن مرزوق: نفس المصدر، مخطوط ورقة 285 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص240 .

(7) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص254 .

(8) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ4 ص156 .

وكان على اليهود من الوجهة النظرية عدم استحداث أية معابد أو أديرة جديدة في دار الإسلام[1]. ولكن الواقع يؤكد أن هذا الشرط لم ينفذ بدقة. فإن المعابد بنيت تحت أنظار الحكام وبمساعدتهم أحياناً، مثلما جرى في الملاح في مدينة فاس الجديدة، وفي مدينة توات[2]. مما أحدث كثيراً من المشاكل مثل قيام محمد عبد الكريم المغيلي وأنصاره بهدم البيعة التي بنيت في المدينة الأخيرة[3].

وفي بداية عهد الدولة المرينية وقف سلاطينها ضد استخدام اليهود في الجهاز الإداري. وأبلغ دليل على ذلك استنكار وزير أبي يعقوب يوسف بن يعقوب في القاهرة وكان مع السلطان بيبرس الجاشنكير، فحضر أحد كتاب النصارى، فقام إليه الوزير المغربي على أساس أنه مسلم. ثم ظهر له أنه نصراني فقامت قيامته، وقام إلى السلطان يتحدث معه في أمر النصارى واليهود، حيث إنّهم بالمغرب في غاية الذل والهوان[4].

ولكن ثبت غير ما قاله الوزير، عندما استخدم أبو يعقوب يوسف بن يعقوب حاجباً يهودياً وهو خليفة بن حيون بن رقاصة[5]، كما استخدم عبد الحق المريني آخر سلاطين بني مرين شاويل اليهودي[6] وزيراً له.

وبذلك يتضح أن اليهود تولوا عدة وظائف هامة في الدولة، خاصة في نهاية عهد بني مرين وفي دولة بني وطاس. ورغم المعارضة الشديدة من قبل الفقهاء لهذه السياسة إلا أن معارضتهم ذهبت هباء.

---

(1) - ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، جـ2 ص137 ، الونشريسي: نفس المصدر: جـ2 ، ص 149 .

(2) المغيلي: مصباح الأرواح، ص56 .

(3) - الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت سنة 1986 ، الطبعة السابعة م6 ص216 ، عبد القادر زبادية: نفس المرجع، ص212 .

(4) - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة بدون تاريخ، جـ8 ص133 .

(5) - بان الأحمر: روضة النسرين، ص31 ، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، ص39 .

(6) - السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص98 .

ويبدو أن مابلغه اليهود من ثراء ونفوذ نتيجة لعملهم في الإدارة وماتظاهروا به من العظمة، قد سبب لهم الطرد من وظائفهم من آن لآخر[1]. وكانت الحوادث التي يطرد فيها اليهود من وظائفهم وأعمالهم عبارة عن رد فعل من قبل الدولة، ثم يأتي الطرد إرضاء لمشاعر عامة الناس الذين رأوا أن اليهود يكونون الثروة، ويتمادون في إيذاء مشاعر المسلمين وإلحاق الضرر بهم من خلال تلك الوظائف والأعمال. بينما جموع الشعب المغربي مطحونة تحت أعباء الضرائب التي فرضت عليهم، مثل حوادث السيطرة على القيسارية بقيادة الحسين اليهودي[2].

وفي النهاية نجد أن الدولة لاتتدخل إلا تحت ضغط الشعب[3] لأن اليهودي خاصة المرابي لم يكن موضع حب الجماهير أو ثقتهم بل كان محط شكوك الجميع وكراهيتهم[4].

ورغم ماقامت به الدولة من حماية مصالحهم وحريتهم، إلا أن اليهود لاينسون أن العرب امتازوا عليهم وسادوهم بفضل الإسلام قروناً بعد قرون[5]. ولكن طابع التسامح غلب على دولة بني مرين وبني وطاس مع الرعايا اليهود، ومالاقوه من عداء من المسلمين في بعض الفترات التاريخية لايقدر بما لاقاه اليهودي على مر تاريخه في الشرق والغرب.

(3) السياسيون من اليهود:

استخدمت الدولة المرينية اليهود في عدة مناصب هامة في الدواوين، فكان منهم الحاجب والوزير.

---

(1) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط ورقة 3 .

(2) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط ورقة 5 .

(3) ـ ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ2 ص72 .

(4) ـ المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، جـ1 ص25 .

(5) ـ حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص301 .

(أ) الحاجب:

يعرفه ابن خلدون «بالمزوار» وهو يترأس الجنادرة المنصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وعقوباته وحفظ المعتقلين في سجونه[1]. وهذه المهام يقوم بها وزير التنفيذ بمفهوم ذلك العصر، لأن الشروط الواجبة فيه تصلح لليهودي وخلافه، وهي الذكاء والفطنة والأمانة وصدق اللهجة وقلة الطمع[2]. ولذلك أكد ابن خلدون على هذا بقوله أن الحجابة كأنها وزارة صغرى[3]، ولكن الغالب على من تولى هذا المنصب من اليهود تجاوز المهام المكلف بها لصالح نفسه ولصالح طائفته.

وبدأ منصب الحاجب بوظيفة القهرمان[4]، وهو القائم على خصوصيات القصر من كل ماتحتاجه عائلة السلطان بأخذ مؤونتها من رئيس التموين[5].

وقد أسند السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني هذه الوظيفة إلى خليفة ابن حيون بن رقاصة من اليهود المعاهدين[6]، وكان هذا من عادة الأمراء في تعيين قهرمان لقصورهم.

فبدأ خليفة بن حبون بن رقاصة مع السلطان يوسف بن يعقوب منذ

---

(1) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ1 ص428 .

(2) ـ فتحية النبرواي: نفس المرجع، ص61 ، 62 .

(3) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ1 ص429 .

(4) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ 12 ص483 ، ابن الأحمر: النفحة النسرينية، ص39 .

(5) ـ صالح محمد: دولة بني وطاس، ص62 .

(6) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص483 ، ابن الأحمر: النفحة النسرينية، ص39 ، ذكر سعيد عبد الفتاح عاشور أن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق وحفيده السلطان أبا الربيع سليمان اتخذا حاجباً يهودياً يدعى خليفة بن حيون بن رقاصة. ولكن وجد أن السلطان أبا الربيع اتخذ خليفة الأصغر حاجباً له وليس خليفة بن حيون، لأن هذا الرجل قتل في عهد السلطان يوسف من آل رقاصة في عام 701 هـ سنة 1301 م. انظر ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص497 ، سعيد عبد الفتاح عاشور: المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، ص359 .

صباه، يعصر له الخمر ويجهز له الخلوة مع الندماء مستتراً بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لمكانته من الدين والوقار، وعندما توفي يعقوب تولى ابنه يوسف السلطنة فانفرد خليفة بن حيون بن رقاصة بخلوته مع السلطان والندماء. واستمر آل ابن رقاصة في شغل وظيفة القهرمان لمدة طويلة لأنهم كانوا عائلة. الأكبر خليفة وأخوه ابراهيم، وابن عم يسمى خليفة لقبوه بالصغير. وكان معهم في قهرمانه القصر موسى كبير بني السبتي صهراً لخليفة بن حيون وخلفاً له في قهرمه القصر[1]. واستمر خليفة بن حيون وعائلته في قهرمه القصر إلى أن أصبحوا مركز ثقل، وكان الخاصة يتلقون الأوامر من زعيمهم خليفة بن رقاصة، فصارت له الوجاهة بينهم وعظم قدره بين الوزراء والشرفاء والعلماء[2]. أي قام مقام الحاجب، مما جعل السلطان يوسف بن يعقوب يستريب من أعمالهم، فالتفت إليهم وإلى أفعالهم. وأطلعه على ذلك كاتبة أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين[3]. لأن لاشيء أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب[4]، وخاصة عندما يكون الحاجب يهودياً ويعمل لحساب طائفته.

ولذلك قام هذا السلطان باعتقالهم في شعبان من سنة 701 هـ/ 1301م بمعسكره أثناء حصار تلمسان، وقتل خليفة الأكبر رأس الأفعى وأخاه ابراهيم وبنى السبتي بعد أن امتحنوا ومُثِّل بهم. ولم يترك السلطان يوسف من آل رقاصة إلا خليفة الأصغر احتقاراً لشأنه[5].

وفي عهد السلطان سليمان بن عبد الله يوسف بن يعقوب الذي تولى الحكم عام 708هـ/1308م اتخذ خليفة ابراهيم المعروف بالأصغر حاجباً له، ولم يتعظ هذا السلطان بما فعله بنو رقاصة مع جده أبي يعقوب يوسف بن يعقوب

(1) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص483 ، 484 .

(2) ـ المصدر السابق، م7 جـ13 ص483 ، 484 .

(3) ـ السلاوي: نفس المصدر جـ3 ص81 .

(4) ـ الابشيهي: المستطرف في كل فن مستطرف، المكتبة التجارية القاهرة بدون تاريخ، ص92 .

(5) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص 484 ، السلاوي نفس المصدر جـ 3 ص 81.

بن عبد الحق في عام 701هـ/1301م، وكان عمره إحدى عشرة سنة وقت نكبة بني رقاصة لأنه توفي وعمره عشرون سنة(1). وكان أبو خزر خليفة في يده كل شيء، لدرجة أن عبد الله بن الشيخ الصالح أبي مدين شعيب المعروف بأبي مدين، كان لايفصل في شيء رغم ماعرف عن عائلة أبي مدين في ديوان الإنشاء والعلامة(2).

فكان أبو مدين لايقدم على أمر حتى يأخذ رأي ابن أبي خزر خليفة(3)، الذي تمتع عند السلطان بمكانة كبيرة، لدرجة أن كثيراً من أفراد الجيش من بني مرين كانوا ينادونه بسيدي أبي خزر، لتعظيم السلطان سليمان له وتوليته كل شيء في الدولة(4). ولكن وضع خليفة ابراهيم لم يستمر طويلاً لأن مصيره كان مصير من سبقه من هذه العائلة اليهودية.

وبعد وفاة السلطان أبي عنان وسيطرة الوزراء، وصلت الدولة إلى حالة من الانحلال لدرجة أن سلاطينها لم يستطيعوا الدفاع عن أرضها. فاستولى الاستعمار البرتغالي على سبتة في عام(5) 818هـ/ 1415م. وعندما يئس الناس من السلطان أبي سعيد عثمان لعدم قيامه بالدفاع عن سبتة، قامت ضده ثورة راح ضحيتها سبعة من أبنائه. وظلت مملكة فاس بدون ملك لمدة ثمانية أعوام، أمكن في نهايتها التعرف على ولد صغير لأبي سعيد مولود من نصرانية، كانت قد هربت به إلى تونس وقت المذبحة وكان اسم هذا الوليد عبد الحق(6).

وفي هذه الفترة كانت السلطة الفعلية في يد بني وطاس. فكانوا هم الوزراء والحجاب، وعلى رأس بني وطاس أبو زكريا يحيى بن يحيى بن عمران

---

(1) ـ ابن الأحمر: روضة النسرين، ص33 .
(2) ـ القلقشندي: نفس المصدر، جـ5 من 198 ، محمد عيسى الحريري: تاريخ الغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص265 .
(3) ـ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط 1972 ، ص58 .
(4) ـ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص58 .
(5) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص92 .
(6) ـ حسن الوزان: نفس المصدر، ص319 ، 320 .

ابن زيان الوطاسي. وكانت ولايته مبدأ الشر ومنشأ الفتنة عندما استقل بالحجابة، وأخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند، وعامل الرعية بالعسف، وعزل قاضي مدينة فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن عيسى بن علال المصمودي، وقدَّم مكانه الفقيه يعقوب التسولي، وهيمن الوطاسيون أيضاً على السلطان عبد الحق المريني الذي تولى عام (831هـ/1427م)، إلى أن انتبه إلى استبداد نفوذهم، فسطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم(1). ونما إلى هذا السلطان أن العامة وكثيراً من الخاصة قد نقموا عليه لايقاعه بالوطاسيين، وأن آذانهم صاغية إلى محمد الشيخ الوطاس صاحب أصيلا الذي نجا من المذبحة، فولى عليهم اليهوديين هارون وشاويل(2)، وشكل هذا العمل النهاية لسلطة المرينيين.

(ب) الوزراء:

وللوزير عدة تعريفات: الأول أنه من الوزر وهو الثقل، لأنه يحمل عن الملك أثقاله(3). والثاني مشتق من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره. والثالث مشتق من الوزر وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه(4).

وبالبحث في مصادر الدولة المرينية لم نجد ذمياً يهودياً يتقلد الوزارة إلا في عهد السلطان عبد الحق آخر سلاطين بني مرين، عندما أراد الانتقام من بني وطاس المسيطرين على الدولة، والانتقام من العامة، فعين اليهوديين هارون وشاويل(5). وكان هارون أحد الصرافين العاملين في الشؤون الاقتصادية(6).

---

(1) - السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص97 .

(2) - المصدر السابق ص98 Nasr abid. p..13.

(3) - الماوردي: قوانين الوزارة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ومحمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة القاهرة 1978 ص61 ، ابن خلدون: نفس المصدر، م1 ، جـ1 ص419 .

(4) - الماوردي: قوانين الوزارة، ص62 ، ابن خلدون: نفس المصدر، م1 ، جـ1 ص419 .

(5) - السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص98 .

(6) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص27 .

فاستعان به السلطان عبد الحق في سياسته المالية التي لاتحظى بأي تأييد شعبي[1].

وهذا الاختيار يؤكد أن الدولة المرينية كانت قد وصلت إلى الإفلاس، وأن خزانتها كانت خاوية نظراً لكثرة ثورات القبائل والعصائب[2]. ولم يعد الأمراء المرينيون هم المحركون الحقيقيون للأحداث. فقد سيطر محلهم في المدن زعماء القبائل الذين كانوا هم الحكام الفعليون[3]، مما جعل الكثير من الحواضر المغربية تنفرد باستقلالها[4]. وكان هذا الأمر من الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الوزير اليهودي الذي أسند له السلطان الوزارة وبيت المال[5]، فاختار شاويل نائباً له.

وأول شيء قام به هذا الوزير اليهودي وحاجبه اليهودي، هو ضرب أهل فاس ومصادرة أموالهم والتحكم في الأشراف والفقهاء منهم وفي باقي الطبقات العامة[6]. وزاد من سخط العامة على الدولة أنها لم تستطع حماية طنجة من هجمات البرتغاليين فاستولوا عليها عام 869هـ/1464م[7]. وأفلست الدولة لدرجة أن السلطان وافق على مشاريع الوزير اليهودي في تحصيل عدة ضرائب من المسلمين[8] لملء خزانة الدولة الخاوية. فزاد في غلوّه حتى فرض على أهل قيسارية فاس دفع مبلغ من المال كهدية للسلطان وإلا طردوا من القيسارية. كما جمع من اليهود المهاجرين هدية مقابل سيطرتهم على قيسارية فاس، وكانت هذه الأعمال تتم بعلم السلطان[9]. وكان هارون اليهودي يقوم

---

(1) - Nasr. op cit. p. 135.

(2) - ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ1 ص290 .

(3) - عبد الله العروي: نفس المرجع. ص239 .

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ1 ص450 .

(5) - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ص132 .

(6) - السلاوي: نفس المصدر، جـ3 ص98 .

(7) - المصدر السابق، جـ3 ص98 .

(8) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوطة ورقة 4 .

(9) - مجهول: قصة المهاجرين، مخطوطة ورقة 4 .

بكثير من الأعمال، ولايأخذ أمر السلطان المغلوب على أمره مدة ثلاثين سنة[1]، فأصبح هارون هو صاحب السلطان الفعلي في الدولة[2].

ولمزيد من السطوة عين الحسين اليهودي قائداً للشرطة مع أن هذا المنصب لايكون إلا في يد مسلم، للقيام بحماية أرواح الناس وحماية أموالهم وممتلكاتهم وصيانة حقوقهم[3]. وجعل الوزير اليهودي من قائد شرطته سيفاً على أعناق أهل فاس وأصحاب القيسارية. مما جعلهم يبيعون حوانيتهم في القيسارية في أشهر معدودة مجبرين. وكل ذلك بعلم وتحت سمع السلطان المريني عبد الحق[4].

ولم يفلت من قبضة الحسين اليهودي إلا أقلية قبلت على نفسها دفع مزيد من الضرائب، مما زاد من سخط الناس ضد اليهود والسلطان. فهاج الناس عليهما مما أدى في نهاية الأمر إلى قتل السلطان ووزيره اليهودي.

أما في زمن الدولة الوطاسية، ففيها أقاويل صدرت عن بعض المؤرخين أنه لايجوز إطلاق لفظ دولة عليها. والأصلح إطلاق لفظ إمارة، نظراً لصغر مساحتها الجغرافية. تلك المساحة التي كانت تسيطر عليها الدولة المرينية. ولعدم استقرار هذه الدولة وكُلت شؤونها وتيسير النشاط الاقتصادي بها إلى رجال لايحظون بثقة الناس، لأنها غير قادرة على أن تفرض نفسها[5]، نظراً لكثرة الفتن والحروب فتدهورت حالتها، وذهبت هيبتها[6]، لدرجة أن السلاطين

(1) - ابن شاهين: الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم، مخطوط بدار الكتب المصرية المكتبة التيمورية (رقم 2403 تاريخ ورقة 23).
(2) - الزركشي: نفس المصدر، ص156 .
(3) - محمد عيسى الحريري. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص274 ، 275 .
(4) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوطة ورقة 5 .
(5) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبيل قيام السعديين، ص82 .
(6) - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ص132 .

الوطاسين لم يستطيعوا حماية الريف المغربي مقر عصبيتهم[1]. فقد قامت فيه ثورة على ابن راشد الذي استضعف سلطة محمد الشيخ الوطاسي[2].

ووصل الانحلال بالدولة الوطاسية أن اقتسموا المغرب مع السعديين[3]، إلى جانب أن المصادر لم تمدنا باسم وزارة أو وزير أو حاجب في هذه الدولة.

(4) الإداريون من اليهود:

يعود النظام الإداري لدولة بني مرين في أصوله إلى النظام الإسلامي بصورة عامة، ونظام الموحدين بالمغرب بصفة خاصة. إلا أن السلطان أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق زاد على تقسيم الموحدين ثلاثة أقاليم، لأنهم حصلوا بعض المناطق الهامة وجعلوها إقليماً إدارياً مستقلاً لأهميته كإقليم درعه وإقليم سلا[4].

والغالب في اختيار موظفي الإدارة أن يختاروا من بين الفقهاء، وأن يتم تعيينهم من قبل السلطان نفسه. وبدراسة ماتوفر لدينا من مصادر ومراجع لاحظ الباحظ، أن بعض الموظفين بدولة بني مرين وبني وطاس كانوا من أهل الذمة، وذلك لعدم معرفة المرينيين والوطاسيين بالنظم الإدارية[5]. فكان المرينيون يستعينون بجنسيات غير مغربية في أمر الكتابة وغيرها، مثل قبض الجبايات

---

(1) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص450 .

(2) ـ الكراسي: نفس المصدر، ص17 .

(3) ـ السلاوي نفس المصدر، جـ4 ص151 .

(4) ـ الأقسام الإدارية في عهد الموحدين «فاس، سجلماسة، السوس، تلمسان، الصحراء سبتة وطنجة، والأقاليم الادارية في عهد بني مرين» فاس، مراكش، اغمات، سلا، مكناسة، رباط تازي، سجلماسة، درعة، انظر. حسن علي حسن: الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة 1973 ، ص141 ، الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص268 ، 296

(5) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص345 .

والأموال[1]، كما استعمل بعض السلاطين المرينيين اليهود في بعض الخدمات[2]. فزاد نفوذهم أوائل أيام أبي الحسن المريني، فأصدر أمراً بأن اليهود لايطالبون بشيء من الوظائف والتكاليف ماعدا الجزية والأعشار اللازمة شرعاً[3].

واستمر الوضع على ذلك في استخدامهم، إلى أن تولى السلطان عبد الحق المريني، وتم تعيين يهودي قائداً للشرطة هو الحسين، رغم كون هذه الوظيفة كانت تابعة لديوان القضاء لكونها تعمل على تنفيذ أحكامه[4] وكانت تحت نظره. ولكنهم فصلوها عن القضاء فيما بعد لحاجة الحكام إلى ذلك. لما للقضاء من قيود شرعية تحد من مرونة صاحب الشرطة[5]، وأصبح صاحبها بعد ذلك مرؤوساً لصاحب السيف[6].

وقد أمدتنا المصادر والمراجع ببعض الأعمال التي قام بها الحسين اليهودي. إلا أن هذه الأعمال كانت لصالح طائفته اليهودية. مثل شراء حوانيت القيسارية بفاس لصالح اليهود المهاجرين. ولما ضجَّ الناس من مضايقات اليهود لهم في القيسارية، شكوهم إلى ناظر الأحباس فمنع بيع الحوانيت، فسعى اليهود إلى الحسين اليهودي فأمره بذلك، بحجة أن ثمن الحوانيت تدفع إلى السلطان عبد الحق المريني وأنه محتاج إلى تلك الأموال، وهو مفوض من قبل السلطان في ذلك[7].

هذا إلى جانب قيامه بعمل كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، إذ أطاح هذا العمل بالسلطان ووزرائه وقائد شرطته. وذلك عندما قبض الحسين

---

(1) - الحكيم: نفس المصدر، ص137 .
(2) - محمد المنوني: نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، عدد 4 ، 5 ص255 .
(3) - الحكيم: نفس المصدر، ص138 .
(4) - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال سنة 1903 جزء 1 ، ص91 .
(5) - ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ1 ص445 .
(6) - المصدر السابق: م1 جـ1 ص445 .
(7) - مجهول: قصة المهاجرين، مخطوط ورقة 4 ، 5 .

على امرأة شريفة وأوجعها ضرباً، فتوسلت برسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد اليهودي من ضربه لها. وسمع الناس بذلك فازدادوا غيظاً، واجتمعوا عند خطيب مسجد القرويين أبي فارس عبد العزيز بن موسى الوريكالي، وكان له صلابة في الحق، فشجع العامة ضد اليهود، وأعلن الجهاد، ونادى في شوارع فاس، واجتمع عليه السواد وطالبوا الشريف عبد الله الجوطي السلطة[1]، وثار العامة انتقاماً للمرأة من اليهود، فأخذوا يضربونهم ويقتلونهم حتى كادوا يقضون عليهم ولم ينج منهم إلا من فر هارباً من فاس[2].

أما بنو وطاس فليس لهم نسب ولامذهب سياسي يعتمد عليه، كما لايوجد عمال ولاقادة جيش قوى ولاأطر إدارية في مستوى دولة بني مرين[3]. فتجزأت الدولة وتكونت وحدات إدارية شبه مستقلة، مثل شفشاون وتطوان والقصر الكبير وخلافه. وذلك نتيجة البعد عن مقر الهيئة الحاكمة[4]. وضعف السلطة الحاكمة، مما أدى إلى اعتراف الدولة الوطاسية بصلاحيات شيوخ البربر في المناطق التي يسيطرون عليها[5]، مثل سيطرة عائلة الزواودة وأحلافها في واحات الجنوب[6]. وكان بعض هؤلاء الشيوخ يستخدمون اليهود كحراس أو مدافعين لحسابهم، كما حدث من شيوخ جبل دمنسرة. فقد وجد في هذا الجبل يهود يمتطون الخيول ويحملون السلاح ويحاربون لحساب شيوخ الجبل المذكور[7].

وفي فترة حكم أحمد البرتغالي، استعمل عبد الرحمن المنجور وهو من

---

(1) ـ ابن شاهين: نفس المصدر ورقة 25 ، السلاوي: نفس المصدر جـ 4 ص99 .

(2) ـ ابن شاهين: نفس المصدر، ورقة 23 .

(3) ـ ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبيل قيام السعديين، ص83 .

(4) ـ عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، جامعة محمد الخامس، المغرب 1977 ، ص16 .

(5) ـ صموائيل آتينجر: نفس المرجع، ص322 .

(6) ـ عبد القادر زبادية: التلمساني، مجلة الأصالة عدد 26 ، ص207 .

(7) ـ الحسن الوزان: مصدر سابق، ص123 .

اليهود الذين أسلموا حديثاً لجمع مكوس المغرب. فكان يدفع عن مكس فاس ألف دينار عن كل سنة[1]، وقيل عشرون ألف دينار[2].

ومن أفعال المنجور في عهد السلطان أحمد الوطاس، أن باع قيسارية فاس لليهود بعد مشورة السلطان، الذي كان في حاجة للمال لمحاربة محمد الشيخ السعدي[3]. واستمر المنجور في غشه وخداعه إلى أن ضبط متلبساً في عهد أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي، وشهد عليه الشهود فقتل وصودرت أمواله لحساب بيت المال[4].

(5) السفراء من اليهود:

إن الخوض في التاريخ الدبلوماسي بالغ الصعوبة، نظراً لتفرق وثائقه بين الدول ذات الصلة بالمغرب. وهناك صعوبة أخرى تكمن في أن من يقوم بهذه المهمة، يجب أن تكون لديه عدة لغات يتحدث بها حتى يستطيع أن يتعامل مع حكام دول الافرنج ذات العلاقة بالمغرب. ولذلك كان يتم اختيار السفراء في دولة بني مرين وبني وطاس بدقة متناهية.

وأثناء البحث وجدت صعوبة في ذكر كثير من السفراء، ولكن لم أجد صعوبة في ذكر المعاهدات. ولكن الوثائق أغفلت دور من مهد لعقد هذه المعاهدات بين الملوك. ونادراً ما كان يذكر اسم السفير الذي قام بهذا الدور. ففي عصر بني مرين كان السفراء مسلمين مثل عبد الله الترجمان والقاضي ابن أبي الصبر[5].

(1) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 5 .
(2) ـ نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص252 ، هذا المبلغ مبالغ فيه نظراً لهيمنة اليهود على النشاط الاقتصادي إلى جانب سيطرتهم على قيسارية فاس وضعف السلطة وانسلاخ بعض الولايات عن جسم الدولة مما يقلل من مكس البلاد.
(3) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 5 .
(4) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص158 .
(5) ـ عبد الهادي التازي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، المغرب 1985، ص9 ، 10 ، 64 .

أما في عهد بني وطاس فكان السفراء من اليهود، خاصة المهاجرين منهم من ذوي الثقافة الأندلسية، والذين كانوا يجيدون عدة لغات. وأغلب من لعب دور هؤلاء السفراء هم التجار اليهود من الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأقصى. والذين استقروا فيه كانوا يتميزون عن اليهود المغاربة(1) المحتقرين من قبل اليهود المهاجرين(2)، ولذلك كان لبعض هؤلاء اليهود المهاجرين دور كبير في خدمة بني وطاس، مثل يعقوب روساليس، الذي أرسله سلطان فاس أحمد بن محمد الثاني في عام 936هـ/1530م إلى جان الثالث ملك البرتغال، يشكره على الاستقبال الحافل لحاشيته وخادمه يعقوب روساليس، ويتأسف على عدم تنفيذ طلبه في إرسال أولاد علي برومومو لأنهم اعتنقوا المسيحية(3).

كما أرسل يعقوب روساليس إلى البرتغال في سفارة أخرى، لعقد سلام بين سلطان فاس أحمد بن محمد الثاني وملك البرتغال جان الثالث في عام 935هـ/1538م، وكللت جهود يعقوب روساليس بالنجاح(4).

كما أرسل السلطان أحمد بن محمد الثاني سفيره ابراهام القرطبي، الذي يبدو من اسمه أنه كان من المهاجرين الاسبان. في مهمة دبلوماسية في عام 939هـ/1532م إلى إسبانيا(5).

ومن هذه السفارات يتضح أن الغرض منها، كان إمّا تعيين الحدود بين البرتغال والوطاسيين(6). أو مساعدة الوطاسيين ضد السعديين المناوئين لهم في الحكم. فواصل أحمد بن محمد الثاني الوطاس تقربه إلى البرتغاليين الذين كانوا في حرب ضد السعديين، فأرسل يهودياً يسمى يعقوب روط في عام 946هـ/

---

(1) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص90 .

(2) - Solomon. op. cit. p. 729.

(3) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي عهد بني مرين وبني وطاس، المغرب 1988 ، م7 ص252 ، Barbour. op. cit. p. 90.

(4) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص89 .

(5) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص243 .

(6) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي م7 ص252 .

1536م إلى لشبونة لهذا الغرض. وسبب اختيار يهودي لهذه المهمة هو خوف أحمد الوطاس من إرسال مسلم يمكن أن يتحالف مع البرتغاليين ضده[1].

وقد جمع يعقوب روط اليهودي عدة مهارات مثل العمل بالتجارة. كما أصبح مورداً لمؤن الجيش المغربي، وعمل بالترجمة، وتولى عدة مناصب في الطائفة اليهودية، إلى أن وصل لمنصب شيخ اليهود. واستطاع أن يكسب ثقة كل من الوطاسيين والبرتغاليين[2]. ودامت مهمته في لشبونة ولم تنته إلى أي اتفاق[3]. وأرجح أن سبب هذا الفشل يرجع إلى رجحان كفة السعديين في حروبهم ضد البرتغال من جهة، وضعف حكم الوطاسيين وضياع نفوذهم من جهة أخرى، فأصبحوا غير جديرين بالتحالف مع البرتغاليين.

ويتميز العصر الوطاسي بكثرة اليهود خاصة المهاجرين منهم. ولعب أغلبهم دوراً مزدوجاً بين السفارة والتجسس. مثل السفير داود رباني، الذي كان يحمل ثقة سلطان فاس. فكان يأخذ خطابات من إبراهام بن أزمير وأحد يهود فاس، وكذلك من حاكم طنجة[4] التي كانت محتلة احتلالاً برتغالياً[5]. وكانت هذه الخطابات مرسلة إلى ملك البرتغال ويوضح مضمونها استعدادات الوطاسيين أو السعديين للحرب. فكان سليمان بن زاميرو ابن أخ إبراهام زاميرو الذي كان من أغنى تجار مراكش، يكلف نفسه عناء السفر إلى أسفى ليخبر عمه - ابراهام - باستعدادات السعديين[6]. وكانوا يحصلون على أموال طائلة مقابل جاسوسيتهم[7].

---

(1) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص 328 . Barbour. op. cit. p. 86.
(2) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص90 .
(3) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، م 7 ص260 ، عكس ماوصلت إليه الدكتورة نوال عبد العزيز: في أن مهمة يعقوب روط كللت بالنجاح، انظر، نوال عبد العزيز: نفس المرجع، ص90 .
(4) - Elkdn, nathdn, adler, jewish, travellers. London. P. 262.
(5) - السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص98 .
(6) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص328 .
(7) - مارمول: نفس المصدر، جـ2 ص78 .

إلى جانب هؤلاء السفراء المرسلين من قبل سلاطين فاس، كان يوجد سفراء مقيمون بفاس مثل السفير البرتغالي دي فاركاش[1]، الذي أرسل رسالة إلى جان الثالث بتاريخ 5 يناير 1542م/18 رمضان 948هـ، يخبر فيها البرتغال بتحركات السفراء والعلاقات التي تجري داخل العاصمة[2].

(6) ـ أثر اليهود في الفتن والاضطرابات السياسية في بلاد المغرب الأقصى:

قام يهود المغرب الأقصى بفتن ومكايد ضد المسلمين. فقد استغلوا وضعهم السياسي والشرعي داخل الدولة التي منحت لهم عدة مناصب من قبل السلاطين والأمراء، فاستغلوا ذلك لصالحهم أو لصالح أهل ملتهم، أو لضرب المسلمين الحاقدين عليهم[3].

مثال ذلك عندما كانت خليفة بن رقاصة حاجباً للسلطان أبي يعقوب يوسف، فقد استعلى هذا الرجل هو وعائلته على كل الوزراء والعلماء والشرفاء. فنصح الوزير وكاتب العلامة (أي الخاتم) عبد الله بن أبي مدين، السلطان أبي يعقوب يوسف بالتخلص منهم. فدبر لهم مكيدة ونكّل بهم، واستبقى من عائلة رقاصة خليفة الصغير[4] عبرة لباقي اليهود. وسرعان ماتناسى المسلمون ماجرى لهم على يد اليهود. إلا أن خليفة الصغير كان يتملق السلطان ليصل إلى غرضه، وهو غرض كل يهودي. وهو حب الانتقام وإشعال الثورات على مر التاريخ. وكان هذا الأمر ديدنهم كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا[5].

---

(1) ـ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، م7 ص258 .
(3) ـ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، م7 ص259 .
(3) ـ حسين مؤنس: كيف نفهم اليهود، ص54 .
(4) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص484 .
(5) ـ عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص43 .

ونتيجة لتعلق خليفة الصغير بالسلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر، فقد عينه هذا السلطان حاجباً له في عام 708هـ/ 1308م[1]، وقيل عينه وزيراً[2].

وهنا بدأ خليفة الصغير يدبر مكيدته انتقاماً من صاحب العلامة عبد الله بن أبي مدين، الذي كشف أفعال خليفة بن حيون في قصر يوسف بن يعقوب. فدس خليفة الصغير للسلطان أن عبد الله بن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته. وأنه يتآمر ضد الدولة. فتمكنت سعايته من نفس السلطان وظن أنه صادق. وكان يخشى عائلة أبي مدين بما كان له من الوجاهة في الدولة، فوجّه له الدعوة لحضور زفاف ابنته، وأوعز إلى قائد جند الفرنج غنصاله بقتله. فسار إليه ولقيه قرب مقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي وأتاه من خلفه وطعنه طعنة كبته على ذقنه، واجتز رأسه وألقاها بين يدي السلطان أبي الربيع. ودخل الوزير سليمان ابن يرزيكن، فوجد الرأس بين يديه. وحزن حزناً شديداً على أبي مدين لما له من مكانة كبيرة في الدولة. وأوضح السلطان مكر هذا اليهودي وأطلعه على خبثه، وأخرج له براءة كان بعث بها أبو مدين معه إلى السلطان، يتنصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده. فتنبه السلطان لمكر هذا اليهودي، وعلم أنه قد خدعه، وندم على مافعله بوزيره. وفتك لحينه بخليفة الصغير وحاشيته من اليهود، فأصبحوا مثلاً للآخرين[3].

ومن مكايدهم أن جارية ادعت أن أحد اليهود اغتصبها قهراً في داره مما أثار حفيظة المسلمين، ولما علم السلطان يوسف يعقوب بهذه الحادثة ركب بنفسه، وأمر بطرد العامة من مساكن اليهود وأمرهم بالكف عنهم، وأرسل في المدينة بعدم التعرض لأحد من اليهود[4].

---

(1) ـ ابن الأحمر: النفحة النسرينية، ص 42 .
(2) ـ ابن الأحمر: روضة النسرين، ص 33 .
(3) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ 13 ص497 ، 498 ، ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط سنة 1972 ص58 ، 59 ، 60 السلاوي: نفس المصدر، جـ3 ص100 .
(4) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين، ورقة 23 الفردبل: نفس المرجع، هامش ص327 .

ومع الهجمة الاستعمارية الشرسة التي قام بها الاستعمار البرتغالي على الشواطئ المغربية، وعجز السلطة الوطاسية في الدفاع عن حدود أرضها، إلى جانب الهجرة الكبيرة من المسلمين واليهود من الأندلس. شعر المسلمون أن القضية أصبحت مشتركة بين المسلمين واليهود لمواجهة العدو المشترك. الذي قام بطردهم، واعتدى على أرضهم. لكن اليهود لم ينظروا للقضية من هذا المنظور، بل جعلوا مصلحتهم وخدماتهم لمن يدفع أكثر، فلعبوا دوراً قيادياً في احتلال الحواضر الدكالية، وفي نشر نفوذ الاستعمار البرتغالي داخل دكالة[1]، وفي استعمار أزمور، التي ساعد في احتلالها أيضاً المغاربة الذي كانوا يتجسسون لصالح البرتغاليين[2]. وكذلك اليهود الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأقصى. فقد حدث عند احتلال هذه المدينة أن قام يهودي يدعى يعقوب أديف من يهود إسبانيا، بالتجسس لصالح البرتغاليين ومساعدتهم في احتلال هذه المدينة، مقابل تأمين قومه وحماية أملاكهم[3]، ففتح لهم أبواب المدينة على حين غفلة من أهلها[4].

وعندما أقدمت القوى الوطنية على اغتيال نبيلٍ برتغالي، كان قد جاء لتعزيز سلطة على بن وثمان «العميل»، أخبره أحد اليهود ـ قيل الحاخام إبراهام بن زاميرو ـ بالمؤامرة قبل تنفيذها[5].

كما باع اليهود خدماتهم لمن يدفع لهم، كما حدث من طبيب يهودي بمدينة أيت عتاب، وشى لمحمد الوطاسي في حق زعيم المدينة، فقتله واستسلمت المدينة لملك فاس[6].

(1) ـ بوشارب أحمد: نفس المرجع ص324 .
(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر: جـ2 ، ص88 .
(3) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر: جـ2 ، ص92 .
(4) ـ عبد الكريم كريم: نفس المرجع، ص42 .
(5) ـ بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص327 .
(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص120 .

وكان تجسس اليهود لصالح البرتغال على أمل تنحية العملاء من المغاربة المسلمين مثل يحيى، عن حكم المدن التي يسيطر عليها البرتغاليون، أو اعتلاء أي سلطة فيها وتولية اليهود بدلاً منهم،ذ. وقام اليهود بهذا الدور على أكمل وجه داخل المدن وخارجها. فاشتكى يحيى عدة مرات كثيرة إلى حاكم البرتغال من تآمر اليهود وتلفيقهم للأكاذيب والتهم ضده[1].

وكان اليهود يحاولون تحقيق أغراضهم بعدة طرق، مثل العنف أو بذل الأموال الطائلة للحكام والسلاطين[2]، أو إظهار الإسلام حتى يستردوا مراكزهم الأدبية في المجتمع وليستريحوا من ذلك العناء[3]. ولعل هذا هو ماجعل المسلمين لايعترفون بمن دخل الإسلام من اليهود كمسلمين فأطلقوا عليهم لفظ البلديين[4] أو الإسلاميين[5] أو «المهاجرين»[6]. ويرجع ذلك إلى أن تلك الفئة كانت بعيدة عن الإسلام في سلوكها، وظل بعضهم على ولائهم لدينهم القديم[7].

---

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص161 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص83 .

(2) ـ المغيلي: مصباح الأرواح، ص57 .

(3) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية القاهرة 1965 ، ص46 .

(4) ـ البلديون: أي اليهود الذين أسلموا بعد دخول الإسلام المغرب، حاييم: نفس المرجع، ص 123 .

(5) ـ الإسلاميون: أي اليهود الذين أسلموا في العصر المريني، ابراهيم حركات: أوضاع المغرب ص88 .

(6) ـ المهاجرون: أي اليهود القادمين من الأندلس ودخلوا الإسلام.

(7) ـ هوبكنز: نفس المرجع، ص123 ، الهادي روجيه إدريس: نفس المرجع، جـ2 ص384 .

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية ليهود المغرب الأقصى

1 ـ التواجد اليهودي في أقاليم المغرب الأقصى.

2 ـ الأحياء السكنية لليهود بالمغرب الأقصى.

3 ـ الطوائف اليهودية:

آ ـ ربانيون

ب ـ قراؤون.

4 ـ النظام الداخلي للمؤسسة الدينية لدى اليهود.

5 ـ (الصديقيون) اليهود.

6 ـ ملابس اليهود.

7 ـ نظام الأسرة:

آ ـ الزواج

ب ـ الطلاق

8 ـ أعياد اليهود في بلاد المغرب الأقصى.
1 ـ أعياد الحج الثلاثة عند اليهود.
أ ـ عيد الفصح.
ب ـ عيد الأسابيع أو عيد الحصاد (شفعوت).
جـ ـ عيد سكوت الخيام أو عيد الظلل.
2 ـ السبت:
الاحتفال الصوفي بيوم السبت
3 ـ عيد رأس السنة اليهودية (روش هاشاناة).
4 ـ عيد يوم الغفران (يوم كيبور).
5 ـ عيد التدشين (الحانوكة).
6 ـ عيد النصيب (البوريم).
7 ـ عيد الأشجار الجديدة (طاوبشباط).
9 ـ بعض العادات الاجتماعية لدى يهود المغرب الأقصى.
(أ) شرب وتجارة الدخان (التبغ) والحشيش
(ب) الخمر
(جـ) الزنا

(1) ـ التواجد اليهودي في أقاليم المغرب الأقصى:

عاش اليهود في قرى ومدن المغرب وانتشروا فيها، حتى إن بعضاً من المدن المغربية نسبت إليهم، نظراً لكثرة ما بها من اليهود، «كفاس اليهود»[1] التي ذكر عنها كلينار نيكولا في إحدى رسائلة المؤرخة في 1541/4/9م[2]. وهو أحد الباريسيين النصارى الذين وفدوا إلى فاس لدراسة الإسلام واللغة العربية وشراء بعض الكتب المتعلقة بالموضوعين[3]. فقال إن هذه المدينة كان بها أربعة آلاف يهودي في ذلك الوقت[4].

ويروي مارمول كربخال وهو أحد الأسرى النصارى بالمغرب عام 1517م: أن عدد اليهود في فاس بلغ عشرة آلاف يهودي[5]. ولاشك أن هذا الرقم مبالغ فيه لأن مارمول هذا ـ كما ذكرنا ـ كان أسيراً عند السعديين، ولكنَّ أسره يجعلنا نشك في تقديره لعدد اليهود في ذلك الوقت.

وعاش أكثر يهود المغرب الأقصى متمركزين في الأقاليم الجنوبية في القرى وعلى قمم الجبال، بينما استقرت الأقلية منهم في المدن الكبرى، وأقام معهم من وفدوا إلى المغرب الأقصى من الأندلس.

وسوف نتتبع هذا التواجد في كل إقليم من هذه الأقاليم، لنرى مدى تواجد اليهود على النحو التالي:

---

(1) ـ ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ4 ص230 .

(2) ـ محمد محمود: مدينة فاس من خلال رسائل كلينار نيوكولا في القرن السادس عشر، مجلة البحث العلمي العدد 32 الرباط 1981 ، ص291 ـ 295 .

(3) ـ المرجع السابق، ص294 .

(4) ـ المرجع السابق، ص291 .

(5) مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص 156 .

اقليم فاس:

يبدأ اقليم فاس من غرب نهر أبي الرقراق، ويمتد شرقاً حتى نهر إيناون، وينتهي شمالاً عند نهر سبو، وينتهي جنوباً عند أقدام جبال الأطلس الكبرى. وهذه المنطقة غنية بالقمح والمراعي والماشية[1]. وسلا[2] الميناء الرئيسي لهذا الإقليم، ويقصده النصارى من كافة الجنسيات، ولهم مستودعات فيه[3]. وفاس كبرى المدن التي يقطنها اليهود في هذا الاقليم، وأطلق عليها فاس اليهود لكونها أكثر بلاد المغرب يهوداً[4]. وهؤلاء اليهود كانوا «يشغلون شارعاً طويلاً جداً وعريضاً للغاية». وقد تكاثر عددهم حتى إنَّه لم يعد في الإمكان معرفة هذا العدد[5].

إقليم الحوز:

يمتد من نهر زاع شرقاً حتى نهاية نهر تيجريفه غرباً[6]. وبهذا الاقليم مدينتان يقطنهما اليهود. أولها دبدو[7]، وفد عليها أجانب ولاسيما اليهود الذين

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص212 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص134

(2) ـ سلا: هي مدينة قديمة أزلية وكان يطلق عليها شالة ومعروفة الآن بسلا الحديثة التي عمرها أحد ملوك بني عبد المؤمن، وبينها وبين مراكش تسع مراحل، وتقع على ضفة البحر المحيط، وهي منيعة من جانب البحر، ولها أسواق وبها كروم وغلات وبساتين وميناؤها يرد عليه التجار من الأندلس واشبيلية وسائر البلاد. انظر، الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص238 ، 239 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص135 ، 222 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص213 ، 214 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص135 .

(4) ـ ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ4 ص230 .

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص284 .

(6) ـ المصدر السابق، ص 351 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص268 .

(7) ـ دبدو: مدينة كبيرة على صخور جبل شاهق وعلى بعد عشرين فرسخاً من ميناء مليلة في اتجاه الجنوب. وأسسها أحد أمراء بني مرين، وتنحدر إليها من الجبل عدة جداول وتوجد عدة بساتين وبعض الزراعات على هذه الجداول. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص354 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص19 .

طردوا من الأندلس[1]، وثانيها مدينة تازا[2]. ويقدر الحسن الوزان عدد بيوت اليهود بها بخمسمائة بيت. وكانوا يشتغلون بصناعة أجود أنواع الخمور[3].

إقليم الريف:

يتبدئ هذا الاقليم عند منطقة تطوان[4] غرباً. ويمتد شرقاً حتى نهر نكور. وشمالاً حتى البحر المتوسط. ويمتد في اتجاه الجنوب حتى الجبال التي تحازي نهر الورغة[5]. وبهذا الإقليم عدة مدن يقطنها اليهود. أولها باديس[6]، حيث يوجد فيها شارع طويل يسكنه اليهود وتباع فيه الخمور[7]. وثانيهما شفشاون[8] حيث

---

(1) ـ محمد الكراسي: عروسة المسائل فيما لبني وطاس من فضائل، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1963 ، هامش ص 270 .

(2) ـ تازا: مدينة تقع على بعد ثمانين ميلاً عن فاس ومائتين وخمسين ميلاً من المحيط وبها قصور الأمراء من بني مرين وبها أسواق وتعد من أكبر المدن بالإقليم، ومن عادة ملوك بني مرين إعطاؤهم هذه المدينة لثاني أبنائهم. انظر، الحميري: نفس المصدر، ص128 ، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص358 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص358 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص 273

(4) ـ تطوان: مدينة صغيرة بناها قدامى الأفارقة على مسافة سبعة فراسخ من سبتة في اتجاه الشرق، في المكان المسمى مصب تطوان، وتبعد فرسخاً واحداً عن شاطئ البحر وستة أميال عن المحيط وكان العرب يجهزون منها السفن لغزو الشواطئ المسيحية. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص320 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص222.

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص326 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص229.

(6) ـ باديس: مدينة قديمة ومنها تفترق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وطرابلس وجميع البلاد، وهي مدينة متحضرة فيها أسواق ومزارع جليلة. انظر: الادريسي: نفس المصدر. جـ2 ، ص532 ، الحميري: نفس المصدر، ص75 .

(7) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص328 ، ولكن مارمول كربخال يقول إن اليهود كانوا بها قديماً وليسوا معاصرين، انظر: مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص231 . عكس الحسن الوزان الذي رأها رأي عين.

(8) ـ شفشاون: يطلق هذا الاسم على جبل شفشاون، وهو من أكثر جبال المغرب خضرة، ويوجد مدينة تحمل نفس الاسم، وسكانها تجار وصناع، وينبت بأرضها القمح ←

هاجر اليهود إليها من الأندلس مع طوائف المسلمين[1]. وثالثهما بني وزروال[2] أو بني زروال، حيث يوجد في هذه المدينة أكثر من مائة دار للتجار والصناع اليهود[3]. والرحالة الحسن الوزان لم يشر إليهم بينما أشار إلى صناعتهم وهي الخمور[4]. وفي هذا يظهر دور اليهود في استغلال الحروب القبلية بين البدو، فلعبوا دور الوسيط بينهم من خلال الأسواق التي كان يقصدها جميع السكان.

إقليم كرت[5]

يبدأ من نهر ميلولو غرباً. وينتهي عند نهر ملوية شرقاً. وينتهي جنوباً عند جبال واقعة على تخوم بعض صحارى نوميديا. ويحازي البحر المتوسط من الشمال ابتداء من نهر نكور حتى ملوية. ويمتد جنوباً من نهر ميلولو حتى جوار جبال الحوز في اتجاه الغرب. وهذه المنطقة قاسية وشديدة الجفاف وتشبه صحارى نوميديا تقريباً[6].

ومن مدن هذا الاقليم مدينة غساسة[7]، التي ترد عليها سفن مدينة

← والكتان وبها غابات. ورجالها محاربون مهرة. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص335 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص249 .

(1) ـ نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع ص242 .

(2) ـ بني زروال: مجموعة من الجبال تضم أكثر من مئة وعشرين قرية وتضم كل قرية حوالي مئتي أسرة وأهل بني زروال شجعان ويقام بها سوق يقصده جميع الجبليين من البربر، وتشتهر بزراعة الكتان وصناعته ومزارع الكروم والسفرجل والليمون الذي يحمل إلى مدينة فاس. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص340 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص254 .

(3) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص254 .

(4) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص339 .

(5) ـ تكتب غارت. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص343 ، تكتب كارت انظر، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص257 .

(6) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص343 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص257.

(7) ـ غساسة: تقع بعيد عن البحر بأقل من فرسخ وتبعد عن مليلة بعشرين ميلاً ولها ميناء يقصده التجار البنادقة، والتجارة معهم تدر أرباحاً كثيرة، لكن استولى عليها ←

البندقية، وتعقد بها الصفقات بين البنادقة القادمين عليها وبين تجار مدينة فاس[1]. على الرغم من أن الحسن الوزان ومارمول كربخال لم يذكرا أي تواجد يهودي في هذه المدينة في ذلك الوقت، إلا أننا نجد أن مدينة أخرى هي مدينة نكور كان بها أربعة أبواب أحدها يسمى باب اليهود[2]. مما يدل على وجود بعض اليهود بها.

إقليم تادلا:

يبدأ من نهر العبيد غرباً. وينتهي من جهة الشرق عند نهر أم الربيع. ويحتل في الجنوب جبال الأطلس الكبير. بينما يكوّن في اتجاه الشمال رأساً يلتقي فيه هذان النهران على شكل مثلث. وهذا الإقليم يكثر فيه القمح وقطعان الماشية[3]، ورغم صغر مساحة هذا الإقليم، إلا أننا نلاحظ كثرة التواجد اليهودي في بعض مدنه مثل مدينة تغزة[4]، ففيها قرابة مائتي بيت لليهود ويقصدهم التجار المسيحيون[5]. وإذا قُدِّر أن كل بيت يضم أربع أو خمس

← الاسبان أثناء انشغال ملك فاس بمشكلاته الداخلية. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص345 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص262 ، 263 .

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص345 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ263 ص2.

(2) ـ الحميري: نفس المصدر ص576 ، 577 ، المؤتمر الثالث بجامعة الدول العربية، ص207 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص183 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص116.

(4) ـ تغزة: مدينة شيدها الأفارقة فوق سطح جبل الأطلس الكبير على ارتفاع خمسة أميال من السهل، وسكانها أغنياء ويجيدون صناعة عباءات سوداء تسمى البرانس، وصناعات أخرى. وهذه المدينة محاطة بأسوار متينة مزودة ببروج، وأهلها أشداء في الحروب، وكثيراً مايقتتلون، واليهود المقيمين بها يقصدهم التجار بالخصوص. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص183 ، 184 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص 116 ، 117 .

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص184 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص117.

أسر[1]، لأصبح عدد اليهود كبيراً. ومثل مدينة أفزا[2] وهي مدينة مأهولة باليهود[3]، حيث يوجد بها أزيد من مائة دار لهم بجانب المغاربة الكثيرين[4]. وهذه المدينة أصابها الخراب لكثرة الحروب الدائرة على أرضها، ولم يستقر الأمن بها إلا في عهد الأشراف السعديين[5]. وفي مدينة أيت عتاب يوجد يهود، ولهم دور. وفي موت زعيم هذه المدينة الذي لم تذكر المصادر اسمه مسموماً بوشاية من ملك فاس محمد الوطاسي (863 - 875هـ/ 1458 - 1470م)[6]، وكان اليهود بهذه المدينة يشتغلون بصناعة الصوف والرعي[7].

اقليم هسكورة:

يبتدئ هذا الاقليم شمالاً عند الجبل الأخضر على حدود دكالة، حيث ينتهي جنوباً عند نهر تانسفت، ويمتد غرباً قرب نهر أنماي، ويصل شرقاً إلى وادي العبيد الذي يفصله عن إقليم تادلة ثم إلى وادي أم الربيع. وفي جنوبه بعضٌ من جبال الأطلس الكبير. وهو مليء بالكروم وشجر الزيتون والقمح والماشية الكبيرة والصغيرة[8]. ونجد عند الرحالة مارمول رصداً للتواجد اليهودي بهذا الاقليم، بينما لم يرد ذكره عند الرحالة الحسن الوزان. فقد ذكر مارمول أنه في ضواحي المدينة يقطن عدد من اليهود[9]. وفي تكوداست يهود يتمتعون

---

(1) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص156 .

(2) - افزا: مدينة صغيرة على مسافة ميلين من تغزة، قامت فوق تل عند أسفل جبال الأطلس الكبير، وبها صناعات كثيرة مثل صناعة البرانس وحجاب المرأة المسلمة، وسكانها أغنياء، انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص190 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص118 ، 119 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص190 .

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص119 .

(5) - المصدر السابق، جـ2 ص120 .

(6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص191 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص120 .

(7) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص120 .

(8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص171 . مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص106.

(9) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص107 .

بحرية الاعتقاد[1]. وسكان هذه المدينة يحبون الأجانب مثل مدينة أبزو. وبذلك يقطن هذا الإقليم عدد كبير من اليهود والتجار الأجانب، ويقوم اليهود باستضافتهم لمصلحتهم التجارية.

اقليم دكالة:

يبدأ هذا الاقليم من جهة الغرب عند نهر تانسفت على حدود حاجا. ويمتد نحو الشمال حتى المحيط، واقليم مراكش في جنوبه، ونهر أم الربيع في شرقه فاصلاً إياه عن اقليم تامسنا[2]. ويغلب على هذا الإقليم الأنشطة الزراعية[3]. وقد نزحت إليه أعداد كبيرة من اليهود من الأندلس واستقرت في موانيه[4]. ومع مجيء اليهود تغير نشاط الإقليم وأصبح نشاطه ينحصر في جمع المواد الخام لصالح التجار النصارى الراسين على الساحل[5]. فنجد يهوداً في آسفي وهو ميناء على المحيط فيه قرابة مائة بيت لليهود[6]. وهذا الميناء يرد عليه إسبان وبرتغاليون. وكان اليهود الساكنون في هذا الميناء يعملون لصالح البرتغالين[7]. وأكبر تجمع يهودي في هذا الإقليم يوجد في أزمور، حيث نجد بها أربعمائة أسرة من اليهود[8]، إلى جانب مابها من نصارى قادمين مع

---

(1) ـ المصدر السابق، جـ2 ص110 .

(2) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص157 . مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص70 .

(3) ـ بوشارب أحمد: التجربة الاستعمارية بدكالة ودور بعض الفئات الاجتماعية في إرساء قواعدها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس فاس عدد 1 المغرب 1978 ، ص324 .

(4) ـ المرجع السابق ص325 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص47 .

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص157 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص71 ، الحميري: نفس المصدر، ص57 .

(6) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص158 .

(7) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص76 .

(8) ـ المصدر السابق، جـ2 ص87 .

الاستعمار البرتغالي. ومدينة المائة بير[1]، يعيش بها عدد من اليهود الفقراء[2]. وبين إقليم هسكورة وإقليم دكالة كانت أرض فازار التي كان أكثر سكانها من اليهود[3]، وكان نشاطهم ينحصر في جمع الشمل والمحاصيل.

اقليم مراكش:

يمتد هذا الإقليم من الغرب إلى الشرق، من جبل نفيس إلى جبل أنماي، وينحدر نحو الشمال عند نهر تانسفت، ويكثر بهذا الإقليم القمح والبقول والشعير والدخن وجميع أنواع الفواكه والخضر والبساتين والتمر والعنب والتين والتفاح[4]. ومن مدينة الجمعة الجديدة[5]، التي كان بها حي لليهود بجوار أحياء المغاربة[6]. ومدينة مراكش التي كان يوجد بها حي خاص باليهود ويضم أكثر من ثلاثة آلاف منزل. ونقل هذا الحي إلى القرب من باب أغمات وقد بنوا داخل هذا الحي دياراً وبيعاً ومعابداً[7]. وقيل إن عبد الله الغالب عين في عام 965هـ/ 1557م لليهود المطرودين من الأندلس مكاناً خاصاً لهم بمراكش،

---

(1) ـ المئة بير: مدينة مقامة فوق تل، وخارجها عدة مخازن للغلال ويمكن تخزين الغلال بها لمدة مئة سنة دون أن يصيبها أي عطب، ويسبب العديد من الصوامع التي تشبه الآبار دعيت هذه المدينة بمئة بير. وأهل دكالة هم الذين يخزنون القمح بها، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص163 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص100 .

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص100 .

(3) ـ الحميري: نفس المصدر، ص435 .

(4) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص133 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص41 .

(5) ـ مدينة الجمعة الجديدة: هي حصن مشيد على جبل شاهق الارتفاع أسسها الهنتانيون. وينبع من تحت هذا الحصن نهر اسيف اينوال، وهذه المدينة حديثة البناء وبها كثير من الصناع لقربها من مراكش التي تبعد عنها 80 كيلومتر، وتشتهر بزراعة الشعير والعنب، ومعظم سكان المدينة متحضرون. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص135 ، 136 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص44 ، 45 .

(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص44 .

(7) ـ المصدر السابق، جـ2 ص55 .

وظلوا في نفس المكان إلى بداية القرن العشرين[1]. ولم يذكر الرحالة الحسن الوزان عن هؤلاء اليهود المتواجدين في مراكش شيئاً، إلا أن عددهم بلغ في عهد المنصور السعدي في عام 986هـ/ 1578 ستة آلاف يهودي[2]. ومن مدن الاقليم أغمات[3]، التي ذكر الرحالة والجغرافيون أن اليهود كانوا يسكنون بها. وذلك لأن الأمير علي بن يوسف أمر في عام 500هـ/1106م ألا يدخل اليهود مراكش إلا نهارا، فإن دخل الليل خرجوا منها، وإذا عثر على يهودي استباح ماله ودمه[4]. فكان اليهود يتجهون إلى اغمات نظراً لقربها من مراكش التي تبعد عنها بمسافة 38.5 كم. وفي عهد بني مرين عاد يهود مراكش إليها بعد أن دمَّر المرينيون مدينة اغمات[5].

وفي مدينة شيشاوة[6]، يسكن صانعوا الأقفال والبناؤون من اليهود[7].

---

(1) ـ محمد رزوق: الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ـ 17م، افريقيا الشرق، المغرب 1991 . هامش ص166 .

(2) ـ محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر، العراق 1982 ص608 .

(3) ـ أغمات: هي مدينتان إحداهما تسمى اغمات والأخرى اغمات ايلان، وبينهما حوالى ثمانية أميال. وفي اغمات وريكة بسكن الأعيان وينزل بها التجار للانطلاق منها إلى بلاد السودان الغربي، ويمر باغمات نهر، فتكثر بها زراعة البساتين والفاكهة، وأهل اغمات من قبيلة هوارة. انظر، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص153 ، 154 ، ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي القاهرة بدون تاريخ. ص90 ، ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ1 ص225 ، الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص231 . 232 ، الحميري: نفس المصدر، ص46 .

(4) ـ الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص235 ، أبو الفدا: تقويم البلدان، مكتبة المثنى بغداد ومؤسسة الخانجي مصر بدون تاريخ، ص124 ، الحميري: نفس المصدر، ص46 ، 47 .

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص149 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص61 .

(6) ـ شيشاوة: عبارة عن جبل ويقطنه السكان وهم شرسون للغاية وفي حالة حرب مستمرة مع جيرانهم، وأسلحتهم الحجارة التي يقذفونها بالمقلاع. ويهود هذه البلدة مختلطون بسكانها. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص152 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص65 .

(7) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص152 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص65 .

كذلك في جبل هنتاته[1]، يوجد عدد كثير من اليهود الصناع، وهؤلاء من طائفة القرائين[2].

إقليم حاحا:

يحدُّه من الغرب والشمال المحيط، ومن الجنوب جبال أطلس الكبير المتاخمة لاقليم السوس، ومن الشرق نهر أسيف المال الذي يفصله عن إقليم مراكش. وينمو فيه الشعير، ويكثر فيه عسل النحل والشمع والماعز. وفي هذا الإقليم عدة أماكن يسكنها اليهود، منها مدينة تدنست[3] التي كان بها أكثر من مائتي دار لليهود في حي منعزل يعيشون فيه وفق شريعتهم[4]، ويرد إليهم التجار النصارى لشراء الشمع والجلود[5].

---

(1) - جبل هنتانة: أعلى جبال الأطلس الكبير، وسكانه بربر من فرع هنتانة المنتمين لقبيلة مصمودة، وهم أثرياء ومحبون للحرب، وتظل قمة الجبل مكسوة بالثلج على الدوام، ويطلق عليه طبقال أي الأقرع باللغة البربرية. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص154 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص67 .

(2) - القراؤون: هم طائفة من طوائف اليهود المغاربة انظر الرسالة ص55 ، وهم لايعترفون إلا بالتوراة وهي المصدر الوحيد للشريعة والتوراة المرجع الأول والأخير لكل عقيدة أو قانون. انظر حسن ظاظا: الفكر الديني، ص247 ، على عبد الواحد وافي: اليهود واليهودية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص103 ، محمد جلا إدريسي: التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي القاهرة 1993 ، ص31 ، عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة المصطلحات الصهيونية رؤية نقدية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام القاهرة 1975 ، ص293 .

(3) - تدنست: مدينة قديمة بناها الأفارقة من قبيلة مصمودة وتحاط المدينة بسور من الطوب اللبن، ومعظم سكانها رعاة، وأهلها يكرمون الغرباء باستضافتهم في منازلهم لعدم وجود فنادق بها، وخضعت مدة لاحتلال البرتغال ثم رجعت بعد هزيمتهم على يد الأشراف السعديين. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص110 ، 111, مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص9 ، 10 .

(4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 11 ، ويذكر أن عدد بيوتهم مئة بيت، مارمول كربخال: نفس المصدر، ص10 .

(5) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص10 .

ويعيش بعض اليهود في مدينة تكوليت[1]، وبها حي خاص بهم يضم حوالي مائتي دار وبيعة، وهم أغنياء[2]. وفي مدينة أديكيس[3] أيضاً حي لليهود يشتمل على أكثر من مائة وخمسين دارا[4]. كذلك مدينة تيوت[5] التي يعيش بين أهلها ثلاثون عائلة من الصناع اليهود، الذين يتمتعون بكامل الحرية الدينية[6]، وفي أيت داود يوجد حي خاص باليهود[7]. وعلى قمة جبل دمنسرة[8]، يقطن أعداد من اليهود وهم قراؤون[9]. كما نلاحظ وجود أعداد من النصارى البرتغال والإسبان يتاجرون مع أهل هذا الاقليم.

إقليم السوس:

يحُدّ هذا الإقليم البحر المحيط غرباً وجبال أطلس شمالاً. حيث يتصل

---

(1) ـ مدينة تكوليت: تقع على سفح جبل أسسها رجال من قبيلة مصمودة، ويمر بالقرب منها نهر تزرع على ضفتيه البساتين والفواكه والكروم وأهلها كرماء، وخربت بسبب الاحتلال البرتغالي، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص112 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص15

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص15 .

(3) ـ اديكيس: مدينة صغيرة تقع على السهل وحولها سور ويمر بوسطها نهر صغير تزرع على ضفتيه البساتين والفواكه، ويقام بالمدينة سوق يدوم خمسة عشرة يوماً يقصده جميع سكان الضواحي. وسقطت هذه المدينة في يد البرتغال عنوة عام 920هـ/1514م انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص113 ، 114 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص16 .

(4) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص113 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص16 .

(5) ـ تيوت: مدينة صغيرة في السهل وتقع بين الجبال، وأهلها فلاحون يزرعون الشعير، وأرض تيوت بها البساتين والفاكهة. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 115 .

(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص18 .

(7) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص117 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص20 .

(8) ـ جبل دمنسرة: يكون جزءاً من جبال الأطلس، وأهل هذا الجبل شرسون، وتجود زراعة أرض هذا الجبل بالشعير والدخن. ويطلق عليه تانزيرا ويستخرجون منه الحديد والنحاس، ويتاجرون بهما في مراكش. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص122 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص25 ، 26 .

(9) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص123 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص26 .

بإقليم حاحا ورمال نوميديا جنوباً ونهر السوس الكبير الذي يفصله عن اقليم جازولة شرقاً. ويكثر فيه القمح والماشية ومطاحن السكر(1)، وبه عدد من المدن منها ماسه(2). التي يوجد بها عدد من اليهود، ودليل ذلك (الشيخ اليهودي الذي فسر ظاهرة موت الحيتان وظهورها ميتة على الشاطئ، فقال: إن السبب في ذلك يرجع إلى وجود صخور حادة، وأثناء هيجان البحر يرتطمون بهذه الصخور فيموتون على آثر هذا الارتطام فيلقيهم البحر على الشاطئ)(3).

وفي مدينة تييوت أو تشييت(4)، مايزيد على مائتي تاجرٍ وصانع يهودي(5). ويجوب هذا الإقليم التجار المسيحيون البرتغاليون، وهؤلاء كانوا يقيمون عند اليهود. وفي مدينة تيدسي(6)، حيٌ كبير للتجار والصناع اليهود الأثرياء(7) وفي تكاووست(8) أكثر من ثمانية آلاف منزل، منها مايزيد ثلاثمائة منزل لليهود(9).

---

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص124 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص27 .

(2) ـ ماسة: مدينة كبرى تتألف من ثلاث مدن تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي ميل، وقد بناها الأفارقة على ساحل البحر المحيط، وهذه المدن الثلاثة محاطة بسور من الطوب اللبن ويمر نهر السوس من بينها، ولذلك تكثر الزراعة على ضفتيه كما تكثر البساتين. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص125 .

(3) ـ المصدر السابق، ص 126 مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص29 .

(4) ـ تييوت أو تشييت: مدينة في إقليم السوس خلاف تيوت الموجودة في اقليم حاحا. وهي مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح ومقسمة إلى ثلاث مدن ويمر بقربها نهر السوس مما جعل أرضها خصبة ويزرع بها القمح والشعير وقصب السكر، وتقام المطاحن على النهر، ولذلك يقصدها التجار من جميع الجهات، وأهلها أغنياء. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص127 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص29 .

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص129 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص30 .

(6) ـ تيدسي: مدينة قديمة بناها الأفارقة وتبعد عن جبال الأطلس الكبير سبعة فراسخ نحو الجنوب، وأرضها خصبة، وتشتهر بزراعة قصب السكر والنيلة، ويوجد بها تجار يزاولون نشاطهم مع بلاد السودان الغربي، وأهلها متحضرون. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص130 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ، ص37 .

(7) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص131 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص38 .

(8) ـ تكاووست: مدينة يطلق عليها الحسن الوزان تاغاوست وهي مدينة كبيرة وقيل ←

إقليم درعة:

يبدأ هذا الاقليم من جبال أطلس، ويمتد جنوباً على مسافة مائتين وخمسين ميلاً، وأهم موارده التمر[1]. ومن أهم مدن الإقليم ترغالة[2]، وهذه المدينة بها حيّ يقطنه أربعمائة أسرة يهودية[3]. وفي قصر بني صبيح[4] بدرعة، أعداد من اليهود[5].

إقليم سجلماسة:

يحتل هذا الاقليم حدود بلاد المغرب الأقصى الجنوبية التي تطل على الصحراء الكبرى ومنها إلى بلاد السودان. وفي مدينة سجلماسة بعض اليهود[6]. وكذلك في مدينة تابوعسمت[7] عدد كبير من اليهود[8]. ومدينة مأمون[9] مأهولة باليهود إلى جانب السكان المسلمين[10].

← إن أهل سوس هم المؤسسون لها، وأهلها مقسمون إلى أحزاب والحرب دائرة بينهم، ومع ذلك فإن أهلها صناع مهرة، ويقام بها سوق مرتين في الأسبوع. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص131 ، 132 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص38 .

← (9) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص38 .

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص490 ، 491 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص144 ، 145 .

(2) - ترغانة: مدينة تقع بالقرب من نهر درعة وعلى الطريق القادم من تغازة ببلاد السودان الغربي، وأرض ترغالة خصبة، وتنتج الكثير من القمح، وبها المراعي للماشية، وأهلها أغنياء لتجارتهم مع بلاد السودان الغربي ومرور التجارة بأرضهم. انظر مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص149 ، 150

(3) - المصدر السابق، جـ3 ص149 .

(4) - قصر بني صبيح: بلدة حولها سور كانت تنقسم إلى قسمين يحكمهما زعيمان مختلفان متحاربان بسبب قلة المياه في الصيف. أما في الشتاء تكون المياه شديدة الجريان فتتلف الزرع. وأهل البلدة رجال بواسل كرماء. لدرجة استضافة أي تاجر لمدة عام بدون مقابل. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص492 .

(5) - المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968 ، ص34 .

(6) - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص148 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص152 .

(7) - تابوعسمت: من أكبر مدن الاقليم وتبعد عن سجلماسة بـ 50 كم، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص497 . ←

إقليم طاطا:

وهو إقليم لايعد من أقاليم المغرب الأقصى، ولكن سيطر عليه بنو مرين[1]. ويسمى هذا الإقليم باسم أهم مدينة فيه وهي طاطا، ويقع جنوب إقليم سجلماسة، وتكاد مساحته تعادل مساحة اقليم درعة[2]. وهذا الاقليم يمتد جزء كبير منه في الصحراء الكبرى حتى حدود بلاد السودان الغربي. ومن أشهر مدن هذا الاقليم مدينة تيكورارين (توات)، وبها أعداد من اليهود نزحوا من الأندلس[3]. وهم واسعو الثراء نظراً لوقوع مواطنهم على مفترق الطريق بين تلمسان وسجلماسة، ثم إلى بلاد السودان الغربي[4].

وبذلك نجد أن أغلبية الأقاليم المغربية يسكن بها عدد يقل أو يكثر من اليهود عكس ماقاله أحد المؤرخين. وقد عرف هؤلاء اليهود الترحال من مكان إلى آخر مثلما فعل يهود أغمات، وهذا راجع إلى التشابه الكبير بينهم وبين حياة البدو التي مارسها سكان المغرب الأقصى، خاصة سكان جبال الأطلس الذين كانوا قساة في معيشتهم ،وطباعهم فشاركهم في هذه الصفات اليهود الذين تعايشوا معهم بحيث كان يصعب تميزهم عنهم[5]. فكانوا يوجدون في معظم المجتمعات السكنية تقريباً بالمغرب، فمنهم من استقر بالمدن، ومن عايشوا سكان

← (8) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص497 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص152.

← (9) ـ مدينة مأمون: أو قصر مأمون هو حصن مأهول بالسكان يقع على الطريق إلى السودان الغربي. الحسن الوزان: نفس المصدر، ص497 .

← (10) ـ المصدر السابق، ص497 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص152 .

(1) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص508 .

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص157 .

(3) ـ المصدر السابق، جـ3 ص163 ، ويطلق على تيكورارين اسم مدينة توات.

(4) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص505 .

(5) ـ صالح محمد: دولة بني وطاس وجورها السياسي والحضاري، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، ص167 .

الجبال ومن استوطنوا الجهات الصحراوية[1]. وبذلك أصبح اليهود المغاربة يشكلون لبنة هامة في البنية الاجتماعية المغربية، خاصة في الجنوب، وعلى امتداد فترة طويلة من التاريخ. وعلى الرغم من هذه الحقيقة التاريخية إلا أنه في عصر الموحدين وأيضاً في عصر المرينيينُ تقل الإشارات عن اليهود في الأرياف خاصة[2]. وأكدَّ على ذلك مؤرخ معاصر، بأن قال لايوجد لدينا ذميٌّ[3]، لكن وجدت إشارات عن تواجدهم في المدن الكبرى فقط مثل مكناس وفاس[4]. ولكن في نهاية عصر بني مرين وفي عصر بني وطاس نجدهم يكثرون. ولم يكن ظهورهم واضحاً فيما قبل عصر بني مرين، إما لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ويخفون في قلوبهم اليهودية ولذلك سموا بالإسلامية، وإما لخوفهم من اضطهاد المرابطين والموحدين فلم يظهروا أي نشاط فاعتبروا في حسبان العدم لدى المؤرخين.

أما تواجدهم بعد ذلك في المدن الكبرى في عصر بني مرين وبني وطاس فنجد دليلاً عليه، ويستفاد من الإشارات الكثيرة عن القرى وخاصة في الجنوب وعن المدن التي هاجر إليها أعداد كبيرة من يهود الأندلس، نظراً لتحسن أوضاعهم السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب الأقصى، فقد تحولوا من أهل ذمة أقلية مؤثرة في المجتمع، خاصة في التجارة والسفارة وذلك بالنسبة لمن استقر منهم في المدن الساحلية[5]. ولذلك شارك اليهود المغاربة مشاركة فعالة في الأحداث التي جرت في المغرب الأقصى زمن احتلال أزمور، وفي العمل كجواسيس أو مساعدين للمستعمر أو سفراء. وكان لهم نصيب أكبر في النشاط الاقتصادي والاجتماعي، باعتبارهم جزءاً لايتجزأ من الكلِّ المغربي،

---

(1) ـ ابراهيم حركات: أوضاع المغرب الأقصى قبل قيام السعديين، ص88 .

(2) ـ عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق القاهرة 1983 ، ص103 .

(3) ـ عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص303 .

(4) ـ عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص104 .

(5) - Solomon. Grayzel. Ahistory of Gews. America. 1948. P 728

يتأثرون بالأحداث الجارية فيه ويخضعون لنفس الظواهر الاجتماعية التي خضع لها المجتمع كله، والتي شكلت ملامح الحياة في تلك الفترة. وعلى الرغم من أن تأثيرهم كان محكوماً بالحقائق التي أفرزتها إعدادهم الضئيلة بالنسبة إلى باقي السكان، فإنهم مارسوا حياتهم اليومية بشتى جوانبها داخل إطار الحياة العامة للمجتمع المغربي كله آنذاك، ومن أماكن إقامتهم التي انتشروا فيها.

(2) ـ الأحياء السكنية لليهود بالمغرب الأقصى:

عندما قامت دولة بني مرين اتخذت في بادئ الأمر من فاس القديمة مقراً للحكم. ولما استقر حكمهم وكثر الوافدون عليهم رأى السلطان أبو يعقوب يوسف المريني أن يختط مدينة تسكنها حاشيته وأهل خدمته وأولياؤه وهي مدينة فاس الجديدة، وذلك في عام 674 هـ/ 1275م[1] أو في عام 676 هـ/ 1276م[2]. وكانت هذه المدينة تشمل ضمن ماتشمل منطقة أو حيّاً عرف باسم الملاح[3]، وكان هذا خاصاً بسكنى اليهود. ويعد السبب في

(1) ـ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص404 ، الزخيرة السينية، ص161 ، مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهل ذكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979 ، ص29 . ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ 14 ص401 ، أحمد القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (القسم الأول م. ص) دار المنصور للطباعة الوطنية الرباط 1973 ص51 ، اسماعيل بن الأحمر: روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1991 ، ص29 .

(2) ـ روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان بيروت 1967 ، ص46 .

(3) ـ الملاح: بتشديد اللام اسم مكان يطلق على الحي الذي يقيم به النصارى في فاس ومنذ القرن الثامن الهجري الخامس عشر الميلادي أي في نهاية العصر المريني أطلق اسم الملاح على أحياء اليهود في سائر المدن المغربية وكما هو معروف إلى اليوم. انظر ابن الخطيب: نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة بدون تاريخ، هامش ص337 ، ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة عبد الهادي شعيرة، راجعه عبد الحميد العبادي، القاهرة 1951 ، ص100 .

تخصيص هذا الحي لسكنى اليهود وبنائه من أجلهم، إلى اعتداء أهل فاس القديمة عليهم نتيجة لقيامهم بأعمالٍ أثارت حفيظة المسلمين في هذه المدينة[1]. فأمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان يوم الأحد التاسع عشر من شعبان عام 726 هـ/1325م، ببناء حيٍّ خاص باليهود في مدينة فاس الجديدة التي بناها السلطان السابق أبو يعقوب يوسف[2]. ومع مرور الزمن أصبح هذا الحي ساحة كبير محاطة بدكاكين وبيع وديار حسنة البناء، يعيش اليهود فيها كأنهم منفصلون. وازداد عددهم على عشرة آلاف شخص، إذ كان كل منزل يضم أربع أو خمس أسر، معظمهم ممن طردوا من اسبانيا في عام 898هـ/ 1492م في عهد الملك فرديناند وايزابيلا[3]. واستقبل المغاربة اليهود المطرودين بروح من التسامح[4]، فكثرت الأحياء اليهودية بالمغرب الأقصى في مدينة تازة[5]، ومدينة باديس[6]، وفي مدينة تفزة[7]، ومدينة أزمور[8]. وكان في مراكش حيٌّ خاص باليهود يقيم فيه أكثر من ثلاثة آلاف أسرة يهودية[9]. ووجدت أحياء لهم أيضاً في مدينة تكاووست[10]، ومدينة تدنست[11]، وفي مدينة أديكيس[12]، وفي مدينة ترغالة[13].

(1) - ابن أبي زرع: الذخيرة السينية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة الرباط 1972 ، ص161 ، روض القرطاس ص404 ، حيث يقول إنه قتل اثنتي عشر ألف يهودي وهذا الرقم مبالغ فيه.

(2) - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص414 ، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص284 وبذلك يكون البناء اضطرارياً وليس بطلب منهم مثلما قال عبد الهادي التازي في بحثه النصوص الظاهرة، ص106 .

(3) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص156 .

(4) - Jahn Edwards. The Jews in Christain Europe 1400 - 1700 London and Newyork. 1990. P. P. 26.

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص351 .

(6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص31 .

(7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص184 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص117 .

(8) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص87 .

(9) - المصدر السابق، جـ2 ص55 .

(10) - المصدر السابق، جـ2 ص38 .

←

وهذه الأحياء على عكس الجيتو في أوروبا التي عاش اليهود فيها حياة غامضة ومتخفية، أثارت شكوك الأوربيين حولهم. وأذكت روح البغض والكراهية عند اليهود لغيرهم. ولما تطورت العزلة التي فرضها اليهودي على نفسه باختياره داخل الجيتو[1]، تحول الجيتو من سجن اختياري إلى سجن إجباري[2]. وبذلك تكون الأحياء اليهودية ببلاد الإسلام عكس الجيتو في أوروبا، حيث كانت أحياء اليهود مفتوحة لهم ولغيرهم[3]. وعلى الرغم من ذلك كان اليهود يميلون إلى العزلة لظروف تاريخية مرت بهم. وشجعهم على ذلك تلمودهم الذي كان يدفعهم إلى العزلة والتقارب الشديد فيما بينهم والبعد عن الآخرين.

(3) ـ الطوائف اليهودية:

انقسم اليهود في المغرب الأقصى إلى طائفتين، الربانيون والقراؤون. وزعمت كل طائفة منهما أن المذهب الذي تعتنقه هو الأمثل والأكثر قرباً من أصول الديانة اليهودية. كما دار الخلاف بين الطائفتين أيضاً حول مدى الاعتراف بأسفار التوراة والتلمود أو انكار بعضهما. ونبدأ الحديث عن الربانيين نظراً لأنهم أقدم وأكثر عدداً في المغرب.

← (11) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص111 . قال إن عدد اليهود 100 بيت بينما قال مارمول كربخال إن عدد اليهود 200 دار لليهود، انظر: نفس المصدر، جـ2 ص10 .

← (12) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص113 . مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص16 .

← (13) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص139 .

(1) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص154 .

(2) ـ وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1974 ، ص27 . آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي بيروت 1967 ، جـ1 ص93 .

(3) ـ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي بيروت 1967 ، جـ1 ص93 .

أ ـ الربانيون:

يطلق عليهم «الربيون»[1] والربانيون وهم أشهر الطوائف اليهودية وأكثرها عدداً في التاريخ القديم والحديث على السواء[2]. واسم هذه الطائفة مشتق من الربان، وهو الحبر، وهو أيضاً الحاخام. وكتاب الربانيين هو التلمود[3]، وفقهاؤهم وأحبارهم هم الذين ألفوا أسفار هذا التلمود[4]، وسُمي هؤلاء الرباينون في القرون الستة الأولى بعد ميلاد السيد المسيح «التنامون»، أي معلموا الشريعة لأنهم كانوا وحدهم المتضلعين فيها[5].

ويؤمن اليهود الربانيون بما جاء في التوراة المكونة من تسعة وثلاثون سفراً، وجملة اصحاحاتها تسعمائة وتسعة وعشرون إصحاحاً، إلى جانب المشناة[6].

---

(1) ـ الربانيون: وهم أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، انظر السموأل بن يحي المغربي، أفحام اليهود، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، الرياض 1407هـ، ص174 .

(2) ـ قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1987 ، ص33 .

(3) ـ عبد المنعم الحفني: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، دار المسيرة بيروت 1980 ، ص107 .

(4) ـ التلمود: كلمة مشتقة من كلمة «لوميد» العبرية التي تعني دراسة، وهو كتاب جامع مانع بشكل لايكاد يدع للفرد اليهودي حرية الاختيار في أي وجه من وجوه النشاط في حياته العامة والخاصة. وبدأ تدوين التلمود مع بداية العصر المسيحي وقيل في القرن الخامس وقيل في القرن الثاني عشر، ويوجد تلمودان بابلي وآخر أورشليمي وكلاهما مكون من المشناة والجمارة، ووجه الاختلاف إن الجمارة في التلمود البابلي أكمل من التلمود الأورشليمي، والتلمود أكثر قداسة عند اليهود الربانين من التوراة. انظر إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 ، هامش ص46 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص141 ، 142 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم دمشق 1987 ، ص82 ـ 92 ، علي عبد الواحد وافي: نفس المرجع، ص91 .

(5) ـ ولديورانت: قصة الحضارة، عصر الإيمان، الجزء الثالث من المجلد الرابع جـ14 ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1975 ، ص11 .

(6) المشناة: كلمة مشتقة من فعل «شاتا» العبري بمعنى «يشنى» والفعل الآرامي تانا «بمعنى يدرس» والمشناة كتاب يتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي جمعها التنائيون ←

وقد ظل يهود المغرب يعيشون كباقي إخوانهم تحت نفوذ قواعد مستقاة من التوراة والهلخاة[1]، والتلمود المتضمن لكل نواحي الحياة. مما جعل بعض المؤرخين يقول إن التلمود قانون أخلاقي[2]. ويرتبط يهود المغرب بروابط وثيقة مع الفكر اليهودي العام[3]، ونظراً لكثرة الربانيين بالمغرب اختير رئيس اليهود «الشيخ أو النكيد»[4] منهم. وكانت الطائفة الربانية في المغرب تتبع التلمود الأورشليمي حيث كانت علاقة يهود المغرب الأقصى بفلسطين في القرن السادس عشر للميلاد، فقد تكونت في ذلك القرن بصفد بفلسطين جالية يهودية مغربية مهمة، وكان على رأسها عدد من الأدباء الذين جذبهم التعليم والمدارس القبالية[5] التي ازدهرت إذ ذاك في الجليل. وقد ذاعت شهرة ثلاثة،

← «أو معلمو الشريعة» على مدى ستة أجيال (10 ـ 220م). وتعد المشناة مصدراً من مصادر الشريعة الأساسية. وتأتي في المقام الثاني بعد التوراة وهي الشريعة المكتوبة التي تقرأ، أما المشناة فهي الشريعة الشفوية التي تتناقلها الألسن. وقد دونت المشناة كنتيجة لتراكم فتاوي الحاخامات اليهود، والمحاولات الأولى لرواية شرائع المشناة لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد وأول جهد لاقرارها على يد الحاخام هليل ثم عقيبا ثم مائير وأقرها وقيدها كتابة في وضعها الحالي الحاخام يهودا ناشي (189م)، وقد دونها بعد أن زاد عليها، ويتكون كل من التلمود الفلسطيني والبابلي من المشناة فهي مشتركة بين التلمودين: انظر اسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص43 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص365 ، 366 ، حسن ظاظا: الفكر الدين اليهودي، ص66 ، 67 .

(1) ـ الهلخاة: كلمة من أصل آرامي معناها الحرفي هو «الطريق القويم» ويقال في التفسيرات الحديثة إن معناها الضريبة أو القاعدة الثابتة أما مدلولها في الفقرة الواحدة المتضمنة سنة واحدة في الفقهيات التشريعية، وفي معناها الدقيق تشير الصياغة المجددة للشريعة اليهودية في مقابل: (1) المدراش أي الدراسة والوعظ التي تعتمد دائماً على الاستشهاد بالتوراة والبحث عن المعنى الخفي. (2) الهاجاداة والتي تعتمد على الوعظ عن طريق القصص. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص409 .

(2) ـ ديورانت: نفس المرجع، م4 جـ14 ص28 .

(3) ـ حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة محمد شملان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء المغرب 1987 ، ص7 .

(4) - Amnon Cohan. Jevish life Ander Islam. London 1984. P 50.

(5) ـ القبالة: علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود والمعنى الأصلي للكلمة «قبالة» ←

منهم يوسف بن تبول وهو تلميذ لوريا مؤسس المدرسة القبالية الجديدة التي تحمل اسمه. كما استقر الربّي إبراهام ازولاي المولود بفاس عام 978هـ/1570م بحبرون[1]. وبذلك يتأكد أن التلمودين كانوا في شمال أفريقيا[2]، وكانوا منتشرين في الجزائر[3]، وكذلك في فاس التي لجأ إليها موسى بن ميمون، والتي كان بها أكبر تجمع يهودي في المغرب[4]. وقد زاد عدد التلموديين في المغرب بعد هجرة كثير من اليهود من أوروبا والأندلس في عهد بني وطاس. فكانت العائلات اليهودية الرأسمالية الربّانية لها حق قيادة جماهير اليهود. الذين كانوا من الحرفيين وصغار التجار[5]. والذين انحدر بهم الحال بعد ظهور الممالك التجارية المسيحية في البحر المتوسط مثل البندقية ومرسيليا وجنوة.

وقد استخدم اليهود الربانيون الحساب في تحديد بداية الشهور، بينما ذهب القراؤون في غالبيتهم إلى تحديد بداية رأس الشهر برؤية الهلال[6]. وأبناء

← في اللغة العبرية هو التراث من «القبول» وكان يقصد بها أصلاً التراث الشفوي المتناقل لليهودية فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص290 ، عبد المنعم الحفني: نفس المرجع، ص165، 166 ، وتزداد القبالة شيوعاً في أوقات البؤس والكوارث. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص291 .

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص33 ، حبرون مدينة بدمشق، انظر الحميري نفس المرجع، ص186 .

(2) ـ فيليب فارخ، يوسف كرباج: نفس المرجع، ص58 .

(3) ـ أحمد السليماني: تاريخ مدينة الجزائر، الناشر ديوان عام المطبوعات الجامعية الجزائر، ص37 .

(4)ـ إسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص41 و 56 .

(5) ـ نورمان كانترو: التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، القسم الثاني، ترجمة قاسم عبده قاسم دار المعارف مصر 1983 ، ص595 ، حسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة المغرب، بدون تاريخ، ص271 .

(6) ـ محمد الهواري: الاختلافات بين القرائيين والربانيين في ضوء أوراق الجنيزا قراءة في مخطوط بودليان بأكسفورد «الناشر دار الزهراء، القاهرة 1994 ، ص37» طوبياة سمحاة ليفي: بابوفنش، روشي بناه «رأس الزاوية» نشأة مذهب القرائين، طبع على نفقة دار الشرع للاسرائيليين القرائين بمصر، 1947 ، ص42 . ولمعرفة المزيد عن اختلافات ←

الطائفتين يجتمعون سنوياً لاقامة الصلاة المشتركة؛ مرة يوم مهرجان التوراة، والأخرى في عيد نزول التوراة[1].

ب ـ القراؤون:

اسم جاء من المصدر العبري «قرأ» ومعناها دعا. وهم الدعاة الذين لايعترفون بغير «المقرا» وهي التوراة. لأنهم يحملون دعوةً، أن التوراة دون التلمود هي المصدر الوحيد للشريعة[2]. والقراؤون هم المتمسكون بالنصوص[3]. ويتلخص مذهبهم في جعلهم النص المقدس المكتوب «العهد القديم» هو المرجع الأول والأخير لكل عقيدة أو قانون[4]، وقيل إنَّ ظهور القرائيين واكب ظهور المسيح، وإنَّهم المنشقون الأوائل الذين تحدثت عنهم لفائف المخطوطات التي عثر عليها في كهوف البحر الميت، والذين قيل إنَّهم آمنوا بالسيد المسيح مخالفين سائر اليهود، باعتباره ولياً من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة، وليس باعتباره نبياً مرسلاً صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى[5].

← القرائين عن الربانيين، انظر، محمد جلاء محمد ادريس: نفس المرجع، ص90 ، 91 ، 92 ، حسن ظاظا: الفكر الديني، ص163 .

(1) ـ بنيامين التطيلي: الرحالة الربى بنيامين بن بونة التطيلي الأندلسي، بغداد، 1384 هـ.ص 170 ، 171 .

(2) ـ مراد فرج: القراؤون والربانون، القاهرة 1918 ص48 ، 49 ، حسن ظاظا الفكر الديني، ص247 ، طوبيا سمحاة: نفس المرجع، ص79 ، علي عبد الواحد وافي: نفس المرجع، ص103 ، محمد جلاء إدريس: نفس المرجع، ص21 .

(3) ـ ديورانت: مرجع سابق، م4 جـ14 ص42 .

(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص293 .

(5) ـ يؤكد أكثر من مؤرخ وباحث أن أهل فرقة القرائين ترجع إلى عنان بن داود العراقي (ت 173هـ/ 790م) وقيل عام (183هـ/800م) ولكن أول ذكر لكلمة قرائي وردت في القرن التاسع الميلادي وذلك في كتابات بنيامين النهاوندي وأطلق عليهم بنو مقرا، وقد ارتبط ظهورهم بخلاف على من يتولى منصب رأس الجالوت في العراق بعد وفاة الجائون سليمان فاختير حنانيا الأخ الأصغر لعنان، عكس ماقاله عبد المنعم الحفني، ص143 ، وان اختيار حنانيا لبساطته عكس عنان المعتنق لآراء أبيقور الفلسفية ←

وقد قيل إنَّ مؤسس هذه الفرقة عنان بن داود، وقد أخذ وجهة النظر الإسلامية الخاصة بالمعتزلة. وهي الفرقة المتألقة التي تجمع من حولها كل المتطلعين إلى التخلي عن الجمود وتحكيم العقل في ذلك العصر. وكان هذا الرجل متأثراً بأفكار المعتزلة ومتأثراً بموقفهم في الإسلام من الحديث النبوي، وذلك هو جوهر رفضه للتلمود. ونادى كذلك بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي حق وأنه كعيسى بن مريم. ولم يفكر قط في مخالفة التوراة أو التعدي عليها أو نسخ شرائعها(1).

ولذلك اشتد الصراع بين الربانيين والقرائين، فأعلن رؤساء كل طائفة تكفير الطائفة الأخرى ونجاستها وحرمانها من رحمة الله. ولذلك اعتمد القراؤون على شرائع التوراة المنزلة على موسى في سيناء، ورفضوا ماسواها ولاسيما التلمود. كما أخذوا بالقياس والتوسع فيه. في الوقت الذي يرى فيه الربّانيون أن القياس أدّى إلى البعد عن الطريق المستقيم(2).

← ويعارض التلمود، وتمسك فريق آخر بعنان مما أدى إلى سجنه، فكان معه في السجن الإمام أبو حنيفة الذي أشار على أبي عنان بأن يرسل للخليفة أبي جعفر المنصور ويقنعه برأيه، فاقتنع فأفرج عنه بشرط الرحيل من العراق إلى فلسطين واختلف المؤرخون حول رواية السجن، وقيل إن القرائين تأثروا بالشيعة وقيل تأثروا بالمعتزلة، وهذا الرأي هو الصواب لأن المجتمع الإسلامي كان يموج بصراع بين أهل الحديث وأهل الرأي. ويرى أهل الحديث أن النصوص شاملة لكل مجالات النشاط الاجتماعي، وأهل الرأي يدافعون عن العقل، وهذا جوهر الصراع بين العقل والنقل وبين الفلسفة والدين، انظر ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام القاهرة بدون تاريخ جـ1 ص82 ، الشهرستاني: نفس المرجع، جـ1 ص215 ، عبد المنعم الحفني: نفس المرجع، ص143 ، محمد جلاء إدريس: نفس المرجع، ص32 ، 33 ، طوبيا سمحاة: نفس المرجع، ص31 ، 32 ، حسن ظاظا: الفكر الديني، ص48 ، 49 ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، دار المعارف مصر 1977 ص112 ، المقريزي: الخطط، دار الثقافة الدينية القاهرة 1987 ، جـ2 ، ص472 .

(1) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني، ص 250 ، 151 .

(2) ـ مراد فرج: القراؤون والربانيون/ القاهرة 1918 ، ص 113 إلى 116 ، حسن ظاظا: الفكر الديني، ص151 ، محمد الهواري: نفس المرجع، ص37 ، محمد جلاء ادريسي: نفس المرجع، ص90 ، 91 ، 92 .

ونظراً للتواجد اليهودي بالمغرب، وانتشار المذهب الاعتزالي الذي وصل المغرب على يد عبد الله بن الحارث، الذي أرسله واصل بن عطاء رأس المعتزلة(1)، ونزل في مدينة أوليلى عند اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي، فتبعه على مذهبه خلق كثير، واعتنقت قبيلة أوربه التي كانت من أعظم قبائل المغرب المذهب الاعتزالي، ووافقه إدريس صاحب المغرب الأقصى على مذهبه وأقام عنده. وأمر إسحاق قبيلته بطاعته وتعظيمه(2) وفي النهاية لم يذكر مؤرخوا المغرب شيئاً عن التواجد القرائي بها، بل ينفون ذلك(3). والحقيقة أنهم كانوا موجودين وخاصة في جنوب المغرب، والقليل منهم كانوا في شماله. وقد أتى هؤلاء القراؤون مع اليهود من الأندلس(4)، وكانوا أغنى من الربانيين(5) واشتغلوا بالتجارة التي تجوب البلاد، وساحوا في العالم الإسلامي مستغلين التسامح الديني معهم، بصفتهم أهل ذمة، فوصلوا إلى أقصى الشرق والغرب.

---

(1) ـ أحمد بن يحيى المرتضى: كتاب طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد فلزر، منشورات مكتبة الحياة بيروت، لبنان بدون تاريخ، ص32 .

(2)ـ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص118 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص123 .

(4) ـ تسرب القراؤون إلى إسبانيا في الفترة 328 هـ/939م ـ 339هـ/ 950م وبذلك يعتبر القرن العاشر والحادي عشر للميلاد العصر الذهبي للقراءين فانتشروا حتى وصلوا أطراف المغرب وشمال الأندلس وغربه وتميزوا بغزارة الإنتاج الفكري الذي كان معظمه باللغة العربية وحروفه بالعبرية وفي مجالات متنوعة، ففي القرن الحادي عشر الميلادي وصل ابن يهودا الشهير بأبي فرج، وهو ابن التراس إلى الأندلس وهناك نشر ما تلقاه من المعارف والعلوم واستمال إليه كثيراً من الربانيين ولكن هل استقر في إسبانيا؟ لقد كان الربانيون يعادون القراءين، فقد كانوا يتفننون في اضطهادهم وجلدهم حتى الموت إذا لم يتوبوا ولذلك هرب عدد كبير منهم إلى بلاد المغرب. انظر: التطيلي: نفس المصدر، ص194 ، محمد الهواري: نفس المرجع، ص35 ، مراد فرج: نفس المرجع، ص111 ، ديورانت: نفس المرجع، م4 جـ14 ص42 ، اسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة حسن خضر، دار سيناء 1994 ، ص103 .

(5) ـ قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص34 .

كما جاء عدد آخر من القرائيين إلى بلاد المغرب من مصر وفلسطين على أثر اجتياح المغول لبغداد في عام 656هـ/1258م، نظراً لبعد المغرب عن الأحداث التي كانت تموج بها العراق والشام.

ولذلك نجد الحسن الوزان يتحدث عن هذا التواجد فيقول: «يوجد في جبل هنتاته العديد من الصناع اليهود الذي يدفعون الجزية لأمير هنتاته، وينتسبون إلى مذهب القرائيين[1]. ويقول أيضاً: إنَّه في جبل دمنسرة يوجد قراؤون. ويعتبر هؤلاء اليهود في نظر سائر اليهود الربانيين في افريقيا خارجين عن العقيدة الصحيحة[2].

ورغم ذلك ينفي بعض المؤرخين أي تواجد قرائي في المغرب، عكس ما أكده مؤرخون آخرون من وجود عدد قليل منهم في المغرب، وكذلك في تونس والجزائر[3]. وبذلك يكون التواجد الطائفي اليهودي في المغرب قد انصب على طائفتين اثنتين هما الربانيون والقراؤون. ولم نجد أي تواجد لطوائف يهودية أخرى.

(4) النظام الداخلي للمؤسسة الدينية لدى اليهود:

يشكل المجتمع اليهودي في المغرب الأقصى طائفتين؛ ربانيون ويعرفون أيضاً بالتملوديين وهم الأكثرية، وقراؤون وعددهم قليل. وتتكون طائفة الربانيين من النكيد ومجلس الطائفة، ومن الأعيان، والحزان، والذابح، والختان، والشماس، والمعلم والناسخ. ويمارس هؤلاء الأشخاص عملهم في البيعة الخاصة بهم وسوف نتناول كلاً منهم بحديث.

---

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص154 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص67 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص123 .

(3) ـ ماهر سمك: اليهود أنثروبولوجيا، رسالة ماجستير غير منشورة، ص75 ، أحمد السلماني: نفس المرجع، ص37 .

آ ـ النكيد:

هو شيخ اليهود[1]. ولابد أن يكون من الربانيين لأنهم الأغلبية، وهو همزة الوصل بين الطائفتين اليهوديتين وبين السلطان وموظفي المخزن، وكذلك لدى المسؤولين في المدن والقرى. كما أن شيخ اليهود هو الذي يعين القضاة للجماعات اليهودية في الأقاليم المختلفة، ويشرف على جمع الضرائب من اليهود، وتوقيع العقوبة عليهم بمقتضى أحكام المجلس اليهودي الذي يرأسه في أغلب الأحيان[2]. وله أيضاً أن يقوم بزيارة التجمعات اليهودية خارج العاصمة[3].

وجرت العادة بألا ينال منصب النكيد إلا من أحرز تأييد السلطة وموافقة الأعيان والأحبار، ويقوم فيهم مقام بطريرك النصارى[4]، وصلاحيته في منصبه تكون مدى الحياة، ومهامه سياسية ودينية في آن واحد[5].

ونظام الطائفة اليهودية الأفريقية لم يكن يختلف عن نظام الطائفة اليهودية المصرية[6]. ولذلك يتعين أن يكون النكيد أكبر الكهنة وأعلم الأحبار، وأن يتميز بالنزاهة وحسن الخلق، وأن يكون عارفاً بالكتب اليهودية[7]. وغالباً مايكون ضحية للتغيرات السياسية. وقد يتعرض لمواقف صعبة في فترات الأزمات

---

(1) - Amonon Colhen. op. sit. P. 50.

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص126 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص90 ، قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص43 Man Gacop: The Jews in Eygpt and palestine under fatimid caliphs, Oxford 1920. Vol (1) PP. 255, 256.

(3) - قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص43 .

(4) - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، بدون تاريخ، جـ5 ص474 .

(5) - الهادي روجيه ادريسي: الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 هـ إلى القرن 12 هـ، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1992 ، جـ2 ص380 .

(6) - المرجع السابق، ص380 .

(7) - قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص43 .

الشديدة، وعلى الطائفة الالتزام كتابة، بتعويض خسائره المادية التي يتعرض لها أثناء تأدية مهامه[1]. وإلى جانب هذه المهام الدينية والإدارية، كان النكيد يدير أعماله الخاصة، مثل الاشتغال بالأعمال الربوية والتجارية[2].

ب ـ مجلس الطائفة:

ويتكون من الأحبار الرسميين ـ واسمهم بالعبرية «صخميم» ـ ومن القضاة واسمهم بالعبرية «ديانيم»، وهم أصحاب الأمر والنهي في الأمور الشرعية[3]. وكانوا يتولون القضاء دون أن يتدخل قضاة مسلمون في شؤونهم، وقد أجاز الفقهاء المسلمون تقليد الذميّ القضاء ليقضي بين اخوانه وأهل دينه[4]. وإذا كانت الخصومة بين ذميٍّ ومسلم فإن القضاة المسلمين يتولون الفصل فيها. وإذا رغب يهودي مُدَّعَى عليه من قوم في التقاضي عند قضاة مسلمين، وأظهر وثيقة فيها براءته، وكان شهوده مسلمين عدولاً، لزمت محاكمته أمام قضاة مسلمين[5]. وهكذا كان من الممكن أن يشهد المسلمون لصالح يهودي مظلوم وسط قومه ويحكم له قاضٍ مسلم. وكان لليهود قسم يحلفونه في دور عبادتهم أمام مجلس الطائفة يوم السبت[6]. وتخص الجماعات اليهودية المغربية أحبار مجلس الطائفة باحترام وتقدير كبير لما له من حب لأرض الأجداد. وتعود كذلك هيبة ونفوذ هذا الحبر لمعارفه التلمودية.

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص126 .
(2) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص39 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص290 ، الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص41 .
(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص225 .
(4) ـ أحمد عبد المنعم حسن: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين دولة علي بن يوسف، الناشر مؤسسة شباب الجامعة اسكندرية 1986 ، ص291 ، 292 .
(5) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ10 ص56 .
(6) ـ المصدر السابق، جـ10 ص309 ، كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب الونشريسي، مصر 1991 ، ص39 .

ج ـ الأعيان:

ويلقبون ألقاباً تشريفية متعددة تناسب الدرجات الاجتماعية لوضعهم المالي. مثل «روش هقهل» أي شيوخ الطائفة، أو «طوفي هعير» وتعني أخيار المدينة، ومثل الكزبريم أي أمناء الأموال، والبرنسيم أي المعتقدون وعددهم سبعة. وغالباً مايتغلبون على الطائفة بثروتهم المالية وسلطتهم الدنيوية ويستفيدون شخصياً من مناصبهم فيستحلون مالايحل لغيرهم، فيضطر الأحبار إلى استنكار هذه الأعمال وكانوا ذي نباهة وثقافة، ومنهم يتم اختيار أعضاء مجلس الطائفة وهم الذين يقومون مع غيرهم بالوظائف العامة، ويعملون عادة تطوعاً في عدة أعمال، مثل جمع وتوزيع الرتب، وتمويل وتيسير المؤسسات الاحسانية، وإدارة المعابد والمؤسسات الدينية[1]. ومن مهامهم أيضاً إرسال الإعانات إلى اليهود الفقراء[2]. ومن حق فقراء المدينة الأسبقية في الحصول على الأموال الخيرية التي تخصصها لهم الطائفة التي ينتمون إليها[3]، ومايفيض عن فقراء المدينة يبعث إلى المؤسسة الفلسطينية[4] بصفد، لأن اليهود المغاربة ويهود هذه المؤسسة من العاملين بالتلمود الأورشليمي.

د ـ الحزان:

هو بمثابة الخطيب ويصعد المنبر ويعظهم[5]، وهو المسؤول عن الصلاة[6]، وعن حراسة الأطفال أثناء تعليمهم، ويتقاضى عن ذلك أجراً[7].

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص125 .

(2) ـ محمد بحر عبد المجيد: اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المكتبة الثقافية عدد 273 القاهرة 1970 ص21 .

(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص134 .

(4) ـ المرجع السابق، ص30 .

(5) ـ القلقشندي: نفس المصدر، جـ5 ص474 .

(6) ـ قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص44 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص361 ، وحزان وظيفة تشير إلى قائد جوقة الانشاد في الصلوات الدينية.
Man Gacop. op sit. P. 265.

(7) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص63 .

هـ ـ الذابح:

وهو (الشوحط) أي الشخص الذي يعين للقيام بذبح القرابين حسب المقتضيات الدينية[1].

و ـ الختَّان:

وهو «الموهل» أي الشخص الذي يقوم بعملية الختان، لأنه من لم يختن لايعد عضواً في الشعب المقدس، وأصبح الختَّان شخصية أساسية في المجتمع اليهودي[2]. والختان في اليهودية فريضة أمر الله بها سيدنا ابراهيم، وواجب اجراؤها في اليوم الثامن لولادة الطفل وهي فريضة على الحر والعبد. وقد أوجب الربانيون ختن الطفل إذا مات قبل اليوم الثامن من ولادته، ولم يوافق على ذلك القراؤون[3].

ز ـ الشمّاس:

يطلق عليه بالعبرية «البرانسيم» أو الحارس للمعبد اليهودي. وهو الذي يقوم بوظائف متعددة، إذ كان يشرف على المعبد، وينفذ أحكام «بيت دين» أي المحكمة اليهودية. وكانت واجباته هذه تجعله مسؤولاً عن جمع معلومات تفصيلية عن اليهود[4].

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص130 ، 131 . عبد الوهاب محمد المسيري الايديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، الناشر عالم المعرفة الكويت عدد 60 ، 1982 جـ1 ص38 ، لكن نجد هذه الوظيفة يطلق عليها «الشلحصور» وهو الإمام الذي يصلي بهم. انظر القلقشندي: نفس المصدر، ج5 ص474 ، قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص45 .

(2) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية، جـ1 ، ص38 .

(3) ـ محمد الهواري: نفس المرجع، ص37 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص176 .

(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية، جـ1 ، ص38 .

ح ـ المعلم والناسخ:

يطلق عليه بالعبرية «سوفر»، ويتلقى مساهمة متواضعة من ميزانية الطائفة. غير أن مواردهم (الناسخ والمعلم) تكون من أجرة مهنتهم، وهم يعيشون على الكفاف، ويعفون من ضريبة الرأس ومن الضرائب الجماعية[1]. ويقوم الناسخ أيضاً بأعمال هامشية كتجارة الورق المتواضعة الصنع، أو الحبر الذي يقوم بصناعته، وكتابة التعاويذ والأحجية، كما يقوم بالذبيحة الشعائرية للدواجن والمواشي وينشد الأغاني الدينية[2]، ويمارس هؤلاء المسؤولون عن الطائفة اليهودية. والذين تحدثت عنهم وعن عملهم ـ من خلال البيعة الخاصة بهم.

البيعة ووظيفتها:

هي المعبد أي «بيت هاكنسيت» بالعبرية[3] وكنيسة اليهود[4]. وهي مكان الاجتماع الذي تعقد فيه الصلوات اليهودية، والمكان الروحي للأقليات اليهودية، الذي يتدارسون فيه تراثهم الديني، وتقام فيها الصلوات اليومية. وكان اليهود يجلسون في المعبد أو البيعة وفق ترتيب انتمائهم الطبقي. فيجلس الحاخامات والفقهاء وأصحاب المكانة العالية في المقدمة، ويجلس وراءهم أثرياء التجار ثم باقي اليهود[5]. وإن تعذر وجود بيعة أقاموا صلاواتهم في البيوت، فكان كل بيت لليهود كنيسة، وكل أب كاهناً. فصلوات الكنيسة وطقوسها كانت لها مثيلاتها التي تقام بإيجاز في البيت. وكان الصوم والأعياد يحتفل بها أيضاً في البيوت[6]، وفي البيعة يجتمع مجلس الطائفة لاتخاذ القرارات أو

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص131 .
(2) ـ المرجع السابق، ص63 .
(3) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص368 .
(4) ـ ابن منظور: نفس المصدر جـ1 ص402 ، المعجم الكبير، الجزء الثاني، حرف الباء، طبعة أولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981 ص730 .
(5) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص368 ، حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم سوريا 1987 ص77 .
(6) ـ ديورانت: نفس المرجع، م4 جـ14 ، ص72 .

إعلان المراسيم علناً[1]. وأيضاً يحثون اليهود على العصيان والغش، إذ يقولون لهم في مجلس وعظهم: اعلموا أن أبا القاسم نبي العرب قال لأمته: من غشنا فليس منا، فإن غششتم فلستم منهم، وإن لم تغشوا فأنتم منهم. مما يتضح مدى تحريض هؤلاء اليهود على هذه الأفعال[2].

وبذلك أصبحت البيعة نقطة الالتقاء الطبيعي للطائفة، وتجمع مواردها عن طريق بيع «الماصوت» وهو حق الصعود للمنبر لقراءة بعض الفرائض بالمزاد العلني، ومن الضرائب المباشرة وغير المباشرة التي تفرض على المواد الغذائية لدى التجار[3]. وفي البيعة صناديق للأعمال الخيرية يصرف منها إعانة للمحتاجين في حالات الضيق والمجاعات[4].

ويؤكد أكثر من مؤرخ على وجود معابد قديمة لليهود في المغرب الأقصى منذ زمن طويل لايمكن تحديده[5]. وكذلك توجد معابد محدثة البناء في بعض القرى المغربية[6]، ويعتبر هذا الأمر في نظر الفقهاء المسلمين نقضاً للعهد العمري، ولكن فقهاء المغرب الأقصى رأوا أن الوفاء لأهل الذمة واجب، ولذلك أباحوا لكل طائفة منهم ببناء بيعة واحدة لإقامة شريعتهم، ولكنهم منعوهم من دق النواقيس[7].

وقد نال اليهود منزلة سامية عند بعض الحكام فمنحت لهم عدة امتيازات من بينها حرية بناء البيع مثلما حدث في قصور توات، حيث كان يقيم أبو عبد

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص133 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص331 ، الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص75 ، ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف مصر 1967 ، ص123 .

(2) ـ أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1986 ، ص137 .

(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص133 ، 136 .

(4) ـ المرجع السابق، ص134 .

(5) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ4 ص219 .

(6) ـ الإمام الشافعي: نفس المصدر، جـ4 ص126 .

(7) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص219 ، 220 .

الله محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قام هو وعدد من الذين استجابوا له بمساعدة أهالي توات في هدم البيع التي بناها اليهود هناك وتطبيق الجزية والزي عليهم[1].

(5) (الصديقيون) اليهود:

كان للانتشار الإسلامي بين البربر بعد فتح بلاد المغرب أكبر الأثر في القضاء على العادات الوثنية، غير أنه بقيت بعض الأفكار الدينية التي كانت موجودة قبل الإسلام[2]، ولذلك نجد مناطق في المغرب الأقصى، ظل الإسلام بها سطحياً مثل بلاد غمارة[3] المنعزلة التي يوجد بها عادات ومعتقدات غريبة وتنتشر بها أعمال السحر[4]، إلى جانب أن أهل مراكش انتشرت بينهم عادة التبرك بالقبور[5]، وهذا راجع إلى ظهور بعض مدعي التصوف من غير المتعلمين الجهلاء تماماً والذين تعوزهم الثقافة الدينية[6].

وسادت نفس الظاهرة بين اليهود في المغرب الأقصى، فظهر بينهم من عرفوا «بالصديقيين» كما كان يطلق عليهم في أحيان أخرى لقب «ولي البلاد» الذي كان يعني ضمناً أنه بمقدوره رعاية الطائفة وحمايتها[7]، ونظراً لاعتراف

---

(1) - صالح محمد فياض: نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة اسكندرية 1977 ، ص134 ، 135 .

(2) - ديلاس أوليري: الفكر العربي ومكانتة في التاريخ، ترجمة تمام حسان، مراجعة محمد مصطفى حلمي، عالم الكتب، القاهرة بدون تاريخ، ص37 .

(3) - غمارة: هي أرض بالقرب من مدينة سبتة، انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص199 .

(4) - ابراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي، دار سينا للنشر القاهرة 1995 ، ص28 ، 29 .

(5) - المرجع السابق، ص199 .

(6) - ألفردبل: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي 1969 ، ص386 .

(7) - صموئيل اتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية (1850 - 1950م) ترجمة جمال أحمد الرفاعي، مراجعة عبد الله الشامي، عالم المعرفة عدد 117 الكويت 1995 ، ص314 ، 315 .

الإسلام بهم كأقلية داخل المجتمع المغربي، فقد مارسوا عاداتهم وتقاليدهم بحرية مثل الاحتفال بالأولياء والقصد إلى أضرحة حاخاماتهم بالذبح والصلوات[1].

وكذلك كان فقراء اليهود يعطون للصديقيين فدية أي مبلغ من المال عندما يباركونهم ويلتمسون منهم الشفاء، ونتيجة لذلك اغتنى كثيراً من الصديقيين بدرجة كبيرة[2] ونظراً لأن أغلبية اليهود المتواجدين بالمغرب الأقصى في الجنوب من سلالة يهود الشتات الفلسطيني فقد كان لهم وضع خاص، حيث شكل الأولياء الفلسطينيون 90٪ من كل الأولياء بالمغرب[3].

وقد أشاع الأولياء بين العامة من اليهود عدة أمور خارقة للعادة[4] مثل تمكين العاقر من الانجاب، وتمكين العجزة من السير على أقدامهم، وتمكين المكفوفين من الابصار، ولذلك كان اليهود المغاربة يأمنون بالصديقيين والأولياء إلى جانب أنهم كانوا يعطون قدراً كبيراً من القداسة لكل مايحيط بقبر «الصديق» والولي. وكان زوار هذه القبور يأخذون أي مخالفات من حول هذا المكان ويحتفظون بها إيماناً بأنها ستوفر لهم الأمن[5]، وشاعت ظاهرة زيارة قبور «الصديقيين» والأولياء في المغرب أكثر من شيوعها في أي مكان آخر «حيث كان يخيل للجهلاء أنه برفع القباب، ووضع الثياب، وتشييد القبور، واحراق البخور، فإنهم بذلك يتقربون إلى الله زلفى[6]. وكانت هذه الظاهرة تتزايد بقوة في جنوب المغرب عن شماله نظراً لكثرة عدد اليهود وجهلاء البربر هناك»

---

(1) ـ محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في بلاد السودان الغربي، ص609 .

(2) ـ أحمد مرسي، فاروق محمد جودي: الفلوكلور والاسرائيليات، دار المعارف مصر 1977 ، ص170 .

(3) ـ صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص315 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص197 ، 198 .

(4) ـ ابن سيد الناس: المقامات العلية في الكرامات الجلية، تقديم وتحقيق عفت وهالة حمزة، دار الملاح للطباعة والنشر طبعة أولى، القاهرة 1986 ، ص9 .

(5) ـ صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص315 .

(6) ـ عبد الكريم دهينة: الأضرحة وترك الاعتقاد، دار النوى المحمدي القاهرة 1993 ، ص53 .

ولقسوة ظروف المعيشة في الجنوب[1]. كان الأتقياء من اليهود يقومون بزيارة هذه القبور في الفترات التي كانوا يواجهون فيها أي نوع من الأزمات، وكانت زيارة القبور فرصة للالتقاء بأفراد العائلة[2]، وعند الانتكاسات يظهر الأولياء المنقذين لهم ولأحلامهم.

ولقد كان في الاحتفالات بهؤلاء الأولياء يلتقي السحر بالدين وبالأخص عندما يتعلق الأمر ببعض التقاليد والعادات والأمراض الشائعة ذات الطابع المحلي والمشترك بين الطوائف المغربية اليهودية والإسلامية معاً[3]، مثل العقم والإجهاض المتكرر. والحكم المأثورة في هذا الصدد، أن من لاولد له لاحياة له وأن المرأة العاقر شجرة ميتة. وعليه فإن على المرء أن يحتاط لهذا الأمر كثيراً، وأن يتقي شره بكل أنواع الأدوية الطبيعية، أو في حالة الضرورة عليه أن يلجأ إلى قوة طبيعية عليا أو أن يتشفع بها للأولياء الفلسطينيين أو أن يتجه إلى مزار الصالحين أو أن يقوم بممارسات متعددة، وبأشكال غريبة مختلفة مثل علم الباطن «القبالي»، والسحر أو الشعوذة الشعبية[4]، ويرفض القراؤون سلوك الربانيين الذين كانوا يجلسون في المقابر ويسألون الأموات، واعتبروا ذلك ضرباً من الشرك[5].

وكان للأولياء المسلمين كرامات يستنجد بها اليهود، مثلما استغاث يهودي بمراكش ببركة الشيخ أحمد بن جعفر الخزرجي أبي العباس السبتي في قضاء حاجة له، وهي أنه كان سائراً مع قافلة في مفازة فعرجت دابته فجلس يبكي وبينه وبين الناس «القافلة» بعد فاستغاث بأبي العباس السبتي فاتصل بالقافلة[6]. ويدل ذلك على مدى انتشار عادة الاستغاثة بالأولياء سواء كانوا

---

(1) ـ صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص317 .
(2) ـ المرجع السابق، ص316 .
(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص48 .
(4) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص48 ، 49 .
(5) ـ محمد جلاء: نفس المرجع، ص92 .
(6) ـ أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا 1989 ، ص76 ، المقري: نفح الطيب، جـ7 ص270 ، 271 .

يهوداً أم مسلمين في قضاء حاجاتهم مما أوجد علاقة من نوع مابين المسلمين واليهود.

(6) ـ ملابس اليهود:

كان للمسلمين زي يختلف عن زي أهل البلاد المفتوحة، وبذلك لم يكن هناك ضرورة لفرض قيود على الزي، ولكن بمضي الوقت أخذ العرب الفاتحون بمظاهر الترف، وبدأ المغلوب يحاكي الغالب في كل شيء حتى في الزي[1]. هنا بدأت الدولة تفرض على أهل الذمة زياً له صفات معينة. ففيما يتعلق باليهود كان يتكون من «ثياب كحلية وأكمام مفرطة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كانوا يلبسون كلوتات على أشنع صورة كأنها البرادع تبلغ تحت آذانهم وشاع هذا الزي بين جميع يهود المغرب، وفي عهد أبي عبد الله العادل الموحدي (621 ـ 624هـ/ 1224 ـ 1227م) وبعد توسلهم سمح لهم بثياب صفر وعمائم صفر[2].

هذا في عصر الموحدين، فهل استمر هذا الزي في عهد بني مرين وبني وطاس؟ الرد على ذلك هو أنه حدث تعديل، فقد فرضت عليهم نعال خاصة كما ألزموا بلبس عمامة سوداء أو طاقة تضاف لها قطعة من ثوب أحمر[3]، ويؤكد على ذلك رحالة معاصر إذ قال إنهم كانوا يضعون على رؤوسهم عمامات سوداء، وعلى العمامة أو الطاقية خرقة ملونة وحتى على ملابسهم لتميزهم عن غيرهم[4]، وكذلك قال رحالة آخر بأنهم كانوا يلبسون نعالاً من قش، ويضعون فوق رؤوسهم عمامات سوداء، والذين يرتدون لباس قلنسوات

---

(1) ـ ترنون: نفس المرجع، ص127 .

(2) ـ المراكشي: نفس المصدر، ص383 .

(3) ـ ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب ط2, ص1984 ، جـ2 ص191 .

(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، ص156 .

فعليهم أن يخيطوا فوقها قطعة من قماش أحمر(1)، كما كانوا يضعون رقاعاً على الأكتاف ويشدون الزنار في الوسط(2).

أما في أواخر دولة بني مرين فنجدهم يتشبهون بالمسلمين بارتدائهم الزي الإسلامي(3)، ولكن في حالة صحوة الحاكم والقاضي نجد أنهم كانوا يتعرضون للعقوبة من القاضي بحبسهم وضربهم والطواف بهم في مواضع أهل الذمة ردعاً لأمثالهم(4)، لكن الحريم لم يكن لهنَّ زي خاص بهن، فقد كن يلبسن مثل حريم المسلمين(5) نظراً لأن اليهوديات ليس لهن اتصال بالمسلمين مثل الرجال اليهود(6) الذين كان لابد من تميزهم في الزي عن المسلمين.

(7) ـ نظام الأسرة:

أ ـ الزواج:

يتم الزواج بعد أن يقدم الخطيب لخطيبته قطعة نقدية أو شيء ذا قيمة، وعليه يبارك الزواج بالقدوس (وهي مباركات الخمر السبع)، ويصبح هذا الزواج قائماً ويشار إلى ذلك باللفظة العبرية (نسوئين) بمعنى حمل الزوجة إلى بيت الزوجية. والعقد يتضمن عدة إجراءات تحمي المصالح المالية للزوجة(7)، وكان لدى يهود المغرب الأقصى نظامان للزواج:

---

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص284 ، 285 .

(2) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص254 .

(3) ـ المصدر السابق، جـ6 ص69 .

(4) ـ يحي بن عمر: أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، راجعه فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1975 ص97 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص69 .

(5) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص69 ، كان للنساء اليهوديات والمسيحيات نظم مماثلة إذ كان يتوجب عليهن أن يلبسن في الشوارع ألبسة زرقاء أو صفراء على رؤوسهم، انظر، ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، تقديم عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972 ص120 .

(6) ـ الهادي روجيه ادريسي: نفس المرجع، جـ2 ص383 .

(7) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 79 .

الزواج القشتالي:

وهو نظام يعطي مساواة قانونية عند فسخ عقد الزواج بسبب وفاة أحد الزوجين من جهة وتوزيع الميراث من جهة أخرى، كما أنه يحرم تعدد الزوجات[1]، ولكن القرائين اشترطوا العدل عند تعدد الزوجات[2].

عقد يسمى بالصداق:

يقدمه الزوج ويبرم أمام مجلس قضاء مكون من قاضي وشاهدين عدلين[3]، إلى جانب الزواج التقليدي الذي لم يذكره المؤرخون.

تعدد الزوجات:

تعترف التوراة بتعدد الزوجات، ولم يرد فيها نص واحد يحرم التعدد، وكذلك لاتوجد نصوص في التلمود تحرم التعدد، وليس في الدين اليهودي حد أقصى لتعدد الزوجات، واستمر ذلك إلى أن حرم على يد جرشوم بن يهودا، وطبق في أوروبا حوالي عام 1240م، وأما في أفريقيا فقد التزم به البعض ولم يلتزم به البعض الآخر[4]، وكان التعدد يمثل نوعاً من الحفاظ على العفاف والأخلاق، وجعلت المراسيم القشتالية المؤرخة في عام 1494 م من البند المانع للتعدد بنداً اجبارياً، وأصبح هذا التشريع ساري المفعول في المغرب الأقصى فاختفى نظام تعدد الزوجات، غير أن هذا التشريع تعرض فيما بعد لمعارضة اليهود المغاربة الأصليين الذين ظلوا أوفياء للنظام التقليدي الذي يسمح بتعدد الزوجات، وصدر تشريع جديد يسمح باتخاذ زوجة ثانية في حالة عدم إنجاب ذكر، وقد أدت معارضة الأحبار لتعدد الزوجات إلى تدخل السلطات الحكومية بإيعاز من بعض الأعيان اليهود ذوي النفوذ، الذين اتهموا الأحبار بانتهاك حرمة

---

(1) ـ المرجع السابق، ص80 ، ماهر سمك، نفس المرجع، ص131 .
(2) ـ محمد جلاء ادريسي: نفس المرجع، ص115 .
(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص79 ، ماهر سمك، نفس المرجع، ص 131 ـ 144 .
(4) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص192 ، 193 . محمد جلا ادريسي، ص114 ، 115 .

التشريع التلمودي، فصدر مرسوم من السلطات يسمح لليهود بأن يتزوج أكثر من زوجة، وقد هددت الزوجات اليهوديات اللائي تزوج أزواجهن عليهنّ بالخروج عن الديانة اليهودية. وبعد فترة من الخلافات بين الفريقين سواء المؤيد للتعدد أو المعادي له، صدر تشريع يحدد الأسباب التي تسمح للزوج بزوجة أخرى، والأسباب هي[1]:

1 - يسمح بالزواج بزوجة ثانية في حالة عقر الزوجة الأولى.

2 - ضمان ممارسة زواج السلفة[2].

3 - إذا وجد الزوج بعيداً عن زوجته الأولى ويصعب عليه الاتصال بها لأسباب قهرية (طرق مقطوعة أو غير آمنة).

4 - إذا كانت الزوجة الأولى مريضة مما يعسر إقامة علاقة معها[3]، أما القراؤون فيجيزون الزواج على المرأة الأولى إذا كان الزوج في سعة من الرزق ويستطيع معايشتهما معاً أو منفردتين ويعدل بينهما[4].

والزواج بغير اليهودية كان محرماً في هذين العصرين المريني والوطاسي[5].

ب - الطلاق:

تفسخ الرابطة الزوجية بوفاة أحد الزوجين أو بطلاق مكتوب، ويملك الزوج وحده من حيث المبدأ حق التصرف فيه، وتبذل المحاولات للحد من الطلاق حماية للمرأة ونصرة للأخلاق.

---

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص80 ، 81 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص132 ، 133 .

(2) - زواج السلفة: إذا مات زوج عن زوجته، دون أن ينجبا أطفالاً فإن أخاه الشقيق أو أخاه من أبيه، يتزوج زوجته، ولاتحل لغيره مادام حياً إلا إذا تبرأ منها، انظر: حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص81 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص82 ، 84 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص 132 ، 133 .

(4) - محمد جلاء: نفس المرجع، ص115 .

(5) - روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص114 .

وتنحصر أسباب الطلاق التي يقدمها الزوج ونادراً ماتقدمها المرأة في أمور معينة هي:

1 ـ الزنا.

2 ـ الامتناع عن المعاشرة.

3 ـ العيب أو العاهة.

4 ـ رفض الزوجة مصاحبة زوجها في البحث عن رزقه.

5 ـ إذا اعتنق الزوج أو الزوجة الإسلام أو مذهب آخر(1).

(8) أعياد اليهود في بلاد المغرب الأقصى:

في ظل دولتي بني مرين وبني وطاس، احتفل اليهود بأعيادهم في حرية، مستغلين تسامح الدولة معهم والوضع القانوني الذي تكفله لهم الشريعة الإسلامية، ولذلك مارسوا احتفالاتهم. ففي الحياة العامة احتفالات تذكارية، منها مايخضع للتشريع العام «الهلخاة» ومنها ما أصبح جزءاً من الأعراف والعادات التي خلدتها الممارسات الطويلة القديمة.

وسوف نتعرض إلى الاحتفالات المشتركة لدى كل اليهود حيث يعتبر يهود المغرب جزءاً من هذا الكل، ونرصد مايميز اليهود المغاربة في احتفالاتهم وأثر البيئة التي يقطنونها عليهم وعلى حياتهم واحتفالاتهم.

١ ـ أعياد الحج الثلاثة عند اليهود:

يحج اليهود إلى القدس ثلاث مرات في السنة لزيارة الهيكل، حيث تقام الشعائر، وتقدم القرابين والهدايا، تبعاً لما جاء في النصوص التوراتية التي تقول: «ثلاث مرات تعبد لي في السنة تحفظ عيد الفطيرة، تأكل فطيراً سبعة أيام كما

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص90، 92 ؛ ماهر سمك: نفس المرجع، ص 137 .

أمرتك في وقت شهر أبيب[1]، لأن فيه خرجت من مصر ولايظهر أمامي فارغين وعيد الحصاد ابكار غلاتك التي تزرع في الحقل»؟[2]، وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل. ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب. لاتذبح على خمير دم ذبيحتي. ولايبيت شحم عبدي إلى الغد. أول ابكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك لاتطبخ جدياً بلبن أمه»؟[3].

العيد الأول: عيد الفصح أو (الفسح).

العيد الثاني: العيد المسمى الأسابيع (شافوعوت).

العيد الثالث: عيد سكوت الخيام (الظلل)

آ ـ عيد الفصح:

يسمى بالعبرية «بيساح» وأيضاً عيد «الفسح» أي عيد الفرج بعد الضيق[4]، ويسمى أيضاً عيد الفاسح[5]، ويحتفل به في أول الربيع، في الخامس عشر من شهر نيسان «ابريل» ويدوم ثمانية أيام تسمى «البيصح» أي المرور،

(1) ـ في المغرب يطلق عليه شهر الاسبال «شهر الفرك» انظر حاييم زعفراني: نفس المرجع، 237 .

(2) ـ يبدل يهود المغرب الأقصى الحقل بالصحراء حتى يتمشى مع طبيعة البيئة التي يعيش فيها أغلب اليهود خاصة في الجنوب والمناطق الجبلية. انظر حاييم زعفراني: نفس المرجع، 237 .

(3) ـ التوراة سفر الخروج، اصحاح 23 آية 14 ـ 20 . أما طهي الجدي بلبن أمه، فتحريمه راجع إلى قداسة اللبن في الديانة المصرية القديمة فاللبن اعتبر في الشعائر المصرية سائلاً سحرياً مفعماً بمقدرات الهية، وقد صور الفرعون في النقوش والرسوم المصرية وهو يرضع من ثدي إيزيس، رمزاً إلى اعتبار الفرعون ابناً للألوهية وحائز لقدرات تفوق قدرات البشر، ومن هذا النبع المصري، عرف اللبن طريقه إلى عبادة يهوه، ولكنه ـ للأسف ـ انزل إلى مستوى «لاتطبخ جدياً بلبن أمه» انظر شفيق مقار: السحر في التوراة العهد القديم، رياض الريس للكتب والنشر لندن 1990 ، ص264 ، 265 .

(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص276 .

(5) ـ المقريزي: الخطط، جـ2 ص474 .

وحج «همصوت» بالعربية، وعيد الفطير (وزمت حيروتينو) أو موسم الحرية، وحج (هأبيب) بالعربية أي عيد الربيع[1]. والثمانية أيام هي المدة الشرعية والقانونية للعيد في الشتات وسبعة أيام في الأراضي المقدسة (فلسطين)[2]. ويتمسك اليهود القراؤون بكون العيد سبعة أيام[3]، ولم يختلف اليهود الربانيون والقراؤون إلا في مواعيد الاحتفال، وسبب ذلك، إن المشرعين اليهود زادوا يوم في الأعياد الكبيرة من باب الاحتياط ليتسنى للحجاج المسافرين أن يصلوا إلى الأراضي المقدسة في الموعد المحدد[4]، وقيل إن هذا العيد لايصح أن يبدأ يوم الاثنين أو الأربعاء أو الجمعة وهو مالم يتقيد به القراؤون[5].

ويبدأ الإعداد له في الصيف الذي قبله، عند جمع القمح الخاص بصنع الفطائر «الرغائف» كما تسمى باللغة المتداولة في المغرب الأقصى، وتمر عملية صنع الرغائف بعملية معقدة حيث ينظف كل شيء حسب شريعة الطهارة. والفطيرة أو الرغائف يجب فيها على اليهودي أن يتأكد من أن أي خميرة تصلح للخبز قد أبعدت عن البيت تماماً. ثم بعد هذا يأكل اليهود خبزاً لاتدخله خميرة ولاملح، تذكيراً لهم بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم وقت للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر، ويوضع على مائدة الفصح ثلاثة أرغفة ترمز للكهنة واللاويين والشعب عامة[6]، ومن

---

(1) ـ الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص78 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص180 ، 181 .

(2) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص39 .

(3) ـ مراد فرج: نفس المرجع، ص17 ، 18 .

(4) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص182 .

(5) ـ قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر، ص125 ، واليهود في مصر، /ص47 ، وهذا خلط عند المؤلف والصحح: «ولايكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبداً يوم الاثنين ولا يوم الأربعاء ولايوم الجمعة. انظر المقريزي: الخطط، جـ2 ص474 .

(6) ـ اللاويين: أحد أسباط إسرائيل الاثني عشر من نسل لاوي، نصبهم موسى ـ عليه السلام ـ ليخدموا في خيمة الاجتماع مكافأة لهم على رفضهم الاشتراك في عبادة العجل الذهبي، ولذا أصبحوا هم الكهنة. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص331 .

أكل خبزاً مخمراً في هذا اليوم كأنه فصل نفسه عن الشعب اليهودي[1].

وهذا العيد يجلب متاعب لليهود فإنَّه بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودي مجاور في فترة عيد الفصح يتهمون بقتله، لأن الفطيرة يدخل في عجنها دماء بشرية يأخذونها من ضحية يقتلونها من غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين. وهذا وصمة من الممكن أن تكون من الجاهلين كرد فعل لما عاناه من الاضطهاد والاحتقار والفقر والجهل والمرض والخوف، أو بتوجيه طائفي من بعض القادة الروحانيين الذين برعوا في التأويلات والاستنباطات الغريبة من التوراة والتلمود والقبالة وغيرها من الكتابات الصوفية الباطنية. ومن المحتمل جداً أن يكون هؤلاء الجهلة من اليهود قد استحدثوا هذه البدع الوحشية اشباعاً لما في نفوسهم من حقد على أبناء الملل الأخرى والمسيحيين بوجه خاص[2].

ولعيد الفصح عند يهود المغرب الأقصى خصوصية انفردوا بها عن سائر يهود العالم، ففي الليلة الأولى وتسمى بالعبرية «ليلة السدر» أي «الترتيب والتوالي» وهي التي تكون الفترة المهمة واللحظة الطقوسية المفضلة حيث تكرس لاحياء ذكرى الخروج من مصر[3]، ويتم ذلك بقراءة «الهكدة» وتنطق

(1) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص276 .

(2) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص185 ، 186 ، ولكن يوجد رأي آخر خاص بالأضاحي بالعودة إلى خمسة آلاف سنة مضت وقت نشأة المدن في الهلال الخصيب وسيادة الذكور تزاوج الثقافتين الرعوية الأبوية والزراعية الأمومية تحولت احتفالات الخصب لحثّ الأرض على الإنتاج، من إلهات الأرض والزهرة والإناث، إلى إلهة الذكور، فتحولت القرابين بالتالي إلى أضاحي، يضحي فيها الملك بنفسه، ويبدو أن تقديم الأطفال قرباناً للنيران ـ فيما نرى ـ قد نشأ عن محاولة الملوك للتهرب من هذا المصير المفزع، فنشأت عادة مضاجعة الملك للكاهنة الكبرى «قاديشتو» لإنتاج إلهة من نسله الملكي الإلهي تخصص للتضحية. انظر سيد محمود القمني: الأسطورة والتراث دار سيناء القاهرة 1994 ، ص106 .

(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص238 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص276 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص181 .

«الهاجاداة»[1]، «قصة الخروج من مصر» وتبدأ بسرد القصص التوراتي الخاص بفكرة التحرر والخروج. وتقام هذه الاحتفالات الدينية الكبرى في البيعة، لكن طقس السدر يحتفل به في وسط العائلة، ويلعب الأب دور الحبر الواعظ ويرسخ في أذهان أبنائه التعاليم التي ترتبط بـ «معجزة الخروج من مصر» ومن المحتمل أن يكون هذا الطابع العائلي الخاص هو أصل الخرافات المتعددة والعادات والأعراف التي ترافق احتفال السدر ونظراً لجهل الأطفال والنساء باللغة العبرية لغة العبادة ترجمت «الهكدة» إلى لهجات البلدان التي قامت فيها طوائف يهودية وفي المغرب تعرف العديد من الترجمات الشفوية في العربية وفي القشتالية القديمة التي نقلها مهاجروا إسبانيا معهم منذ عام 898هـ/ 1492م. وتوجد ترجمة لهذه الطقوس إلى اللغة البربرية، وترجمة أخرى إلى لغة «تشلحيت» في سوس وتقرأ هذه الطقوس بهذه اللغات المحلية نظراً لما تحظى به من شعبية كبيرة لم تحظ بها بقية النصوص الدينية الأخرى في المغرب[2].

ويبدأ نص «الهكدة» كالتالي (سراعاً خرجنا من مصر) ويدور طبق السدر الذي فيه الفطيرة والعنب المر وعظم خروف[3] (رمز لحمل الفصح) وذلك

---

(1) ـ الهاجاداة: لفظة آرامية بمعنى «روى، وسرد، وحكى، وقص» وهي مشتقة عن أصل عبري غير معروف على وجه الدقة فيقال إنها من فعل «هجد» بمعنى «قيل» للإشارة للقصص الشفوية في مقابل القصص المروية، وإن كان يقال إنها مشتقة من عبارة «هيجادتا لينجا» أي «تخبر ابنك». وتستخدم هذه الكلمة في معنيين ليس بينهما علاقة كبيرة (أ) صلوات عيد الفصح إذ تطلق على مجموعة الصلوات والأدعية والتعليقات المدراشية أي الدراسة والوعظ الذي يعتمد دائماً على الاستشهاد بالتوراة والمزامير والسرد القصصي الذي كان يرويه الأحبار عن اليهود في مصر والخروج منها، ثم الشكر لله على استرداد أرض إسرائيل والدعاء له أن يساعد اليهود على استردادها مرة أخرى، وتطلق أيضاً على الكتب التي تحتوي أدعية وصلوات (ب) وتستخدم الهاجاداة ومرادفها إجاداة للإشارة إلى الفقرات والقطع التلمودية التي تعالج الجوانب الأخلاقية أو القصصية أو الدعوات والتنجيم والسحر والتصوف....، انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص407 ، 408 .

(2) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص239 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص143 ، 144 .

(3) ـ وكأس من الماء بالملح انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة ص276 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص183 .

لتذكيرهم بما عاناه أسلافهم أثناء فرارهم في الصحراء[1]، ويمثلون في تفيلالت[2]، وفي الأطلس، «مشهد الخروج السريع من مصر» إذ يغادر الرجال دورهم وعلى أكتافهم عصيٌ ربطت بآخرها صرر ثم يجرون ويصيحون (هكذا خرج أجدادنا من مصر)[3]، ثم تشق إحدى الفطائر الثلاثة الموجودة على طبق السدر ويتلى بالعبرية، هكذا خلق الله البحر اثني عشر مسلكاً عندما خرج أجدادنا من مصر.... وتتابع قراءة «الهكدة» التي تتوقف خلال الوجبة بقراءة «الهلل» أي التسبيح[4].

اختتام عيد الفصح:

إذا كان عيد الفصح هو ذكرى الخلاص التاريخي من النير المصري وهذا في اليوم الأول، فإن اليومين الأخيرين من الفصح يطلق عليه بالعربية «ميمونة» وبالعبرية «إمونة» (إيمان واعتقاد) أي الخلاص في المستقبل من نهاية النفي ورجوع الشعب اليهودي كما بشر بذلك الرب بالعودة إلى أرضه[5]. وقد جرى اليهود على اتخاذ هذا العيد ذريعة لنشر المطامع الصهيونية في مجتمعاتهم، وفي احتلال أرض فلسطين. وعلى كل حال فإن عيد الفصح هو الوقت المختار للقيام بالحج إلى مدينة القدس عند اليهود، فنجد الربان يعقوب بن ابراهيم ومعه أسرته جاؤوا من المغرب إلى القدس للحج، وكذلك قدم من شمال افريقيا مائة وواحد

(1) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص276 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص183 .

(2) - تفيلالت: اسم بربري لاقليم واسع يقع وراء الأطلسين المتوسط والكبير متاخماً لواحات فجيج وحدود الجزائر شرقاً، ويطلق على هذا الاقليم أيضاً اسم عاصمته القديمة سجلماسة انظر محمد حجي: الحركة الفكرية في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر المغرب 1978 ، جـ2 ص522 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص239 ، أحمد علي مرسي، فاروق محمد جودي: نفس المرجع، ص17 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص240 .

(5) - المرجع السابق، ص241 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص144 .

وسبعون حاجاً يهودياً عن طريق نابولي إلى القدس عام 982هـ/1574م[1]، وكان العثمانيون يسمحون لهم بالحج إلى القدس بشرط عدم الاقامة[2].

وهذا الاحتفال يتضمن الطقس الذي يأتي بعد صلاة الغداء المسمى بالعبرية «براكت هالنوت» أي مباركة الاشجار، والتوجه إلى الحدائق الواقعة خارج المدينة وغالباً ماتتم شعائر هذا الطقس تحت شجرة كرم لم تنضج فاكهتها بعد، ويتجلى ذلك في الرجوع إلى الطبيعة والخلق الجديد[3]، وهم يحاولون بذلك الربط بين خروج الربيع من الشتاء بخروج اليهود من مصر، وهذا يعني إن ميلاد الشعب اليهودي بالخروج من مصر، وميلاد الطبيعة والكون شيئان متداخلان في الطقوس اليهودية[4]، وفي هذا الاحتفال الذي أطلق عليه المغاربة عيد ميمونة تزين البيوت بالزينة، ويتبادل السكان الهدايا، وكثير من جهلة المسلمين يقبلون الهدايا منهم في عيدة الفطيرة[5]، وبذلك يكون عيد ميمونة هو العيد اليهودي المغربي المحلي الذي احتفظت به الطائفة اليهودية المغربية.

(ب) عيد الأسابيع أو عيد الحصاد «شافوعوت»:

ومناسبة هذا العيد هو نزول التوراة والوصايا العشر على موسى عليه السلام على جبل سيناء ولكن أثير شك حول هذه الوصايا فقد قيل إنها منسوبة إلى نبي الله موسى عليه السلام[6]. ومدة هذا العيد يومان، ويسمى عيد

(1) - Amnon Cohen. Jewish life under islam london. 1984 P.P 67 . 106.

(2) - Ibid. P. 106

(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص242 .

(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص276 .

(5) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ11 ص112 .

(6) ـ قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ص125 ، اليهود في مصر، ص47 ، ويدعم ذلك ورود الوصايا العشر مرتين في سفرين من أسفار التوراة سفر الخروج اصحاح عشرين ايه 1 ـ 17 ، وسفر التثنية اصحاح 5 ايه 6 ـ 21 . وهناك خلاف بين اليهود فيما يخصها، فمنهم من يؤمن بأن يهوة أملاها أو كتبها بنفسه على ←

الأسابيع وهي الأسابيع التي فرضت على بني إسرائيل فيها الفرائض. ويقال لهذا العيد في زماننا عيد العنصرة[1]، واصل هذه الكلمة في اشتقاقها اللغوي «الجمع» أو الحفل[2]، ولايكون هذا العيد عند الربانيين يوم الثلاثاء ولا الخميس ولا السبت[3]، وأما عند القرائين فلا يلتزمون بأيام ويحتفل - الربانيون والقراؤون - معاً بهذا العيد في البيعة، ويكون الاحتفال بهذا العيد في اليوم السادس من شهر سيوان «آخر مايو - أول يونيو».

وهذا العيد عام عند اليهود، ويعرف بعيد الحصاد كما تقول التوراة «وعيد الحصاد ابكار غلاتك التي تزرع في الحقل.... أولى ابكار أرضك تحضره إلى بيت الرب»[4] وفي هذا العيد يجتمع الربانيون والقراؤون للاحتفال بهذا العيد[5]، وتحيى السهرات حتى مطلع الفجر، فتقرأ نصوص مختارة من العهد القديم ومن «المشنا» و«الزوهار»، وترتل الأناشيد في البيعة أو في البيت. وبعد هذا الاحتفال يقام أيضاً احتفال شعبي حيث تشارك الأطفال في المآدب إذ توزع الفواكه والحلويات، وفي البيعة تقرأ أشعار سلمون بن كبرول، ويهودا اللاوي، واسحاق بن روبين البرشلوني، وتسمى شعائر عيد «شفعوت» وتقام «صلاة الهدية» بعد الظهر حيث يقرأ كل يهودي فقرة من النصوص السابق ذكرها، وإن ارتكب خطأ مهماً أثناء القراءة يصحح له الجميع وهم يصيحون

← لوحي الحجارة الذي هشمهما موسى - عليه السلام - يوم واقعة العجل الذهبي، ثم عاد فأعاد غيرها، ومنهم من يعتقد أنها وضعت بعد زمن موسى بقرون، في عهد القضاة، في وقت مابين القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد ونسبت إلى موسى حيث إن من وضعوها استمدوا أفكارها من التراث المتناقل شفاهية من عصره إلى عصر القضاة، ولهذا الوصايا أصول مصرية، انظر شفيق مقار: السحر في التوراة، ص416 - 418 .

(1) - المقريزي: الخطط، جـ2 ص474 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص275 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص189 .

(2) - الأب متى المسكين الروح القدس، مطبوعات دير الانبامقار، القاهرة 1981 ص139 .

(3) - المقريزي الخطط، ج2 ص474 ، قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص47 .

(4) - التوراة سفر الخروج اصحاح 23 أيه 16 - 19 .

(5) - بنيامين التطيلي: نفس المصدر، ص170 - 171 .

«أعد أعد إنك لاتعرف شيئاً» ويرشونه بالماء ومن يختم القصيدة يبلل بالماء كلية. وفي دروب الملاح يحمل الأطفال شبه مضخات صغيرة ومرشات كبيرة لرش الماء، أعدها الصناع ليوم العيد فيتعاركون ليعودوا إلى دورهم وقد ابتلوا من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ثم تمر السقاه لترش صحون الدور بالماء ويتسابق السكان إلى الأدوار العليا، ويفرغ الماء على الأرض بواسطة قرن ثور، وتسكب على السقاة أوعية الماء من أعلى ويرمى لهم الخبز وبعض النقود[1].

(جـ) عيد سكوت الخيام أو عيد الظلل:

اسمه بالعبرية سكوت والأصل في هذا العيد أنه عيد زراعي، وكان يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية[2]، وقد قررته الشريعة اليهودية تذكاراً لاقامة اليهود في خيام أو مظال في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر[3]، وقيل عيد الظلل ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشرين «اكتوبر» ولمدة سبعة أيام[4]، ويضاف يومان آخران هما الثاني والعشرون والثالث والعشرون من تشرين ولهما لوناً آخر خلاف السبعة الأولى. فيوم الثاني والعشرين من تشرين يسمى اليوم الثامن الختامي «شيميني عصيرت» لأنه يختم عيد الظلل بأيامه السبعة، أما اليوم الثالث والعشرون من تشرين يسمى عيد فرحة التوراة[5]، والربانيون يعتكفون في اليوم الثامن الموافق الثاني والعشرون من تشرين ثم يصومون في اليوم الثالث والعشرين، وانفرد القراؤون بصوم يوم الرابع والعشرون من تشرين ويسمى صوم جدليا[6].

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص248 ـ 251 .
(2) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص169 .
(3) ـ زكي شنودة: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي القاهرة بدون تاريخ، ص275 .
(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص277 .
(5) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص170 .
(6) ـ المقريزي: الخطط، جـ2 ص473 ، قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر، ص125 .

وبمجرد أن ينتهي اليهود المغاربة من صوم يوم الغفران[1] يبدأون في عمل خيمة السعف التي أوت أبناء إسرائيل في العراء بعد الهجرة فهي تذكرهم بأيام التيه[2]، ويشرعون في الصباح الباكر حتى الغداء في بناء الخيمة على السطوح أو في صحون الدور، ويتجه اليهود في المدن المغربية لمدينة الصويرة، إلى باب منها يسمى باب دكالة، حيث ينتظرون أمام السوق باعة أعواد القصب اللازم لبناء الخيمة. ونجد في الآداب الربية المحلية، مثل أشعار داود حسين، ويعقوب ابنسور، الأوصاف الدقيقة للمظلة التي يجب أن يكون بناؤها موافقاً لشروط دقيقة جداً، وقد وصفتها الشريعة في أدق دقائقها[3].

ولهذا العيد جذور دينية قديمة لأنه يذكرهم بالطقوس التي كانت تقام أمام الهيكل بالقدس حيث كانوا يقدمون قرابة سبعين ثوراً، لأن هذا العدد يمثل عندهم عدد سبعين أمة تسكن العالم[4].

وليلة السابع ليلة مبجلة عند اليهود المغاربة حيث يقرأون فيها التوراة ويحضرها الأطفال الذين يسهرون، ثم يبدأون في التسلل إلى الخارج كباراً وصغاراً لمراقبة السماء لعلهم يباغتون اللحظة التي تنكشف فيها تلك الليلة فتحقق أمنياتهم[5]، وتسهر النساء لاعداد الطعام الخاص بهذه المناسبة الذي يسمي الكسكسي، وهو طعام تقليدي معروف في المحيط البربري[6]، وفي الليلتين الأخيرتين تفك المظلة وتضرم فيها النار، ويدعون الأطفال للقفز فوقها مرددين كثيراً من الصلوات والتعاويذ[7]، عكس مايجري في الشرق حيث يضربون الأغصان على الكراسي في البيعة حتى تتساقط أوراقها كلها،

---

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص252 .
(2) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص277 .
(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص252 .
(4) - نفس المرجع، ص53 .
(5) - نفس المرجع، ص252 ، 253 .
(6) - نفس المرجع، ص254 .
(7) - نفس المرجع، ص254 ، 255 .

ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها في السنة[1]. ولأجل ذلك يكذبون ويغشون في حياتهم اليومية موقنين أن هذا العيد لإسقاط أفعالهم وذنوبهم.

وفي اليوم الأخير من أيام هذا العيد تؤدى صلاة الاستسقاء ففي بداية فصل الشتاء يبتهلون إلى الله ليفتح خزائن السماء لكي تخصب الأرض[2]، ويمثل هذا العيد نهاية الأعياد التي تكثر في شهر تشرين «أكتوبر» وهو الشهر الأول من السنة اليهودية.

2 ـ السبت:

تعرضت الشريعة المكتوبة «العهد القديم» والشريعة الشفوية «المشناة والتلمود» والتشريع والفقه والكتابات الوعظية والأساطير اليهودية «القبالة» طويلاً لفضيلة وقداسة وبهجة يوم السبت، وحددت طقوسه ومحرماته، وهي أمور جعلت منه يوماً متميزاً عن باقي الأسبوع عند اليهود[3]، والسبت كلمة عربية يقابلها في العبرية «شبت» أي السابع[4] والكلمة العبرية مشتقة من كلمة «شبتو» التي كان يستخدمها البابليون للإشارة لأيام الصوم والدعاء، وإلى مهرجان القمر الكامل، ولذلك يتضح أثر الحضارة البابلية على الطقوس العبرانية، والسبت هو العيد الأسبوعي أو يوم الراحة عند اليهود، ويقول الحاخامات إن الله قد خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، ولذلك بارك هذا اليوم وقدسه وحرم فيه القيام بأي نشاط[5]،

---

(1) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص170 .

(2) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص255 .

(3) ـ نفس المرجع، ص229 .

(4) ـ القس كيرلس كيرلس: أصوامنا بين الماضي والحاضر أصولها الروحية وجذورها التاريخية، القاهرة 1983 ، ص107 .

(5) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص211 حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص166 .

وكما يقول الكتاب المقدس «غداً عطلة سبت مقدس للرب»[1]. ويرى بعض الحاخامات إن تقديس السبت هو إحياء لذكرى خروج اليهود من مصر وتخليصهم من العبودية[2]، ولذلك لايسافر اليهودي أيام السبت، فإن كان سفر اليهودي في قافلة، تزيد مدتها عن ستة أيام تخلف عنها وإن كان اليهودي غنياً أو صاحب نفوذ أو سطوة فإنّه يستطيع أن يقنع القافلة كلها بالتوقف يوم الراحة الأسبوعية لليهود وهذا الوضع استمر سائداً دون تغيير حتى القرن السابع عشر الميلادي[3]، وهذا يؤكد التزام اليهود بالراحة في يوم السبت[4].

الاحتفال الصوفي بيوم السبت:

كان ليهود المغرب الأقصى خصوصية في الاحتفال بيوم السبت، فيشير كتاب الزوهار[5]، إلى أن هناك عشرة أوامر ينبغي على اليهود المغربي القيام بها في يوم السبت، وتبدأ هذه الأوامر بغسل اليدين وإعداد خبزتين لكل وجبة من

---

(1) ـ التوراة سفر الخروج الاصحاح 16 اية 23 .

(2) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص212 «إن الشعب» المبارك لم يخرج من مصر بل طرد منها لانتشار البرص والأمراض الجلدية بين أفراده «وهو مايعززه انشغال سفر اللاويين انشغالاً خاصاً مطولاً بتلك الأمراض، ولأن المصريين كانوا قد اعتبروا «الشعب اليهودي» دائماً الشر الذي حل بالأرض ومن واقع ما تحكيه التوراة ذاتها، ظل الشعب يتمرد في القفر ويحاول العودة إلى مصر وينوح على ماحرم منه من خيرات وعيش رغد باخراجه. انظر شفيق مقار: السحر في التوراة العهد القديم ص418 .

(3) ـ صابر دياب: دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة المصرية للدراسات التاريخية عدد 24 ، القاهرة 1977 ، ص68 .

(4) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ8 ص262 .

(5) ـ الزوهار: كلمة عبرية تعني «الاشراق أو الضياء» وكتاب الزوهار هو أهم كتب التراث القبالي، وهو عبارة عن تعليق صوفي مكتوب باللغة الآرامية والعبرية على «المعنى الباطني» للعهد القديم، وينسب إلى الحاخام سيمون بن يوحان، ولكن يقال إن موسى بن ليون مكتشف كتاب الزوهار، في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو مؤلفه الحقيقي. انظر عبد الوهاب محمد المسيري الموسوعة، ص206 ، أسعد رزوق: التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت 1970 ، ص183 .

الوجبات الثلاث التي يتناولونها ويلي ذلك غسل المصابيح التي تنير مائدة الطعام، ثم مباركة كأس الخمر التي تفتح بها الوجبة عند بدء الطعام تبدأ مدارسة التوراة في أثناء الجلوس حول المائدة والدعاء والتسبيح وأخيراً شرب كأس الخمر الأخير[1]، وتمثل الخبرتان المتناولتان في الوجبة الشريعتين اللتين أنزلتا في يوم السبت، فالخبزة الأولى تمثل الشريعة المكتوبة، والخبزة الثانية تمثل الشريعة الشفوية، ويعتقد اليهود أن نار جهنم تخبو في يوم السبت فلا تحرق شيئاً[2]، وعادة مايبدأ الاحتفال بيوم السبت بعد الظهر من كل جمعة.

ففي المغرب الأقصى وجد عند اليهود شعر يروونه في يوم السبت، وهو عبارة عن تراتيل خاصة تجمع بين الرمز الصوفي، والأمل في الرجوع إلى الأرض المقدسة، ومن الشعراء الذين نظموا مثل هذا الشعر اسحاق لوريا وسلمون هيلفي الذي قال في إحدى قصائده:

لنذهب حبيبي لاستقبال الخطيبة

ويبدأ المقطع الثاني هكذا:

لاستقبال السبت علينا أن نذهب
لأنه مصدر كل بركة[3].

وتسهر الطوائف المغربية من منتصف ليل الجمعة حتى صباح يوم السبت وهم ينشدون المدائح في تمجيد الإله بترديد مزامير داوود[4].

---

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص229 ، 230 .
(2) - المرجع السابق، ص230 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص230 ، 231 .
(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص231 .
(4) - لم ينفرد الاسرائيليون بالمزامير فنجدها عند غيرهم من الشعوب الأخرى أمثال البابليين وقدماء المصريين، والشبه بين الفنين كبير جداً بل معظم المزامير العبرية ترجع في الواقع إلى الأدب البابلي حيث كان أثر البابليين شائعاً جداً في فلسطين قبل السبي البابلي منذ عهد الملك «أحاذ منثى» حيث انتقلت الديانة البابلية وقت ذاك بمزاميرها وترانيمها الخاصة وكانت تغنى في الأعياد. وقد اهتدى الباحثون الذين يعنون بالمصريات إلى الصلة القوية بين الفنين. انظر جيمس هنري برستد: فجر الضمير، ترجمة ←

ونشيد الأناشيد[1]، للملك سليمان، ثم الألحان والتراتيل التي نظمها كتاب من الأجيال السابقة والمعاصرة في فترات من تاريخ المغرب، وينتهي احتفال يوم السبت عند حلول الليل بعد صلاة الغروب[2].

3 ـ عيد رأس السنة اليهودية (روش هاشاناه):

اختلف المؤرخون والكتاب حول مناسبة هذا العيد، فذكر البعض أنه بمناسبة قتل «جداليابن احيقام» الذي ولاه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها[3]، وقال البعض إنَّه ليست له أية مناسبة تاريخية وذكر في «المشناه» إن هذا اليوم هو اليوم الذي بدأ الله فيه خلق العالم[4]، ولهذا العيد عند يهود المغرب احتفال خاص فهو يأتي في نهاية فترة من الزهد تستغرق كل شهر «أيلول» وهو أخر شهر من السنة، وتكون فيه أعمال الإنسان بين يدي عدالة السماء. وتعتبر هذه الفترة التي تمتد إلى «يوم كيبور» عيد الغفران مناسبة للتشدد فيما تأمر به الشريعة، وهي عبارة عن جلسات ليلية تعقد لصلوات التوبة يومياً في الساعات التي تسبق الفجر[5]. وبعد صلوات التوبة يستيقظ سكان حي الملاح ويملؤونه حيوية، وعندما تلمس الشمس قمم الأشجار يبدأ طقس «النعيلة» أي اختتام الاحتفال وتقرأ البركة

← سليم حسن، عمر اسكندر، علي أدهم، مكتبة مصر القاهرة 1980 ، ص302 ـ 304 ، فؤاد حسنين علي: التوراة هيروغليفية، دار الكاتب العربي القاهرة، ص131 ، شفيق مقار: السحر في التوراة، ص450 ـ 453 .

(1) ـ هذه الأناشيد ليست من وضع فرد بعينه بل مؤلفها هو الشعب وجامعها مجهول، أما زمان جمعها فيرجح إنه تم في القرن الثالث ق.م، بعد عصر سليمان، وذلك بدليل اللغة التي نجدها في النشيد، ولو أن بعض أغانيه قديمة جداً. انظر فؤاد حسنين علي: نفس المرجع، ص164 ، السيد محمود القمني: الأسطورة والتراث، ص 195 .

(2) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص234 .

(3) ـ حسن ظاظا: الفكر الدين اليهودي، ص168 .

(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص276 .

(5) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص275 .

الكهنوتية الرسمية وينفخ في البوق ويعلن نهاية الندم والافطار بعد الصوم[1].

4 ـ عيد يوم الغفران (يوم كيبور):

هو أهم الأعياد اليهودية، ويعتبر أقدس يوم في السنة ويطلق عليه سبت الأسبات، ويبدأ الاحتفال بهذا العيد قبيل غروب شمس اليوم التاسع من تشرين «أكتوبر» ويستمر إلى مابعد غروب اليوم التالي أي حوالي 25 ساعة يصوم اليهود خلالها ليلاً ونهاراً ولايقومون بأي عمل آخر سوى التعبد. والصلوات التي تقام في هذا العيد هي أطول صلوات، ويختتم الاحتفال في اليوم التالي[2].

وقد جعلوا من يوم الغفران أو التكفير هذا يوماً يعلنون فيه نقدهم للعهود والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود كما سبق القول[3]، ويختتم الاحتفال في اليوم التالي بصلاة النعيلة التي تعلن أن السماوات قد أغلقت أبوابها[4]، وبمجرد ماينتهي اليهود من الاحتفال بيوم الغفران يبدأون في الاحتفال بعيد الظلل.

5 ـ عيد التدشين (الحانوكة):

يرجع هذا العيد إلى عام 165 ق.م حين كانت بلاد الشام وساحل البحر المتوسط تحت السيطرة البطلمية وحاول «انطيو خوس ابيخانس» ارغام اليهود على عبادة الاله زيوس، فألغى إقامة الطقوس الدينية اليهودية في بيت المقدس، وحرم الختان، والامتناع عن أكل لحم الخنزير، لكن سياسة انطيوخوس التي كانت تهدف نشر الحضارة الاغريقية وجعلها رابطة الوحدة الاغريقية فصادفت

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص283 ، 284 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص278 .

(2) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص278 ، اقترن هذا العيد بذكرى تدمير أورشليم عام 586 ق.م وكذلك تدمير خط بارليف والانتصار الباهر في يوم 6 أكتوبر عام 1973 م العاشر من رمضان لعام 1393هـ .

(3) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص169 .

(4) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص252 .

مقاومة عنيفة من اليهود، عندما قاد كاهنهم متاتياً حركة مقاومة ضد انطيوخوس، يعاونه أبناؤه الثمانية وأمكن للكاهن «متاتياً» بمساعدة أصغر أبنائه «يهوذا المكابي» استعادت الهيكل من البطالمة وفتحه من جديد للشعائر الدينية، ولكنهم لم يجدوا الزيت الكافي لاضاءة الهيكل فوزعوا الوقود على المصابيح التي يوقودونها على أبواب دورهم في كل ليلة حتى تمت ثماني ليالي وهي مدة العيد[1].

ويعني الاسم «حنكة» أو «الحانوكة» أو «الحانوكاة» التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من تماثيل آلهة البطالمة[2]، ويطلق عليها أيضاً عيد الأنوار بسبب تحقيق معجزة أن قارورة من زيت طاهر كانت كافية لانارة الشمعدان في أيام العيد الثمانية. ويحتفل في هذا العيد بإعداد الطعام والأفراح واللهو ويعد «حانوكة» مناسبة للألعاب والتسلية للأطفال والرواج للصناع الفاسيين الذين كانوا يصنعون لهذا العيد الشمعدان الشرعي ذا العروش التسعة ونماذج أخرى صغيرة للأطفال[3]. والقراؤون لايعترفون بهذا العيد[4]، ولكن جذور هذا العيد نجدها في التوراة حيث تقول: «فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل، فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصلي للرب ليرفع عنا الحيات... فقال الرب لموسى: إصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا فصنع موسى حية من النحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا»[5].

---

(1) ـ ابراهيم نصحي: مصر في عصر البطالمة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1980 ، جـ1 ص 221 ـ 223 ، زكي شنودة: المرجع ص283 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص171 ، فؤاد علي حسنين: نفس المرجع، ص194 .

(2) ـ المقريزي: الخطط، جـ2 ص473 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص171 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص275 ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر، ص127 .

(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص257 ، 258 .

(4) ـ المقريزي: الخطط، جـ2 ص473 .

(5) ـ التوراة سفر العدد، الاصحاح 21 آية 6 ـ 9 .

فعبد بنو إسرائيل تلك الراية طوال قرون بعد صنع موسى ـ عليه السلام ـ لها ورفعها فوق رؤوسهم حتى جاء حزقيا بن أحاز ملك يهوذا (وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها»[1].

ومعجزة هذا العيد هي استمرار الزيت الذي يضيء الشمعدان ذا التسعة فروع، وهذا يؤكد انفصال اليهود ورفضهم للاندماج والتعامل مع الحضارات الأخرى، ولذلك تبالغ الصهيونية في الاحتفال به، ويستمر هذا العيد ثمانية أيام بدءاً من الخامس والعشرين من كسلو «ديسمبر»[2].

6 ـ عيد النصيب (البوريم):

وهذا العيد بالعبرية عيد البوريم من كلمة «بور» أو «فور» الفارسية ومعناها «قرعة» ويحتفل به في الرابع عشر من آذار «مارس» وذلك بأن يسرفوا في الشراب[3]، ولذا فقد سماه العرب عيد المسخرة أو المساخر[4].

وتدور الأصول التاريخية لهذا العيد حول قصة المرأة اليهودية «استير»

---

(1) ـ التوراة سفر الملوك الثاني اصحاح 18 آية 4 ، نشأت في اليهودية طائفة عرفت باسم «عبدة الحية» ظلت متمسكة في العصور الأولى من انتشار المسيحية بعبادة الحية رافضة عبادة اليهود. وفي المنارة المقدسة «المينورا» أي الشمعدان الشعائري ذا الأفرع السبع ـ وقيلت تسعة ـ يرمز الفرع الرابع الذي يتوسط هذا الشمعدان للحية الشانوكا أو الحانوكا في عيد الأضواء بثمانية أذرع حتى لايجد عبدة الحية فرعاً أوسط يضعون عليه حيتهم المقدسة. انظر شفيق مقار: السحر في التوراة، ص179 ، 180 .

(2) ـ عبد الوهاب محمد المسري: الموسوعة، ص275 .

(3) ـ عبد الوهاب محمد المسري: الموسوعة، ص277 ، الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص78 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص258 ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر، ص126 ، اليهود في مصر، ص48 ، ذكر أن اليهود يصومون اليوم الثالث عشر من شهر آذار تذكاراً لصوم أستير مع كل اليهود لكي يبطل الله مشورة هامان الذي أراد أن يقبض عليهم، انظر كيرلس: نفس المرجع ص44 ، 45 .

(4) ـ المقريزي: الخطط، جـ2 ص473 . حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص172 .

الواردة في السفر المعروف باسمها في التوراة، ويتكون من عشرة اصحاحات[1]، تحكي قصة تدمير مملكة أورشليم في ستة عشر من آزار عام 597 ق.م وترحيل ثلاثة آلاف يهودي إلى وادي الرافدين، ومرة أخرى عام 595 ق.م لمعاقبة مملكة يهوذا، واستمر الحصار ثمانية عشر شهراً استسلمت مملكة أورشليم وألقى القبض على صدقيا ـ ملك أورشليم ـ وأجلى الآلاف من اليهود مع ملكهم إلى بابل[2]، وهدمت أسوارها وأحرق بيت الإله وسقطت مملكة أورشليم في عام 587 ق.م[3]. وعندما سقطت بابل في يد الفرس في عام 538 ق.م سمح الملك كورش لليهود بالعودة من المنفى وبناء المعبد من جديد[4]، وعاد من المنفى اثنان وأربعون ألفاً من بني إسرائيل ومعهم سبعة آلاف من الغلمان والجواري عملوا على تجديد بيت المقدس[5].

وبالبحث في تاريخ إيران القديم لم أجد ملك باسم اكسر كيس الذي وقع في غرام استير أثناء السبي البابلي لأن السبي لم يستمر طويلاً فقد ظل حوالي واحد وخمسين سنة من عام 587 ق.م إلى عام 538 ق.م، إلى جانب أنه لاتوجد امرأة باسم استير في البلاط الفارسي وكذلك السفر لايعتبر من الأسفار القانونية[6]، ولكن ربما أراد المؤلف بهذه القصة أن يرفع الروح المعنوية لليهود.

---

(1) ـ سفر استير يتكون من عشرة اصحاحات وليس 12 اصحاحاً. انظر قاسم عبدة قاسم أهل الذمة في مصر، ص126 ، اليهود في مصر، ص48 .

(2) ـ حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص32 .

(3) ـ جورج رو: العراق القديم، ترجمة وتعليق، حسين علوان حسين، الشؤون الثقافية العامة بغداد 1986 ، ص508 ، 509 ، سبتينو موسكاني: الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الرقي بيروت 1986 ، ص146 .

(4) ـ سبتينو مسكاني: نفس المرجع، ص147 .

(5) ـ حسن بيرنا: تاريخ ايران القديم من البداية حتى العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، راجعة يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1979 ، ص84 .

(6) ـ قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر، ص126 ، اليهود في مصر، ص48 .

على أي حال فإن هذا الاحتفال الذي يقام في كل سنة في ذكرى خلاصهم كما ذكر في سفر استير نجد أيضاً احتفالاً مشابهاً له في مصر، حيث كان اليهود مضطهدين جزاءً لمساعدتهم الملك فيلومتور ابن بطليموس السادس (180 ق.م - 170 ق.م) وزوجته كليوباترا الوصية على العرش والذي كان يعتمد على حزب الأشراف في الاسكندرية وعلى طائفة اليهود التي كانت كثيرة العدد في تلك الفترة ضد الملك يورجتيس الثاني (بطليموس السابع 170 - 116 ق.م). والذي عدل عن رغبته[1] في الانتقام من اليهود خوفاً من عقاب السماء واستجابة إلى توسلات حظيته - ويطلق عليها اثافي والبعض الآخر يطلق عليها ايريني - وهذا هو منشأ الحفل المشهور الذي كان يهود الاسكندرية يقيمونه كل عام احتفالاً بذكرى نجاتهم من الهلاك[2].

وليست هذه الملاحظات هي الوحيدة التي تسوقها الأدلة التاريخية على عدم تاريخية قصة استير فالتاريخ الايراني لايعرف ملكة تدعى فشتي (بوشتي)[3]، ويبدو أن هذه القصة - الملكة استير - فيما يبدو لم تكن إلا شخصية قصصية من نسج الخيال اليهودي الخصب، ولم يقم دليل واحد على وجودها تاريخياً[4]. وفي النهاية فهي خرافة جعل الكهنة منها قصة مقدسة ودعو إلى الإيمان بها مع أن تصديقها يعد مستحيلاً نظراً لأن هذه القصة المقدسة تبدأ عادة بما يتنافى مع الآداب والأخلاق[5]، حيث تقول التوراة (لقد

---

(1) - لم يعدل عن رغبته بل قام بأعمال وحشية في عدد كبير من أعدائه لذلك ظهر النقص في عدد سكان الاسكندرية وهذه الجرائم ارتكبت في فترات متلاحقة طوال مدة حكم (ايرجيتيس الثاني) الطويلة من مدة (170 - 116ق.م) انظر سليم حسن: مصر القديمة، القاهرة بدون تاريخ، جـ16 ص396 .

(2) - ابراهيم نصحي: نفس المرجع، جـ1 ص232 ، مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، ص83 ، جلانفيل داوني: انطاكية القديمة، ترجمة ابراهيم نصحي، نهضة مصر القاهرة 1967 ، ص84 ، 85 ، سليم حسن: نفس المرجع، جـ16 ص400 .

(3) - فؤاد علي حسنين: نفس المرجع، ص174 .

(4) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص177 .

(5) - ليوتاكسيل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل، دار الجندي - دمشق 1994 ، ص497 ، حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص108 .

طردت وشتى لأنها رفضت أن تقف عارية أمام الشعب ولكن يبدو أن استير وافقت على ذلك»[1]، إلى جانب أن الترتيب التوراتي هو سرد لقصص ليست لها علاقة بالتاريخ[2].

ولكن كيف يحتفل اليهود بهذا العيد المزيف في المغرب؟ وبأي شيء ارتبط بيهود المغرب رغم أنه ليس له أي أساس من الصحة التاريخية.

ففي المغرب الأقصى تقام قبل غروب الشمس وليمة كبرى وفي الصباح وأثناء الصلاة تنتقل بينهم كأس بوريم «تست بوريم» لكي يلقي فيه كل واحد من الحضور ماااستطاع من نقود ويقدم بعض ما جمع لـ (نستريم) أي لمستحقيه من اليهود الفقراء المجهولين والبعض الآخر من هذه النقود كان يفتدى به الأسرى[3].

والأعياد فرصة كبيرة للابداع الأدبي ففي بداية القرن الرابع عشر الميلادي بين عامي (719 - 722هـ/ 1319 - 1332م) كتبت ثلاث هزليات. واحدة لقلونيموس، وثانية لمكلاك سلاريم، والثالثة هي سفر حبقوق هتفي المنسوبة إلى ليفي بن جرسون، حيث استعملوا الآداب التلمودية في أغراض الدعابة واللهو[4].

وفي المغرب أيضاً استخدم اليهود العيد للافراط في الملذات والمأكل، وهذا العيد أصبح رمزاً للنجاه فإن طوائف المغرب كغيرها من الطوائف الأخرى اتخذت لها أعياد «بوريم» أخرى خاصة أو محلية سميت بأسماء مختلفة، مثل بوريم سبيتيانو المسمى أيضاً بوريم المسيحيين. وهذا عيد بدأ الاحتفال به بعد

---

(1) - التوراة سفر استير الاصحاح 1 - ايه 1 .

(2) - ليوتاكسيل: نفس المرجع، ص499 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص144 ، يقول إن استير زوجة اسوريوس وأبيها مردخاي. انظر ماهر سمك: نفس المرجع، ص144 ، ولكن الصحيح إن استير بنت عم مردخاي ولم يكن لها أب ولا أم. انظر التوراة سفر استير الاصحاح 2 ايه 7 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص259 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص261 ، 262 .

معركة الملوك الثلاثة[1]، وانتصار السلطان المنصور الذهبي على الدون سيبستيان ملك البرتغال في الرابع من اغسطس عام 1578م في معركة القصر الكبير والمعروفة بوادي المخازن ويحتفل بهذا الحدث كل سنة خصوصاً في طنجة وتطوان وفاس[2].

7 ـ عيد الأشجار الجديدة «طاوبشباط»:

ارتبط هذا العيد بسقوط الأمطار لاخراج أعشار الأرض للسنة اللاحقة، وموعده الخامس عشر من شباط «فبراير» وجاء ذكره في الفصول الأولى من المشناة والتلمود وأثار هذا العيد انتباه متصوفي اليهود في مدرسة صفد في القرن السادس عشر الميلادي، فأعطاه أحد هؤلاء المتصوفة وهو اسحاق لوريا دلالة باطنية. ولم يحتفل به كل اليهود المغاربة ولكن وجد عند بعض العائلات اليهودية المغربية حيث تعد مائدة عليها الأنواع السبعة التي تذكرها التوراة[3]، «وهي حنطة وشعير وكروم وتين ورمان وزيت زيتون وعسل»[4] إلى جانب الأطفال الذين كانوا يفرحون في هذا العيد.

تلك هي الأعياد التي جاء ذكرها في التوراة والتلمود والمشناة والزوهار وكيف كان يتم الاحتفال بها عند يهود بلاد المغرب الأقصى.

(9) ـ بعض العادات الاجتماعية لدى يهود المغرب الأقصى:

انتشر بين يهود المغرب الأقصى عادات اجتماعية الحسن منها قام على مايتميزون به من روح الترابط باعتبارهم أقلية داخل مجتمع مسلم ولذلك كانوا

---

(1) ـ الملوك الثلاثة هم 1 ـ أبو العباس أحمد الأول «المنصور الذهبي» (986 ـ 1012 هـ/ 1578 ـ 1603م).

(2) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 264 .

(3) ـ المرجع السابق، ص285 .

(4) ـ التوراة سفر التثنية الاصحاح 8 آيه 8 .

يتوادون ويتزاورون فيما بينهم ويحرصون على المشاركة في الاحتفالات الدينية والمناسبات الخاصة بهم وما تتميز به من عادات اجتماعية ومع ذلك فقد انتشرت بينهم عادات سيئة ومن أشهر هذه العادات.

(أ) شرب وتجارة الدخان «التبغ والحشيش»:

عرف الحشيش منذ عصور سحيقة فقد عرفه المصريون واليونان والصينيون. والمعروف أنه نشأ في بداية الأمر في أواسط آسيا ثم أخذ ينتشر في معظم بلاد الدنيا خاصة آسيا وافريقيا[1]، ويحتمل أن كلمة حشيش اشتقاق من كلمة «شيش» العبرية ومعناها فرح، وذلك نسبة إلى تأثيره المفرح[2]، والحشيش هو الاسم العربي لنبات القنب الهندي وكان في قيسارية فاس عدة دكاكين لبيع الحبال والخيوط والأمراس وإرسان الخيل المصنوعة من أليافه[3].

ومع دخول القرن الرابع عشر الميلادي انتشر استعمال الحشيش في الشمال الافريقي[4] وزاد مع مجيء الاستعمار الأوروبي للمغرب ومع مجيء اليهود المطرودين من بلاد الأندلس، فبدأ المغاربة في تقليدهم في الانغماس في الملذات من مأكل ومشرب ومسكن وانتشرت بينهم الرذائل مثل استعمال التبغ بالتدخين أو النشوق[5]، إلى جانب ارتباط التبغ والحشيش بسفلة القوم وأماكن البغاة، حيث يوجد اليهود[6]. وكان يوجد للتبغ سوق بمراكش لبيعه[7]، وكذلك في فاس سوق لبيع الدخان[8]. وبذلك يتأكد انتشار هذه الآفة في

(1) - سعد المغربي: ظاهرة تعاطي الحشيش دراسة نفسية اجتماعية، دار المعارف مصر 1963، ص52 .
(2) - المرجع السابق، ص52 .
(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص240 .
(4) - مصطفى سويف: المخدرات والمجتمع نظرة تكاملية، عالم المعرفة الكويت عدده 20 ، 1996 ، ص41 .
(5) - صالح محمد: دولة بني وطاس، ص119 ، 120 .
(6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص250 ، 251 .
(7) - الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص235 ، الحميري: نفس المصدر، ص541 .
(8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص244 .

جسم المجتمع المغربي بما فيه اليهود بعد القرن السابع الهجري[1]. ونظراً لانتشاره واستعماله بكثرة قام بعض فقهاء المغرب يدعون للقضاء على هذه العادة والتخلص منها[2].

(ب) الخمر:

انتشر شرب الخمر عند كثير من المغاربة وكان لليهود دور كبير في ذلك سواء في صناعة الخمور أو في تجارتها وبيعها لهم، وكذلك في شربها. ولذلك نجد السلطان أبا الحسن المريني (731هـ/ 1331م) اشترط على اليهود ألا يجاهروا بالشرب، ومن ضبط منهم وهو ثمل أو ثبت عليه أنه باع الخمر لأحد الرعايا المسلمين عوقب بشدة[3]. ولكون الشرع الإسلامي يمنع الخمر ويلعن صانعه وحامله وشاربه لجأ المسلمون إلى اليهود لشرائه منهم. ولكونهم ـ أي اليهود ـ يشربونه في المناسبات الخاصة بهم إلى جانب حياتهم اليومية وكذلك لكونه حرفة من حرفهم، وجد اليهود التربة الخصبة لتوزيع تجارتهم سواء كانت خموراً أو دخان «تبغ» وحشيش بين المغاربة.

وللحد من هذه الحرفة، حرم بيع أصول الكروم لليهود نظراً لقيامهم بعصره وتخميره[4]. ونظراً لارتباط صناعة الخمر باليهود وأهل الذمة بصفة عامة، فعندما تثور العامة بسبب أي مشاكل خاصة بالبلاد كانوا يهجمون على الملاح الخاص بسكنى هؤلاء اليهود للانتقام منهم لكثرة معاقرتهم الخمر بحي الملاح[5]، ولم تفلح جهود السلطة في اقتلاع جذوره حيث انتشرت صناعة

(1) ـ عكس ما يذكر أن مجيء الدخان مع وصول السودانيين القادمين من تمبكت عام 1005 ـ 1006 هـ/ 1597 ـ 1598 م ثم إلى فاس 1007 هـ/ 1599م انظر محمد حجي: نفس المرجع، جـ1 ص146 .

(2) ـ صالح محمد: دولة بني وطاس، هامش ص120 .

(3) ـ عادل عبد العزيز: الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين (668 ـ 869هـ/ 1269 ـ 1465م) رسالة ماجستير في الدراسات الافريقية من قسم التاريخ غير منشورة القاهرة 1982 ص217 .

(4) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص69 .

(5) ـ ابن خلدون: نفس المصدر م7 جـ13 ص654 .

الخمور عند أهل الريف[1]، وكذلك في بلاد نول لمطة وتاذ كاغيست وهي بلاد لمتونة الصحراء[2].

ومع ضعف السلطة المركزية في فاس زاد انتشار صناعة الخمور خاصة في الجنوب المغربي الوعر المسالك البعيد عن يد الحاكم والقاضي والمحتسب، ففي باديس غمارة وجد أكثر من مائة منزل لليهود تباع فيها أجود الخمور[3].

ونظراً لانتشار هذه الظاهرة بأرجاء المغرب الأقصى فقد ظهر رد الفعل عند بعض المتصوفة مثل الشيخ عبد الله الهابطي الذين ذهب إلى أعيان كل قبيلة وعقد معهم جلسات طويلة وجمع الناس حوله ولم يغادر المكان إلا وأخذ العهد من الأعيان والوجهاء على الالتزام بعدم التعامل بالربا والتحذير من عصر الخمر، ولم يخرج من المدثر إلا وقد أريقت الخمر وتاب متعاطوها وخُزَّنُها. وفي هذا الشأن يروي ولده محمد الصغير الهابطي (ت 1100 هـ/ 1592م) بأن والده أراق في سنة واحدة مايزيد عن الألفين من الدنان[4]، وعن دور اليهود في صناعة وشرب الخمر يقول مؤرخ: إن اليهود نظروا إلى الخمور على أنها عمل من أعمال الشيطان[5]. وتقربهم منهم، لأن التوراة تبعدهم عنها. ولكن كيف وهم يكتسبون من وراء هذه الحرفة ويستخدمونها في تجارتهم التي يعيونها للغير.

(جـ) الزنا:

يضاف إلى عادة شرب الخمر عادة اجتماعية لاتقل خطورة وهي عشق الغلمان التي انتشرت في أوساط خاصة دون إنكار وجودها في أوساط عامة[6].

---

(1) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص250

(2) ـ الادريسي: نفس المصدر جـ1 ص223 ، 224 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص336 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص231 . ولمزيد من التفاصيل انظر ص251 ـ 253 .

(4) ـ عبد القادر العافية: الداعية عبد الله الهابطي، مجلة دعوة الحق عدد 4 المغرب 1979 ، ص40 .

(5) - Franz Rosenthel. th gewish faundation of islam new york 1967 . P. 152.

(6) ـ ابراهيم القادري: المغرب والأندلس، ص99 .

ففي الأوساط الخاصة كانوا يبحثون عن وسائل جديدة للمتعة، أما بالنسبة للعامة فذهبوا إلى الملاهي وأماكن الدعارة الموجودة بفاس وغيرها إلى جانب وجود بيوت عامة تمارس فيها البغايا مهنتهن بثمن بخس وتستمد هؤلاء النسوة حمايتهن من مفوض الشرطة أو من قبل حاكم المدينة[1].

ويقوم خارج فاس ناحية الغرب ربض يضم حوالي خمسمائة أسرة كل بيوته متواضعة يسكنها فقراء الناس، ويقيم فيه بنات الهوى الكثيرات العدد، وكانت هذه البيوت أيضاً مسرحاً للمقامرين بالنرد وبائعي الخمر حيث يمكن إقامة حانة أو بيت دعارة[2]، إذا كان ثمّة عدد كبير من اليهوديات في هذه البيوت خاصة منهن الآتيات من الأندلس، إثر طرد اليهود من الأندلس وقدوم الكثير منهم إلى بلاد البربر، أبيح للمسلمين بالمغرب ارتياد هذه البيوت بدون عقاب. وكان لهجرة اليهود إلى المغرب أكبر الأثر في ذلك حيث مرت أكبر أزمة لليهود تساوي أزمة السبي البابلي أو الطرد من مصر[3].

فلم تكن المتعة هي التي تقود في الأصل إلى هذه الانحرافات إنما كان للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها اليهود أثر كبير، إذ كانت الخمارات التي كان يجتمع فيها أحياناً داخل الملاح يهود وغير يهود يُمارَس فيها الفسق والانحلال مما جعل النكيد (رئيس الطائفة اليهودية بالمغرب الأقصى) بالاتفاق مع السلطات الحاكمة يعمل على الحد من تجارة المشروبات الكحولية، ومنع اليهود من بيعها لجيرانهم المسلمين أو تقديمها لهم عند دعوتهم لتناول الطعام[4].

وإذا كانت التوراة حرمت البغاة فإنها لم تحرمه إلا مع بنات بني إسرائيل، والوصايا العشر لاتمانع في ممارسة البغاة في أرض أخرى ومع بنات الغرباء[5]،

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص250 .
(2) ـ المصدر السابق، ص278 .
(3) ـ كيرلس كيرلس: نفس المرجع، ص39 ، 40 .
(4) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 138 .
(5) ـ سلام خياط: البغاة عبر العصور أقدم مهنة في التاريخ، رياض الريس للكتب والنشر لندن قبرص 1992 ص67 .

والتلمود يصرح للإنسان اليهودي أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها، ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سراً لعدم الضرر بالديانة[1]، والتلمود لايعتبر القريب إلا اليهودي فقط، فاتيان الأجانب وممارسة الدعارة معهم أمر جائز[2].

وفي التلمود لايلام اليهودي إذا تعدى على الأجنبي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة والعقد لايوجد في البهائم[3]. ولذلك كان اليهود يمارسون الدعارة أو يمارسون التجارة مع الرقيق بقصد الثراء السريع وإذا ما افتقر اليهودي وعجز عن وفاء دينه اضطر إلى بيع نفسه للدائن[4]، واليهودي يرى أن استرقاق الأجنبي حق لليهود لأن الله جعل الأجانب عبيد لليهود[5]، ولذلك انتشر الزنا في بلاد عدة على أيدي اليهود، ونخص المغرب الأقصى بالذات نظراً لكثرة ماورد على هذه البلد من يهود من اسبانيا وماكان بها من يهود أصلاً وبسبب ضعف السلطة المركزية، ولذلك ظهر من ينادون بمحاربة هذه الرذائل، مثل الامام الهابطي[6] الذي حارب ظاهرة الاختلاط المشين بين الرجال والنساء كالاختلاط في الأعراس والولائم والحفلات والمواسم وعلى شاطئ النهر أو ساحل البحر.... وصب جام غضبه على مثير الشهوات ومشجعي الفسق والفجور والسكر[7].

---

(1) ـ صالح محمود صالح: الإنسانية والصهيونية والتلمود منشورات فلسطين المحتلة بيروت 1980 ، ص41 .

(2) ـ المرجع السابق، ص42 .

(3) ـ المرجع السابق، ص42 ، 43 .

(4) ـ عبد السلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، عدد 23 الكويت 1979 ص29 .

(5) ـ المرجع السابق، ص30 .

(6) ـ ولد الامام عبد الله الهابطي بضواحي طنجة حوالي سنة (789هـ/ 1485م) ويعد من الشخصيات التي كان لها تأثير كبير على المجتمع المغربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وذلك نظراً للدور الذي قام به في ميدان الاصلاح الاجتماعي انظر عبد القادر العافية نفس المرجع ص37 .

(7) ـ عبد القادر العافية: نفس المرجع، ص40 .

الفصل الثالث

يهود المغرب الأقصى والحياة الاقتصادية

1 ـ النشاط الزراعي ليهود المغرب الأقصى

2 ـ النشاط الحرفي والصناعي ليهود المغرب الأقصى

آ ـ دباغة الجلود وصباغتها وتصنيعها.

ب ـ صناعة المعادن والتعدين.

ج ـ معدن الحديد والنحاس.

د ـ صناعة النسيج.

3 ـ التجارة الداخلية ودور يهود المغرب الأقصى فيها.

4 ـ التجارة الخارجية ودور يهود المغرب الأقصى فيها.

5 ـ طرق ووسائل تعامل اليهود في التجارة بالمدن والموانىء وأثرها في انهيار اقتصاد المغرب الأقصى:

1 ـ بيع النجش

2 ـ بيع الجزاف

3 ـ بيع المرابحة

4 ـ بيع السلم (السلف)
5 ـ المضاربة
6 ـ الحوالة
7 ـ الوكالة
8 ـ الموازين والمكاييل
9 ـ النقود

(1) النشاط الزراعي ليهود المغرب الأقصى:

لم تلعب الزراعة دوراً كبيراً في حياة اليهود بالمغرب الأقصى مثل الصناعة والتجارة، نظراً لكثرة تشتتهم وعدم استقرارهم في مكان معين رغم حرص التلمود على أن الرجل الذي لايملك أرضاً لايعتبر إنساناً[1]، وتوجد عدة أسفار في التلمود تحض نصوصها على الزراعة مثل السفر الأول الذي يسمى «كتاب زراعيم» أي البذور أو الإنتاج الزراعي وسفر «فعاة» أي زوايا الحقل وسفر «ذماي» الذي يتحدث عن المحاصيل الزراعية[2]... الخ. ومن هنا كان التمسك اليهودي بالزراعة، فمارسوها بحرية، لكن مع الزمن تغير الوضع وأصبح يغلب عليهم الطابع التجاري.

ورغم ذلك تورد لنا المصادر والمراجع عدة إشارات عن وجود بعض الأراضي التي يمتلكها يهود، وهذه الملكية الفردية أو الجماعية ربما كانت نشأتها الأولى بسبب تأثير النفوذ الروماني[3]. وعندما دخل العرب المغرب بقي الفلاحون المحليون في الأراضي المستولى عليها محتفظين بحيازاتهم لأراضيهم بوصفها أراضي خراج وكانت تعتبر جزءاً من «الفيء» للفاتحين، ومن ثم كانت ملكاً للدولة رسمياً[4].

---

(1) ـ محمد بحر: نفس المرجع ص7 .

(2) ـ أسعد رزوق: نفس المرجع، ص151 ـ 157 .

(3) ـ ماركس: حول الهند والجزائر. تعريب شريف الدشوني، دار ابن خلدون بيروت 1980 ، ص104 .

(4) ـ بيري أندرسون: دولة الشرق الاستبدادية، ترجمة بديع عمر نظمي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1983 ، ص86 .

وكان اليهود في المغرب يفضلون شراء المحاصيل الزراعية من الفلاحين البربر للاتجار فيها على الزراعة التي كانت تحملهم مشقة العمل وتحملهم نفقة الأجير لأن المسيحي والمسلم كانا يرفضان العمل أُجَرَاء لدى اليهودي، ولذلك كان اليهودي يجمع المحاصيل للاتجار فيها بين القبائل المتطاحنة بدلاً من الصبر والاحتمال على انتظار محصول لايعلم مدى نضجه وحصاده، بخلاف التجارة والصناعة فإنَّه يستطيع اكتناز ربحها وهي بعيدة عن غدر البيئة المتكرر، الذي يصيب المحاصيل أحياناً في المغرب الأقصى، فضلاً عن بعدهما عن التطاحن القبلي الذي يؤدي أحياناً إلى بوار الأراضي الزراعية، وبذلك يزداد ربحه من التجارة أو من أي حرفة أخرى يكون هو سيدها، أكثر من الزراعة التي لايستطيع انتظار جني محاصيلها، نظراً لكثرة تعرضهم لغضب السلطة عليهم بسبب خيانتهم. لكن التجارة أو الحرفة مهارة فردية، من الممكن حمل بضائعها والترحال بها إلى مكان آخر يأمن فيه على نفسه وماله، بخلاف الأرض فإنها تربط صاحبها بها وتجعله مستقراً من الصعب مغادرتها.

ولذلك وجدت إشارات نَادرة عن دورهم في الزراعة. خاصة لدى اليهود المهاجرين من الأندلس. فكان بعضهم من الأثرياء يزرعون ويمتلكون الأرض، بل ويملكون قرى أو ضواحي بعض المدن بما فيها من حقول وبساتين وحدائق الفاكهة ومزارع العنب. أما اليهود الأقل ثراء، فكانوا يعملون بأنفسهم ويبيعون محاصيلهم(1). وهؤلاء سوف يكون لهم أكبر الأثر عند الهجرة إلى المغرب الأقصى، وسوف يمتهنون نفس المهنة وهي الزراعة وشراء البساتين قبل نضجها والمضاربة عليها.

وهنا يثار تساؤل وهو، هل كان اليهود وخاصة في الجنوب المغربي الذي يكثرون فيه يزرعون الكروم لصناعة الخمور منها؟ أم كانوا يشترون هذه الكروم من المسلمين؟

(1) - Therese and Mendel Metzger. Jewish life in the nidel Ages. switxerland. 1982. P. 153.

الواقع أنه من المستحيل الاعتماد الكلي على شراء أغلب الكروم من المسلمين، خاصة وأنه كان يحرم على المسلمين في بعض السنين بيع الكروم لليهودي(1). وأنهم كانوا يزرعونه حتى ولو لصناعة الخمر، إلى جانب تجارتهم الرابحة منه، واعتماد الدولة على مكس الخمر كجزء من دخلها(2)، ولذلك نرجح أن اليهود كانوا يزرعون كثيراً من الكروم اللازمة لصناعة الخمور. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى جاءت هجرة اليهود القادمين من الأندلس، وأحسن المغاربة استقبالهم، وكانت لهم إقطاعات كالتي ظهرت في عصر الوطاسيين(3)، إلى جانب ذلك اعترف الملك البرتغالي دون مانويل في عام 1521م. في كل من أسفي وأزمور للجالية اليهودية بحرية التدين، وضمن لها أمن أملاكها وأرواحها، وقرر مقابل ذلك أن يؤدي كل فرد ضريبة تصل إلى 320 ريال أو أوقية(4). فهذه الإقطاعات التي توزع عليهم من الناحية النظرية كانت ممتلكات عامة للدولة، يدفع عنها اليهود إيجاراً مقابل انتفاعهم بهذه الإقطاعات، وكان في إمكانهم تحويلها إلى رهون شخصية كأنهم يمتلكونها(5). ولكن احتكار الدولة للأرض كان أمراً تقليدياً، والملك البرتغالي يملك فيما لاحق له فيه. ولهذا أعطى لليهودي أرضاً في بعض نواحي المغرب الأقصى التي استولى عليها.

وتوجد عبارة غامضة تفيد بوجود عدة جماعات صغيرة في الجنوب المغربي تتعاطى الفلاحة منذ أزمنة عريقة في القدم(6)، وربما كان اليهود بعض هذه الجماعات، يدل على ذلك إشارة الونشريسي إلى شراء مسلم جنة من

---

(1) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص69 .

(2) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ2 ص709 .

(3) ـ الحسن السائح: نفس المرجع، ص269 ، 270 ، محمد بن تاويت: إمارة ابن مشعل اليهودية، دعوة الحق عدد 1 السنة 12 المغرب 1980 ، ص96 .

(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص92 ، بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص326 .

(5) ـ بيري أندرسون: نفس المرجع، ص86 .

(6) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع ص158 .

يهودي وحبسها فقام يهودي آخر يدّعي استحقاقها[1]. مما يدل على الملكية الخاصة وأنه كان لليهود مكانة خاصة لدى المرينيين والوطاسيين، ومن خلال هذه العلاقة منحوا اليهود بعض الأراضي لزراعتها والانتفاع بها على ألا تكون ملكية دائمة[2].

كل ذلك يؤكد أن بعضاً من اليهود كانوا يشتغلون بالزراعة رغم إغفال المصادر والمراجع ذكر هذه الحقيقة. ولكن المزارعين منهم كانوا أقلية بالمقارنة بمن يعملون بالتجارة. وهذا راجع إلى اشمئزاز اليهود من الأعمال اليدوية الشاقة ذات المردود القليل، كما أن الشغل في الحقول لاتسمح غالباً للمزارع اليهودي بأن يتفرغ للدراسة[3]، أو بممارسة المهن الأخرى. ومما أضعف من اشتغالهم بالزراعة ماسبقت الإشارة إليه من صعوبة استئجار أرقاء مسيحيين أو مسلمين لزراعة الأرض. في حين حرمت عليهم الشريعة اليهودية استئجار أرقّاء يهود، وكان استئجار العمال الأحرار يكلفهم نفقات طائلة. كل هذا جعلهم لايحبون العمل في الزراعة كثيراً، كما جعل الملكية شبه مستحيلة بالنسبة للمزارعين اليهود[4]. نظراً لذلك ولخوفهم الدائم وتوجسهم من احتمال طردهم من البلاد على نحو مفاجئ[5].

كما أن نظام الملكية (ملكية الأرض) في المغرب الأقصى كان يغلب عليه طابع الملكية أو ملكية المشاع، وبذلك تغيب الملكية الفردية للأرض داخل المشاعة نظراً لجفاف التربة في أفريقيا الشمالية، كما استلزم الري المكثف وإقامة المنشآت المائية على يد الدولة المركزية[6].

يضاف إلى ذلك أن الديانة اليهودية كبّلت أتباعها بالطقوس الدينية

(1) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ7 ص438 .
(2) ـ المصدر السابق: جـ7 ص73 .
(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع ص159 .
(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، جـ1 ص19 ، 20 .
(5) ـ قاسم عبده قاسم: رأفت عبد الحميد: ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط، م1 ص158 .
(6) ـ بيري أندرسون: نفس المرجع ص58 .

الكثيرة، التي جعلت من المحتم على اليهودي البقاء على مقربة من بقية أعضاء جماعته الدينية، حتى يتسنى له القيام بهذه الطقوس، والتردد على المعبد والحصول على الطعام. وهذا يتعارض مع الاشتغال بالزراعة الذي يؤدي إلى تباعد الوحدات السكنية. في حين يتطلب الاشتغال بالتجارة ـ على عكس ذلك ـ التجمع حول السوق، الذي كان غالباً مايقام حول المعبد أو داخل الحي. مما أدى باليهود في المغرب الأقصى إلى تركيز جهودهم في الأعمال التجارية والربوية[1].

(2) ـ النشاط الحرفي والصناعي ليهود المغرب الأقصى:

في ظل سياسة التسامح التي سادت المغرب الأقصى في عصر بني مرين، أسهم اليهود بدور في الحرف والصناعات، نظراً لتمتع البلاد بالاستقرار السياسي، خاصة في عهد سلاطينها الأوائل العظام، إلى جانب الحرية الدينية التي تمتع بها اليهود مما أدى إلى ازدهار اقتصادي خاصة وأن المغرب يتمتع بوفرة المواد الخام بالقرب من أماكن الصناعة، مما أدى إلى الاستقرار في نمط الإنتاج. وإذا كان ثمة تغير في هذا الوضع فإنَّه كان بسبب تقلبات تعود إلى تغير في الوضع السياسي، ففي عصر سيطرة الوزراء المرينيين وعصر بني وطاس نجد الإنتاج الحرفي والصناعي يتدهور تدهوراً مشابهاً للتدهور الزراعي، بعد أن كان أحد الأعمدة الاقتصادية للازدهار الاقتصادي في المغرب الأقصى. فقد كانت هذه البلاد ـ من قبل ـ مشهورة بأقمشتها الفاخرة من الصوف والقطن والكتان والحرير، فباتت المنسوجات الواردة من فلورنسا وجنوة والبندقية والبرتغال وفرنسا تغزوها، بالإضافة إلى صناعات أخرى.

ويذكر الرحالة الحسن الوزان، أن بفاس مائتي فندق أصبحت لايقطنها التجار من الغرباء، بل يسكنها الرجال سيئو السمعة من أهل المدينة[2]، إلى

---

(1) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، جـ1 ص20 .

(2) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص236 ، 237 .

جانب فنادق أخرى أصبحت مقصداً لأهل المعاصي[1]. وقد أدى إلى ذلك أيضاً عوامل أخرى مثل قيام مشايخ العربان بفرض الرسوم والضرائب والإتاوات الباهظة على التجار والحرفيين. كما ساهمت الحروب الدائرة بين القبائل والسلطة الحاكمة والحروب التي شنتها الدول الاستعمارية على بلاد المغرب الأقصى إلى إصابة الحرف والصناعات بأضرار شديدة.

وعلى أي حال فقد كان ليهود المغرب الأقصى دورهم في هذا المجال، أقصد مجال الحرف والصناعات التي كان لهم الدور الرئيسي في البعض منها. نذكر من هذه الصناعات والحرف دباغة الجلود وصباغتها وغيرها.

أ ـ دباغة الجلود وصباغتها وتصنيعها:

كان الدباغون يجلبون الجلود من الجزارين المنتشرين في أنحاء المغرب الأقصى، وكان لليهود بفاس القديمة أربعون دكاناً للجزارين يباع فيها اللحم بالوزن لدى خروجه من المجازر الواقعة على النهر[2]، إلى جانب حوانيت أخرى للجزارين في بقية الأحياء.

وكان المسلخ يقام على مقربة من مخرج النهر من المدينة[3]، وبعد سلخ الذبائح تؤخذ جلودها لدباغتها. وتعني الدباغة معالجة الجلود بإصلاحها وتليينها وإزالة مايفسدها من العفونة والرطوبة باستخدام مواد مساعدة تعين على إزالة الصوف والشعر من الجلد بسهولة، وبدون أذى لهم أو للجلد، مثل مادة الجير أو مواد أخرى مثل زبل الحمام[4]، الذي يكثر حول فاس[5]. إلى جانب ذلك

---

(1) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص147 .
(2) ـ المغيلي: مصباح الأرواح، ص43 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص29 ، جـ5 ص25 ، مارمول كربخال: أفريقيا، جـ2 ص151 ، 152 ، مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط ورقة 4 .
(3) ـ روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص130 .
(4) ـ نفس المرجع، ص148 .
(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص262 .

كان الدباغون يستوردون من تفيلالت (سجلماسة) ثمار شجرة التاكوت الذي يستخدم في دبغ الجلود[1]، كما كانوا يجلبون مواد أخرى تستخدم في الدباغة، مثل شجرة السلمة التي كان ورقها وقشرها يستخدم في الدباغة ويسمى ورقها القرظ[2]، ومثل الصرف وهو شجر أحمر يدبغ به الأديم[3]. والطرطار ـ اللون الأحمر ـ يستخرج من الخمر[4]. ومن مواد الصباغة، النيلة والقرمز والزعفران[5].

وكان اليهود المغاربة مهرة في تركيب الألوان الأولية، ويمنع الصباغون من أن يصبغوا الأحمر بالبقيم[6] فإنَّه لايثبت[7]. ويؤكد المؤرخون أن الممارسين لهذه الحرفة ـ الدباغة والصباغة ـ عادة كانوا يمارسونها قرب الأنهار وبعيداً عن الأحياء السكنية وخارج أسوار المدن، نظراً لما يخرج منها من روائح كريهة[8]، إلى جانب ماتتطلبه هذه المهنة من استعمال المياه فكانوا يقومون بها على جانبي النهر[9]، أما غير الموجودين بالقرب من النهر فكانت مدابغهم تثير مشاكل خاصة عندما يطرحون المياه القذرة في الأزقة والشوارع المجاورة لمدابغهم، إذ

---

(1) ـ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص152 ، محمد عيسى الحريري: مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي الدولة الرستمية، دار القلم، الكويت 1983 ، ص209 .

(2) ـ ابن منظور: نفس المصدر، جـ3 ص2082 .

(3) ـ المصدر السابق، جـ4 ص2436 .

(4) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص314 .

(5) ـ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1968 ، جـ1 ص141 ، عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص131 . وفي إقليم درعة كان التجار يصنعون كميات كبيرة من النيلة يشتريها منهم تجار فاس وغيرهم من تجار المغرب الأقصى، انظر مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص145 .

(6) ـ البقيم «الصوفية يغزل بها ويبقى سائرها» ابن منظور: نفس المصدر، جـ1 ص329 .

(7) ـ المالقي: في آداب الحسبة دار الفكر الحديث بيروت 1987 ، ص78 . ولمزيد من التفاصيل انظر صفحة (78 ـ 84).

(8) ـ عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدّراسات العربية العالية القاهرة 1965 ، ص66 .

(9) ـ الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس المطبعة الملكية الرباط 1967 ، ص44 ، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص249 .

كانت تلوث السابلة والمارة فيزدادون كراهية لهم، فيصبون جام غضبهم على البريء والمذنب من اليهود سواء بسواء[1].

وهؤلاء الدباغون والصباغون اليهود كانوا منتشرين في عدة أماكن من المغرب الأقصى، مثل (أيت داؤد) التي كان اليهود يمارسون فيها عدة حرف منها حرفة الصباغة[2]. وكذلك في (تفتنة) التي كانت تدبغ فيها جلود الماعز[3]، كما كان أهل إقليم هسكورة يمتلكون عدداً ضخماً من الماعز، وكان يدبغ جلود هذا الماعز في مدينة (تكوداست) على يد اليهود، وكذلك كانوا يفعلون بالجلود التي تأتي من الجبال المجاورة[4]. ويذهب أهل هذه المدينة لبيع هذه الجلود في فاس حيث تصنع منها الأحذية النصفية وأغطية السروج المطرزة[5] بالذهب وسائر أنواع الأحذية الجميلة[6].

ويصاحب هذه الحرفة نقع الجلد وشطفه بعد كل الخطوات المتبعة في الصناعة، وبعد الانتهاء من الدبغ والصبغ ينتقل الجلد بألوانه المختلفة لأصحاب الحرف من اليهود وغيرهم، حيث كانوا يصنعون منه السروج للدواب التي تتخذ ركائب، وكذلك كانت تصنع منه الحقائب والأحذية. وكان لهؤلاء الصناع في فاس مائة وخمسون دكاناً[7]. كما كان يوجد في (أيت داؤد) صناع من اليهود[8]، وفي مراكش قامت عدة صناعات جانبية معتمدة على

---

(1) ـ بنيامين التطيلي: نفس المصدر، ص82 .
(2) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص117 .
(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص120 .
(4) ـ المصدر السابق ص171 .
(5) ـ كان المسلمون يحرمون على أنفسهم تطريز السروج بالذهب والعمل فيه، بينما كان اليهود يقومون بهذا العمل ولذلك سمح لهم بالقيام بتطريز السروج بالذهب. انظر الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص341 .
(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ6 ص341 .
(7) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص239 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص153 .
(8) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص117 .

الجلود[1]. وفي (تدسي) وجد تجار أحذية[2]. وفي مدينة الجمعة يوجد السراجون[3]. وكانت السروج والأجمة يطرزونها بالذهب، وهنا تدخل النساء من اليهوديات وغيرهن مجال هذه الصناعة لأن التطريز كان من اختصاصهن، وهو على اختلاف أنواعه يتم في البيوت، كما هو الحال في تطريز الجلد[4]. وكذلك وجد يهود يمتهنون حرفة الخرازة[5] وصناعات أخرى يطول شرحها. ولكن اليهود انفردوا بحرفة الصباغة والدباغة[6] وماصاحب هذه الحرفة من صناعات كانت من نصيب اليهود.

لم يسلم أهل المغرب الأقصى من غشهم في هذه الصنعة. وقد ذكر المالقي كثيراً من الحرف والغش فيها على يد اليهود نظراً لتعودهم على الغش وخداع الناس في الحواضر والبوادي. ولذلك صدرت أوامر من السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (656 - 685هـ/ 1258 - 1286م)، وأوامر من السيد محمد الحفيد بن علي بن عمران الشريف الجوطي (869 - 875هـ/ 1464 - 1470م) وأوامر من السلطان أحمد بن محمد الثاني الوطاسي (931 - 057هـ/ 1524 - 1550م) بتحديد نشاطهم واشتغالهم بحرف يكون الغش فيها خفيفاً[7] وسهلاً كشفه. ورغم ذلك لم يسلم الناس مما تعود عليه هؤلاء اليهود.

ب ـ صناعة المعادن والتعدين:

دفعت حاجة الإنسان إلى المعادن فاستخرجها واستخدمها في أموره الحربية والزراعية والمنزلية، وانصرف إلى تصنيعها وتحويلها إلى أشياء نافعة.

---

(1) ـ المصدر السابق ص 110 .

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص38 .

(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص176 .

(4) ـ روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص134 .

(5) ـ ابن الخطيب: مثلي الطريقة في ذم الوثيقة، تحقيق عبد المجيد التركي، دراسات ووثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1987 ، ص95 .

(6) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص137 .

(7) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط ورقة 4 ، 7 ، 8 .

ولذلك ظهرت عمليات التنقيب عن المعادن واستخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها، كما اشتغل الصناع في خلط المعادن لايجاد أنواع جديدة منها، وقد اختصت، أماكن دون أخرى بوجود هذه المعادن، كما وجدت الأسواق لبيعها بعد تصنيعها في عدة أماكن بالمغرب الأقصى.

وكان يظن ـ في نظر بعض المؤرخين ـ أن الذين يعملون في مثل هذه الصناعة لابد أن تكون لهم معرفة بالسحر لأنهم يستخدمونه، فكان الناس يخشونهم ويحتقرونهم في الوقت ذاته، ولذلك كانت هذه الأعمال كثيراً ماتترك اليهود[1]، مما أدى إلى اشتهار اليهود بالصناعات المعدنية[2]، مثل صناعة الذهب وخلافة.

وقد ورد ذكر الذهب بأسماء مختلفة، منها التبر الذي كان الزنوج يسمونه نكناكي[3]، ويجلب من السودان الغربي أرض هؤلاء الزنوج. كما وجد ذهب في أودغست[4]، وهو أجود من ذهب البلاد الأخرى[5]، إلى جانب ماكان يستخرج من إقليم السوس[6]. وفي مدينة يتازرارت وجد معدن الفضة[7]، كما وجد أيضاً في مدينة درعة[8]، بالقرب من مكناسة الزيتون

(1) ـ روجيه لوتورنو: نفس المرجع ص135 .
(2) ـ أحمد أمين: فجر الإسلام، النهضة المصرية القاهرة 1978 ، ص24 .
(3) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص28 .
(4) ـ أودغست: كانت مدينة كبيرة يطل عليها جبل كبير، وحولها بساتين النخل وبها آبار مياه عذبة، والغنم والبقر أكثر شيء عندهم، وسوقها عامرة الدهر كله لايسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله، وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضة، وبها مبان حسنة، واندثرت هذه المدينة الآن. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص158 .
(5) ـ المصدر السابق، ص159 .
(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص55 .
(7) ـ البكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب ص160 . (بتازرارت: موضع يبعد عن جبل درن المعمور بقبائل صنهاجة مسيرة يوم، ويقع في الطريق بين مدينة أغمات إلى السوس. نفس المصدر، ص160 ، 161 .
(8) ـ ابن خرد ذابة: المسالك والممالك، ليدن 1889 ، ص88 .

حصن يدعى وركناس وجد فيه أيضاً معدن الفضة[1]. وقد قام على معدن الذهب ومعدن الفضة حرفة الصاغة. وهذه الحرفة ثلاث حرف متداخلة يقوم بها دكاك وصائغ وسكاك[2]، ويطلق على الصائغ أو من يشتغلون بالذهب (صورفيم) بالعبرية، وبالعربية (الذهايين). وكذا كان يطلق اسم السكاكين أو الصياغين على من يشتغل بالفضة[3]. وكان معظم الصاغة من اليهود الذين كانوا ينجزون أشغالهم من الذهب والفضة في فاس الجديدة، ثم يحملونها إلى المدينة القديمة لبيعها. ونادراً ماكان المسلم يمارس مهنة صائغ، إذ كانوا ينظرون إلى الذي يبيع الأشياء الذهبية بسعر أعلى من الذي يساويه وزنها على أنه ربا، ولذلك كان سلاطين فاس يعطون اليهود الترخيص بممارسة هذه الصناعة[4].

وبذلك انتشر الصاغة اليهود في عدة مدن بالمغرب الأقصى مثل (أيت داود)[5]، (وتدنست) حيث كان اليهود يسيطرون على حرفة الصاغة وسك العملة[6]. وفي مراكش كان معظم اليهود الساكنين في الحي الخاص بهم بالقرب من باب أغمات صاغة[7]. وفي مدينة الصويرة عدة صياغ[8]. وفي تدسي وهي مدينة في إقليم السوس كان يوجد صاغةيهود[9]. وكانت الأساور

(1) ـ عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص448 .

(2) ـ عبد السلام بن سودة: حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق عدد 1 ، 2 المغرب 1971 ، ص113 .

(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص152 .

(4) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص284 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص157 ، انظر نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع ص141 ، يقدم حاييم زعفراني تبرير لايؤخذ به على أهمية اشتغال اليهود بالذهب (حيث الدقة والابتكار والذوق وينفذ مايطلب منه أفضل من زميله المسلم) انظر حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص152 ، 153 .

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص117 .

(6) ـ المصدر السابق ص110 ، 111 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص10 .

(7) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص55 .

(8) ـ حاييم زعفراني: نفس المصدر، ص152 .

(9) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص131 .

والخلاخيل والأقراط والأطواق والخواتم الذهبية والفضية من الأشياء التي تقتصر صناعتها على اليهود(1). أما الصاغة المسلمون فقد كانوا يصنعون الخواتم والأقراط لنساء الأعراب والقرويين(2).

وإلى جانب صياغة الذهب اشتغل اليهود في دور سك العملة الواقعة بجوار القصر السلطاني، حيث يقيم المشرف عليها والصراف الذي يملك حق السك ويزن النقود ويضع عليها السعر(3)، وكذلك في سجلماسة عمل اليهود بدار السكة(4). وإلى جانب ذلك اشتغل اليهود بتجارة الذهب والفضة مما أدى إلى نقص مايعود على دار السكة من هذه التجارة(5). كما اشتغلوا في تجارة الأحجار الكريمة الأخرى(6)، خاصة المرجان المستخرج من شواطئ سبتة(7)، والياقوت المستخرج من جبل هزرجة قرب اغمات، وهو ياقوت متناهي في الجودة وحسن اللون(8).

ولقد عارض الفقهاء في اشتغال اليهود في دور السكة، لأن الإمام مالك أوصى بذلك احتراماً للفظ الجلالة الذي يكتب عليها، ورغبة في الاطمئنان على وزنها(9). ولكن هذه الوصية لم يؤخذ بها فقد عمل بعض اليهود بدار السكة، ولذلك لم يسلم المسلمون من غش اليهود في تلك الحرفة، حيث قام اليهود بضرب عملة خارج دار السكة وقاموا بترويجها، ولذلك لم توجد عملة

---

(1) ـ روجيه لوتورنو: نفس المرجع ص139 .
(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص157 .
(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص283 ، 284 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص157 .
(4) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص78 ، 79 .
(5) ـ المصدر السابق ص95 .
(6) ـ روجيه لورتورنو: نفس المرجع ص54 .
(7) ـ ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ ص76 .
(8) ـ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص152 ، 153 ، الادريسيي: نفس المصدر، جـ2 ص529 ، الحميري: نفس المصدر، ص303 .
(9) ـ صالح محمد: دولة بني وطاس، ص152 .

من الدنانير أو الدراهم المضروبة خارج دار السكة إلا بأيديهم[1]. كما غشوا الدينار اليعقوبي بدار سك العملة بسجلماسة وظهر ذلك عندما عيّر الدينار فشك أمين دار السكة فيه إذ وجد نقصاً فيه، فأحضر اليهود الذين يسبكون الدنانير والدراهم وهددهم واستبرأ أمرهم، فاعترف أحدهم بأنه أخذ عند السبك جزءاً من الفضة، وجعله في جوف قطعة من الفحم الذي سبكوه به بعد ثقبها ووضعه فيها، ونزع من الذهب بعد ذوبانه كمية الفضة وأتلفها في فرن السبك، ولما حقق في ذلك عوقب الفاعل[2]. ولكن اليهود لم يتوقفوا عن أفعالهم، مما جعل الناس تشتكي من أفعالهم للسلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني الذي تولى الحكم سنة 731 هـ، سنة 1330م، فأمر بضرب أبشنارهم والشدة في نكالهم[3].

جـ ـ معدن الحديد والنحاس:

كما ازدهرت في المغرب الأقصى صناعات تتعلق بمعادن أخرى غير الذهب والفضة، مثل النحاس الذي توفر بمدينة السوس[4] ومدينة (داي)[5]، وفي إقليم جزولة[6]. كما توفر الحديد في عدة أماكن بالمغرب الأقصى منها (تانزيرا)[7]، وفي جبل دمنسرة[8] وإقليم جزولة الذي اشتهر بعدد من مناجم الحديد[9]، وفي مدينة (الجمعة) بإقليم هسكورة[10]، وفي جميع الجبال المجاورة

(1) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص138 ، 139 .
(2) ـ المصدر السابق، ص79 .
(3) ـ المصدر السابق، ص137 .
(4) ـ عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص448 ، الحميري: نفس المصدر، ص330 .
(5) ـ الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص241 .
(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص69 .
(7) ـ المصدر السابق جـ2 ص25 .
(8) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص123 .
(9) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص69 .
(10) ـ المصدر السابق جـ2 ص110 ، 111 .

لمدينة أمجاو[1] وفي جبل (بني سعيد)[2]. وانتشرت مصاهر[3] الحديد في عدة أماكن من بلاد المغرب الأقصى، مثل مدينة مراكش حيث كان يعمل بها أسرى المسيحيين[4]، كما كان الصناع اليهود يقومون بتشكيل الحديد في مدن تدنست[5] وهاديكس[6] وفي (ايت داؤد)[7]. وفي مراكش كان اليهود يصنعون الأقفال والمهاميز والركابات التي كانت في غاية الزخرفة[8]، وفي جبل سوساوة عاش كثير من اليهود مختلطين بالمسلمين، وهم الذين كانوا يمارسون في هذا الجبل حرفة الحدادة ويصنعون الكجارف والمناجل وحدوات حوافر الخيل[9]. وفي مدينة شيشاوة كان صانعوا الأقفال من اليهود أيضاً[10]. وفي مدينة مائة بير وجد عدد من الحدادين اليهود[11]. كما كان اليهود يحتكرون صناعة الأمشاط[12] التي تستخدم لنفش الصوف، ويطلق على أصحاب هذه الحرفة القراشليين بالعبرية[13]. وكذلك كانوا يصنعون الأمشاط التي كانت

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص346 ، المصدر السابق جـ2 ص264 .
(2) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص348 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص266 .
(3) ـ مصاهر الحديد: عبارة عن حفرة يوضع بها خام الحديد ومعه الخشب والأغصان أو الفحم المستخرج من مدينة العرائش، ثم توقد النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الغريبة المختلطة في خامه، وبعد ذلك يعالج لتنقيته واستخراج المواد التي تجعله هشاً. انظر مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص199 ، واضح الصمد: الحرف والصناعات عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1981 ، ص111 .
(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص52 .
(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص110 ، والمصدر السابق جـ2 ص10
(6) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص113 .
(7) ـ المصدر السابق، ص117 .
(8) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص55 .
(9) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص152 .
(10) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص65 .
(11) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص163 .
(12) ـ روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص137 .
(13) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص154 .

تستعمل لتمشيط صوف الأغنام كما كان منها ما يستعمل للآدميين[1]. وكان لليهود في فاس وحدها خمسة عشر دكاناً تصنع فيها هذه الأمشاط[2]. ولم يسلم المسلمون من غش اليهود، حيث كانوا يطرقون المسامير القديمة ويبيعونها على أنها جديدة[3]. وأيضاً كانوا لايصهرون الحديد جيداً فكان سريع الكسر[4].

وكان اليهود متخصصين في صناعة المفاتيح، وكثيراً ماكانوا يعملون مفتاحاً على آخر لكل من أتى برسم مفتاح على طين وعجين، رغم تحذير المحتسب بعدم صنع مفتاح على آخر لأي شخص إلا للشخص المعلوم الهوية. ومع مزيد من الانهيار شاعت ظاهرة الصنّاع المتجولين كالخرازين والنجارين والصباغين[5]، مما سهل عملية الغش التي أكد عليها أكثر من مؤرخ. ولذلك كان المسلمون يثورون على اليهود في حالة تفشي الغش[6]، مما أدى إلى انهيار الاقتصاد المغربي لعدم وجود طبقة متوسطة تقوم على أكتافها نهضة اقتصادية كما جرى في أوروبا. بينما وجدت طبقة هامشية عاشت مستفيدة من الأوضاع العامة في الإثراء السريع[7]، ولذلك كان الاقتصاد المغربي ينهار بانهيار السلطة.

د ـ صناعة النسيج:

لم تقتصر هذه الصناعة على اليهود فقط، بل شارك فيها أيضاً الصناع المغاربة المسلمون. وهذه الصناعة من الصناعات التي يقوم بها الرجال أصلاً،

(1) ـ روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص137 .
(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص153 .
(3) ـ المالقي: نفس المصدر، ص80 .
(4) ـ المصدر السابق، ص81 .
(5) ـ المصدر السابق، ص81 .
(6) ـ محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي دار سيناء للنشر القاهرة 1995 ، جـ3 ص73 .
(7) ـ مجهول: قصة المهاجرين المسيحيين بالبلديين، مخطوط ورقة 4 .

ولكن مع ذلك كانت النساء تعملن على النول وفي التطريز وخلافه. وكانت هذه الحرف تورّثُ. والمغرب من البلاد المشهورة بصناعة المنسوجات خاصة الصوفية نظراً لكثرة المراعي. فكان يرسل إلى بغداد الفراء الأبيض لأمير المؤمنين[1]. أما في زمن هذا البحث فقد انتشرت هذه الصناعة في أيت عياض[2]، وفي جبل مديونة وسلا وبلاد السوس وبلاد رجراجة وسجلماسة.

ولكثرة مزارع القطن المتواجدة في أغلب مدن المغرب الأقصى مثل أم الربيع[3] ومنطقة تادلا[4]، وبلاد الهبط قرب سجلماسة[5]، كثرت معامل النسيج. ففي فاس وحدها وجد «ثلاثة آلاف وأربعة وتسعون معملاً للنسيج»[6]. وحظيت الصناعات الكتانية بنصيب وافر من الاهتمام، نظراً لكثرة زراعته ببلاد المغرب الأقصى وخاصة مدينة (مقرة)[7] ومدينة (بونة)[8]. وكان يجلب منها إلى أماكن صناعته[9] في مدينة تارودنت[10]، وفي مدينة بوشنا[11].

---

(1) ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ4 ص254 .

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص120 .

(3) ـ الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص237 .

(4) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص303 .

(5) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ8 ص625 .

(6) ـ الجزناني: نفس المصدر ص44 .

(7) ـ مقرة: بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة، وهي مدينة صغيرة: الحميري: نفس المصدر ص556 .

(8) ـ بونة: بلاد افريقية، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص54 ، الحميري: نفس المصدر، ص115 .

(9) ـ يعد الكتان بقيام الصانع بعد البل والتعطين إلى النفض والدق ثم المشط والغزل ثم إلى الطبخ ثم سائر أعمال النساجة ثم إلى الصفر ـ صبغة بصفرة ـ والقصارة والخياطة حتى يصلح أن يكتسى به، انظر الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري، الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1977 ، ص20 ، ابن منظور: نفس المصدر، جـ4 ص2458 ، والذي يقوم بدق الكتان من المهن الضارة، انظر الدمشقي: الاشارة: نفس المصدر، ص64 .

(10) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص129 .

(11) ـ المصدر السابق، هامش ص308 .

وكان لليهود دور كبير أيضاً في صناعة الحرير. فكان الحرفيون اليهود يشتركون في هذه الصناعة[1]. وكان الحرير الخام يجلب من مدينة (خميس متغارة)[2] التي استوطنها أهل غرناطة المهاجرون إلى المغرب، والذين أكثروا من زراعة أشجار التوت الأبيض للانتفاع بها في تربية دود القز[3].

وكانت الملابس تطرز بخيط الذهب التي يحتكرها اليهود، لدرجة أنهم أطلقوا على أرباب العمل والعمال الذين كانوا يمارسون هذه المهنة اسم الصقليين، نسبة إلى عملية الصقل، ويبدو أن اليهود الصقليين نقلوا معهم هذه المهنة إلى المغرب فعرفت باسمهم[4].

ولتواجد بعض المواد اللازمة للصباغة بالمغرب، صبغت الملابس سواء قطنية أو صوفية أو حريرية أو كتانية بعدة مواد، منها النيلة[5] التي كانت يكثر استخراجها من بلاد السوس ويصبغ بها[6]، إلى جانب القرمز[7] الذي يجلب من أرمينية المشهورة به[8]، ومن بلاد الأندلس وشيراز وأرض فارس، حيث احتكرت طائفة من اليهود الحصول على هذه المواد[9]، إلى جانب الطرطار الذي ينبت في الخمر ويصبغ به الصوف باللون الأحمر. وكانت هذه الصبغة

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص155 .

(2) ـ مدينة خميس متغارة: بناها الأفارقة في ضواحي زواغة على مسافة عشرة اميال إلى الغرب من فاس، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص222 .

(3) ـ المصدر السابق، ص222 .

(4) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص153 .

(5) ـ النيلة: يستخلص منها اللون الأزرق، انظر السيد طه السيد أبو سديرة: الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991 ، ص42 .

(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص28 .

(7) ـ القرمز: يستخرج منه اللون الأحمر، السيد طه أبو سديرة: نفس المرجع، ص41 ، وكان يستغنى عنه بالطرطار الذي ينبت في الخمر، انظر الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص314 .

(8) ـ الاصطخري: نفس المصدر، ص110 .

(9) ـ الجاحظ: التبصر بالتجارة، عنى بتحقيقه ونشره حسن عبد الوهاب، دمشق 1932 ، ص31 ، المقري: نفح الطيب، جـ1 ص141 .

أيضاً في يد اليهود نظراً لاشتغالهم بصناعة الخمور. كما كانوا يستعملون الكبريت ليردوا به أكسية الصوف بيضاء[1]. وكانوا يجلبون من حصن (طليمثة)[2]، وعادة كانت أحواض الصباغة خارج المدينة، نظراً لما يصاحبها من روائح كريهة وكثرة استخدام المياه، ولذلك كانت دور الصباغة تبنى على شواطئ الأنهار، وكان لليهود يد في الصباغة فكانوا يشتغلون بصباغة الحرير[3].

وعندما هاجر عدد كبير من اليهود الأندلسيين إلى المغرب، امتهنوا نفس المهن التي كانوا يمارسونها في الأندلس مثل النجارة والبناء[4]. ففي سجلماسة كان القائمون بعملية البناء يهوداً، كذلك في (شيشاوة) كان بعض البنائين من اليهود[5]. إلى جانب حرفة خرط الأخشاب[6]، حيث انتشرت في فاس المستودعات الكبرى التي كانت توجد فيها الأخشاب. وكان يقوم بهذا العمل رقيق النصارى الذين كان مواليهم يقدمون لهم مايتعيشون به بدلاً عن الدراهم التي يستحقونها[7]. وفي (تدنست) عاش عدد من اليهود الذين امتهنوا حرفة النجارة[8].

كذلك فقد اقتصرت حرفة عصر الخمر على أهل الذمة من اليهود والنصارى. إذ سمح لهم السلطان أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشيخ أبي زكريا الوطاسي ويعرف بأبي حسون 932هـ/ 1525م، بعصر الخمر في مدينة فاس[3]. وكان أهل الذمة يستعملون الخمر في حياتهم اليومية، وكان

---

(1) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص40 .
(2)ـ عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص433 ، ويقع هذا الحصن بين برقة وطرابلس، انظر نفس المصدر ص433 .
(3) ـ ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص180 .
(4) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص154 .
Taereses and mendel - op cit. P. 154.
(5) ـ ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص180 .
(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص55 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص155.
(7) ـ حسن الوزان: نفس المصدر، ص250 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص157 .
(8) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص10 ، السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص149
(9) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ1 ص474 .

بعض المسلمين يتعاطونها في الفنادق والملاح[1]. ولكثرة ما بأرض المغرب الأقصى من مزارع للكروم، فقد انتشرت صناعة الخمر من الكروم لدرجة أنها كانت تصنع في البيوت[2]، وخاصة في مدينة تازا حيث قام بهذه الصناعة اليهود نظراً لكثرة عددهم بها[3] كما في كافة أرجاء المغرب الأقصى.

وقد كثرت الفتاوي التي تمنع اليهود من العمل في الخبز وبيعه، وبيع الزيت والخل وغيرها من المائعات بالأسواق[4]، مما يدل على مدى انتشار هؤلاء اليهود في العمل بهذه الحرف[5]، وقد منعوا من العمل بها نظراً لكثرة غشهم فيها. وقد مارس اليهود أيضاً مهن الخدم، فكان يوجد منهم من قام بالخدمة في بيوت المسلمين[6]، ومارسوا غسل الثياب فيها، وكذلك عجن الدقيق لصناعة الخبز[7].

بعد رصد وتحليل حرف وصناعات أهل الذمة، نجد منهم من كانوا يجمعون بين الحرفة والقيام بتوزيع إنتاجها في الأسواق الداخلية، ومنهم من كان ينتج فقط وغيره يقوم بتوزيعها، سواء في الأسواق الداخلية أو بيعها للتجار النصارى المتمركزين بالمدن الساحلية. والأغلبية كانوا ملاكاً لوسائل الإنتاج التي لم تتطور واستمرت على نمط واحد، مما أصابها بالتخلف والتقهقر أمام المنتجات الأوروبية الأكثر تطوراً والقادمة مع المستعمر البرتغالي أو مع وكيله اليهودي، فزاد الطلب على هذه المنتجات مما أصاب المنتجات المغربية بالشلل، وتحول المغرب الأقصى إلى مورد للمواد الخام.

---

(1) - انظر الرسالة، ص97 ، 98 .
(2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص358 .
(3) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص273 .
(4) - ابن الخطيب: مثلي الطريقة، ص90 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص68 .
(5) - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص95 .
(6) - هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية في الأندلس، دار الفرقان الأردن 1984 ، ص365 . .Solomon: op - cit. P. 727.
(7) - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص148 .

ورغم كثرة الحرف التي عرضنا لها والتي اشتغل بها اليهود في المغرب الأقصى، إلا أن المسلمين لم يسلموا من الاتهامات الموجهة إليهم من هؤلاء اليهود باحتكارهم للحرف التي تعود عليهم بالربح السريع، وترك الحرف التي تحتاج لمجهود أكبر لليهود. مما أثار رغبة الباحث في الكشف عن حقيقة هذا الاتهام الموجه للمسلمين من اليهود الذين يحسون دائماً بالدونية، لأنهم كانوا يشعرون بأنهم دخلاء على أي وطن، إلى جانب كثرة غشهم وخداعهم مما أدى إلى النظر إليهم كأقلية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وانعكس ذلك على احترافهم لمهن وحرف معينة مارسوها مثل المعادن أو العمل في الصباغة والحدادة.

ولم تكن هذه الحرف التي امتهنوها قاصرة عليهم وحدهم، فقد مارسها غيرهم من سكان المغرب الأقصى في المدن التي كانت تخلو من اليهود، وخاصة في الشمال المغربي حيث يقل التواجد اليهودي. ولذلك كان من الممكن أن يعمل في هذه الحرف الحقيرة الهاربون من شظف المعيشة في الريف، واللاجئون من الأندلس إلى المدن المغربية، التي توجد فيها حرف لايرضى أصحاب المدينة العمل بها فتكون من نصيبهم. مثل الحجامين والبنائين والكناسين والكنافين[1].

وكان اليهود هم الذين يقبلون بأنفسهم على هذه الحرف لكونهم محبين للاكتساب منها[2]، ولم يجبر اليهودي على القيام بأعمال محتقرة في نظر الغير، إلا في أيام التشدد الديني في عهد دولتي المرابطين والموحدين[3]، فقد أجبر اليهود على العمل في الحرف الوضيعة نتيجة لسلوكهم الاجتماعي والاقتصادي القائم على الغش والخديعة[4].

---

(1) ـ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص148 .

(2) ـ الحميري: نفس المصدر، ص306 .

(3) ـ عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص111 ـ 113 .

(4) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، ورقة 5 .

وفيما عدا ذلك لم توضع أية قيود على اليهود فيما يتعلق بأنشطتهم الاقتصادية فيما عدا استثناءات طفيفة، مثل منع بيعهم الخمر أو الخنزير للمسلمين[1]، فقد حرم ذلك عليهم. ومن الواضح أن اليهود لاقوا بعض المتاعب في عهد الدولة الموحدية بسبب ماكانوا يقومون به من غش ومكايد، ولذلك شاركوا العامة في مهن اعتبرها المغرضون حقيرة[2] رغم اشتراك العامة فيها. لكنهم خصوا اليهود بها كنوع من الاضطهاد الذين وقع عليهم من قبل المسلمين، ولم يذكروا كلمة واحدة عن اضطهاد اليهود في أوروبا والذي كان اضطهاداً متكرراً، ولكنهم صوروا حياة المغرب الأقصى على هذا النحو الذي يجافي الحقيقة، حيث عاش هؤلاء اليهود هناك ومازالوا يعيشون في سماحة وسلام.

(3) ـ التجارة الداخلية ودور يهود المغرب الأقصى فيها:

استفاد يهود المغرب الأقصى من الإصلاحات التي قامت بها الدولة المرينية لتنشيط حركة التجارة داخل البلاد، فعملت الدولة على استقرار الأمن في جميع أرجائها، فألغى السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله (685 ـ 706هـ/ 1286 ـ 1306م) الضرائب التي تعرف باسم الأنزال، وضرائب أخرى باسم اللوازم المخزنية، وضرائب تسمى القبالة والمكوس التي كانت تفرض على السلع المارة من أماكن العبور[3].

---

(1) ـ الشافعي: نفس المصدر جـ4 ص126 ، مجهول: قصة المهاجرين المسلمون بالبلدين، مع ورقة 1 ، جوانياين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية الخوصي، وكالة المطبوعات الكويت 1980 ، ص167 .

(2) ـ ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص180 .

(3) ـ ضريبة الانزال هي ضريبة مفروضة على ديار الأغنياء، وضريبة اللوازم المخزونية هي ضرائب جديدة يفرضها القصر السلطاني وتحصل لصالح المخزن أي الحكومة، وضريبة القبالة هي ضريبة يؤديها أصحاب الحرف أو بائعوا السلع الرئيسية مقابل السماح لهم بالبيع في القيسارية. انظر حسن علي حسن نفس المرجع، ص225 ، محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني، 281 ، 282 .

وكانت هذه الضرائب الجائرة تلغى في عهد السلاطين الأقوياء، لأنه كان من عادة كل حاكم أن يزيل ظلم عمال الحاكم السابق[1]، مثل رفع السلطان أبي عنان للمظالم عن الرعية[2]. ولكن في حالة انهيار الوضع الاقتصادي كانت تفرض هذه الضرائب وكان يعاني منها المغاربة ومعهم اليهود.

كما كانت الدولة تبني الأسواق وتمهد الطرق في المدن الجديدة مثل فاس وتطوان، إلى جانب الأسواق التي كانت قائمة، وكذلك الفنادق للتجار الأجانب. فأقام السلطان أبو الحسن المريني (732 - 749هـ/ 1331 - 1348م) نظاماً لحماية الطرق، حيث تم في عهده إقامة خيام تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة اثني عشر ميلاً، يرابط فيها جنود على امتداد كل الطرق الهامة المتصلة بفاس، على أن يقطع الجنود إقطاعات يستغلونها لتغطية ضروراتهم وبيع الفائض للمسافرين، ولحفظ أمتعتهم ودوابهم[3]. كما قامت الدولة بالقضاء على حركات الأعراب، مثل قبائل الهلالية والمعقل المقيمين في إقليم درعة، والذين كانوا يهددون طريق سجلماسة[4].

غير أن التقلبات السياسية في بلاد المغرب الأقصى كانت حائلاً دون تواصل تلك الترتيبات الأمنية. فشهدت الدولة المرينية تفككاً عقب وفاة السلطان أبي عنان في عام 759هـ/ 1357م، وانتقال السلطة الفعلية في الدولة من يد السلاطين إلى الوزراء، حتى انهارت الدولة وتبعتها دولة بني وطاس، التي لم تستطع السيطرة إلا على المنطقة الشمالية. أما باقي الدولة فكانت في حالة حرب دائمة بين القبائل بعضها البعض، وبينها وبين الاستعمار البرتغالي مما أضر بالأمن في الطرق التجارية.

---

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص436 .
(2) - ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية ط2 بيروت 1993 ، ص671 .
(3) - ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، مخطوط مصور بالميكروفيلم، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 645 تاريخ) ورقة 125 .
(4) - الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني ص86 .

وكانت هذه الطرق تبدأ غالباً من المدن الكبرى المطلة على سواحل البحر المتوسط؛ إلى الداخل مروراً بالمدن الكبرى والقرى حتى تصل إلى أماكن الإنتاج، سواء صناعية أو مواد خام. أو إلى البلاد المجاورة مثل الطريق الممتد من طنجة إلى فاس[1]، والطريق الذي يربط بين سبتة وفاس ويستغرق ستة[2] أيام[3]، ومن فاس تتفرع عدة طرق إلى كافة مدن وقرى المغرب نظراً لكونها عاصمة البلاد، فنجد طريقاً من فاس إلى سجلماسة[4]، ومن سجلماسة تخرج عدة طرق إلى درعة.

ولم تكن الصحراء حائلاً بين المغرب وبقية الأقطار الإفريقية بل كانت أداة ربط، فعبرتها قوافل التجارة محملة بمختلف المنتجات، وكان بين المغرب وإفريقية عبر الصحراء عدة طرق، طريق من سجلماسة إلى أودغست ومنها إلى غانة[5]، ومن سجلماسة إلى مدينة تمبكت عبر مدينة تغازي[6]. وطريق من درعة إلى سجلماسة إلى بلاد السودان عبر مدينة ولاتة[7]. وطريق آخر من إيكلي قاعدة إقليم السوس إلى حوض السنغال، وطريق آخر محاز لشاطئ المحيط من وادي ماسة ووادي نون إلى قرية اندر (سان لوي) التي يصب عندها نهر السنغال في المحيط الأطلسي[8]. ولكن مع نهاية دولة بني مرين استجدت طرق جديدة خلاف الطرق التي كانت متجهة إلى الشمال للبحر المتوسط. فأخذت اتجاه المحيط الأطلنطي نظراً لظهور الاستعمار البرتغالي على شواطئ

---

(1) ـ البكري نفس المصدر، ص109 .
(2) ـ المصدر السابق، ص115 ، الادريسي: نفس المصدر، جـ2 ص532 .
(3) ـ وقيل ثمانية أيام وليست ستة أيام، الادريسي: نفس المصدر، جـ2 ص532 .
(4) ـ البكري: نفس المصدر، 156 ، ابن حوقل: نفس المصدر، ص90 ، الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص243 .
(5) ـ البكري: نفس المصدر، ص149 ، ابن حوقل: نفس المصدر، ص91 .
(6) ـ عبد الوهاب بن منصور: مناقب أهل الصحراء في تشييد صرح الدولة المغربية الغراء، الرباط، 1975 ص24 .
(7) ـ المرجع السابق، ص24 .
(8) ـ المرجع السابق، ص24 .

المغرب، وفقد الطريق القادم من الجنوب إلى الشمال المتجه نحو البحر المتوسط شيئاً كبيراً من أهميته، بسبب فتح التجار المسيحيين لطرق جديدة نحو المحيط الأطلسي، ووصل البرتغاليون إلى المناطق الإفريقية التي يستخرج منها الذهب[1]. وكان نشاط المغاربة الحربي في البحر المتوسط رد فعل لضياع هيبة التجارة المغربية في الشمال فلجأوا إلى هذا النشاط، كما فعل الإنجليز بعد قرنين من الزمان ضد الاحتكار الاسباني، إذ كانت الموانئ المغربية مختنقة ومهددة وكانت لاتستطيع التفاوض من أجل السلام والتجارة[2]. ولذلك اتجه المغاربة بتجارتهم إلى المحيط الأطلسي، وزاد الطلب على المواد الخام التي لم تكن لها قيمة من قبل مثل الشمع. فنشط طريق من فاس إلى ميناء سلا، ومن مراكش إلى اسفي، ومن تارودنت[3]، إلى ماست[4]، ثم إلى نول لمطة[5]. ونشطت الموانئ المغربية المنتشرة على المحيط لاكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام 903 هـ /1497م[6]. وانتقال النشاط التجاري إلى المحيط الأطلسي

---

(1) ـ عبد القادر جغلول: نفس المرجع، ص81 .

(2) ـ عبد الله العروي: نفس المرجع، ص234 . bdallah larow. op. cit. 217

(3) ـ تارودنت: حاضرة بلاد السوس الأقصى، وهي مدينة عامرة وكثيرة الفواكه وتشتهر بزراعة السكر وأهل السوس فرقتان متحاربتان. انظر. الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص227 ، 228 .

(4) ـ ماسست: نهر عظيم يصب في البحر المحيط، عليه قرى متصلة وعمارات كثيرة وبساتين وأنواع عدة من الفواكه وقصب السكر وبين الوادي ونول لمطة ثلاث مراحل في عمائر متصلة. انظر. الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص240 ، 241 ، الحميري: نفس المصدر، ص522 .

(5) ـ نول لمطة: من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشر مرحلة، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وسميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها ولايعرفون الحرث والزرع، ويصنع بهذه المدينة السروج وتباع بها الأكسية والبرانس ويباع بها الجلود لكثرة الحيوانات بها، وفي أرض لمطة يوجد الملح ويجهز إلى بلاد السودان مثل غانة وغيرها، وله غلة عظيمة. انظر. الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص223 ـ 225 ، الحميري: نفس المصدر، ص584 .

(6) ـ للمزيد من التفاصيل انظر. دوزسانتوس يوميات رحلة فاسكوداجاما، ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995 .

والهندي. ونظراً للانقلاب الصناعي في أوروبا وزيادة الطلب على المواد الأولية للصناعة، أصبحت السوق المغربية مركزاً لتوزيع المنتجات الأوروبية وأصبح الأوروبيون يبحثون عن وسطاء أو سماسرة[1] لهم داخل المغرب، فكان التجار اليهود هم الذين يقومون بهذه المهمة لإتقانهم عدة لغات[2]، ولضياع دورهم في التجارة العالمية لازدياد نشاط الممالك النصرانية البحري، وتحولهم إلى تجار محليين[3]. فأصبحوا الوسطاء أو السماسرة بين أوربا الغربية المنتجة وبين المغرب الأقصى المستورد للسلع الأوربية، والمصدر للمواد الخام.

كذلك فقد انتقل بعض اليهود المقيمين بالداخل، إلى جانب اليهود المهاجرين من الأندلس والبرتغال وباقي أوربا، واستقروا في المدن الساحلية ولعبوا دور الوسيط[4]. ولذلك انتشر اليهود في أرجاء المغرب الأقصى خاصة في الأماكن ذات الموقع الاستراتيجي الذي يتحكم في مفارق طرق أو مواني مثل مدينة أنفة صاحبة العلاقات الوثيقة مع البرتغاليين والانجليز[5]، وميناء أسفي الذي كان يقيم به تجار مسيحيون أتوا مع المستعمرين البرتغاليين، وكان يأتي إليه العديد من التجار اليهود للإتجار مع هؤلاء البرتغاليين[6]، وحصن المأمون (تابوعسمت) المكتظ بالتجار اليهود والغرباء[7]، وفي أيت داود عدد كبير من التجار الغرباء من اليهود[8]، وإقليم جزولة كان يفد عليه عشرة آلاف أوربي للتجارة[9]. ووصل التسامح مع التجار اليهود في تكوداست أن أصبح لهم حرية

---

(1) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص175 .

(2) ـ الترمانيني: نفس المرجع، ص87 .

(3) ـ لويس لومبار: نفس المرجع، ص87 .

(4) ـ سونياهاو: في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، راجعه محمد النحاس مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ ص130 .

(5) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص203 .

(6) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص71 .

(7) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص497 .

(8) ـ المصدر السابق، ص192 .

(9) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص69 .

الاعتقاد[1]، مما شجع الأجانب على الوفود على البلدة والاتجار فيها. وكانوا يحظون بمحبة كبيرة من قبل اليهود والمسلمين فيها. كما وجد في درعة عدد من اليهود التجار، وتقع هذه البلدة على الطريق المؤدي من فاس إلى تمبكت وموريتانيا[2]، وهو طريق الذهب والرقيق، فكانوا يرحلون بالمنتجات المغربية ويأتون بالمنتجات السودانية. وكان اليهود بسجلماسة طائفة كبرى، وكانت هذه الطائفة مشهورة بتجارتها مع بلدان ساحل النيجر ووسط أفريقية ومع مصر والهند. وكان لليهود بها النصيب الأوفر في التبادل التجاري، وكان أحبارها على اتصال دائم مع إخوانهم في تونس والعراق[3] وكذلك مع استنبول؛ مثل الخواجة يحيى بن عبد الكريم اللبدي المغربي[4]. وكذلك كانت لهم اتصالاتهم مع أوربا، ولذلك ظهرت مجموعة من التجار اليهود ارتبطت مصالحهم بالمستعمر الأوربي وتواطئوا معه، وأصبحوا عيوناً له داخل البلاد مثل حاخام أسفي إبراهام بن زاميرو[5]، الذي ظهر كتاجر وليس كرجل دين، واحتكر التجارة مع السودان الغربي. وكذلك يعقوب روط الذي عمل بالتجارة، وتضخمت تجارته إلى أن أصبح مورد المؤن للجيش الوطاسي[6]. وهؤلاء التجار اليهود ذوو المصالح المرتبطة بالمستعمر الأوربي، كانوا يلعبون دور الجاسوسية. فهذا سليمان بن زاميرو بن أخ إبراهام والذي كان من أغنى تجار مراكش، يكلف نفسه عناء السفر إلى أسفي ليخبر عمه باستعدادات السعديين[7].

ورغم ذلك وبعد استقلال الحواضر التجارية، دخل يهودها تحت حماية

---

(1) - المصدر السابق، جـ2 ص110 .
(2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص491 ، المصدر السابق، جـ3 ص145 .
(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص11 .
(4) - ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984 ، جـ5 ص426 .
(5) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص325 .
(6) - نوال علي عبد العزيز: نفس المصدر، ص90 .
(7) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص328 .

الأعيان والحكام[1]، الذين عاملوهم أحسن معاملة وتركوا لهم حرية التنقل بين البوادي والمدن، فكان يهود مدينة أفزة أو فستالة يحملون الأقمصة والثياب التي تسمى فستالة إلى فاس ومراكش[2]. وكان لهم بكل بلد من بلاد المغرب الأقصى نشاط وذكر وموعد منتظم يصلون فيه إليها، مع مايجلبونه من بضائع وعروض. وبذلك أثروا ثراءاً كبيراً وتحكموا في الأسواق، وأصبحوا وحدهم هم المملوين للبلاد في كل ماتحتاج إليه[3]. ومن ثم استعان بهم الملوك وكبار القوم ووكلوا إليهم تدبير مواردهم[4].

وكان النكيد - الزعيم الديني لليهود - إلى جانب مهنته يقوم بأعمال تجارية، وإن توقف عنها كانت الطائفة اليهودية تلتزم بتعويض خسائره المادية التي يتعرض لها أثناء تأدية مهامه الدينية[5]. وكان الأحبار المعلمون في البيعة لاتسمح لهم المكافأة التي كانوا يتلقونها أن يعيشوا حياة لائقة، فكانوا مضطرين على الدوام أن يقوموا بأشغال هامشية أو ثانوية، كتجارة الورق أو الحبر الذي كانوا يقومون بصناعته[6].

كما لعب اليهود دور الوسيط أو السمسرة[7]، بين التاجر الأجنبي الوافد على البلاد وأهل البلاد من المغاربة. وهذا راجع إلى معرفتهم بلغات الشرق والغرب[8]. ونظراً لانتشارهم في الجنوب، وظهور أهمية الجنوب لما به من مواد خام، لعب اليهود الدور الأهم في تجارته، فكانوا ينتقلون بين البوادي والمدن

---

(1) - المرجع السابق، ص325 .
(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص119 .
(3) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص6 ، جدع جلادي: اسرائيل نحو الانفجار من الداخل دار البيادر القاهرة 1988 ، ص26 .
(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص156 . صالح محمد: نفس المرجع، ص267.
(5) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص126 .
(6) - المرجع السابق، ص63 .
(7) - الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص157 ، المغيلي: مصباح الأرواح، ص42 .
(8) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص42 ، الترمانيني: نفس المرجع، ص87 .

الداخلية[1]. حيث كان الأوروبي لايخاطر بالتوغل في الداخل خاصة في بلاد السودان الغربي. وكان منهم من كان يكتفي بالبقاء في المراكز الساحلية حتى يسلم له الرقيق عن طريق الوسطاء، ثم يتم نقل هذا الرقيق إلى العالم الجديد[2] أو إلى أوروبا. وقد لعب اليهود دوراً كبيراً في هذه التجارة منذ زمن طويل.

كذلك كان اليهود إلى جانب الأعراب وبعض القبائل بمثابة النافذة المفتوحة لأوروبا على المغرب، وكانوا الوسيط وأحد الأطراف الأساسية العاملة في التجارة المغربية[3]. وقد يتخذ ـ الوسيط ـ وهو السمسار أو الدلال حانوتاً. ففي فاس القديمة زقاق للدلالين، وعددهم سبعون دلالاً كانوا يأخذون فلساً واحداً تقريباً عن كل درهم من مبيعاتهم[4]. وكان هؤلاء الدلالون يحملون السلعة من دكان إلى دكان، ولايسلمونها إلا للتاجر الذي أعطى فيها أعلى ثمن[5]. وكان التجار الغرباء ينزلون على زقاق الدلالين بفاس، وعن طريقهم يصرفون تجارتهم. وكان الدلالون اليهود يتواطئون إما على المشتري أو على البائع[6]، مما جعل الفقيه المغيلي يشن حرباً شعواء على هؤلاء اليهود.

وقد ظهر في السوق الجلّاسون[7] المتواطئون مع الدلالين اليهود، من خلال حوانيتهم على البائعين خاصة الغرباء. فكانوا يقومون بأعمال مريبة[8]، إذ كان الجلاسون لبيع القرق ـ وهو نوع من الأحذية ـ أسوأ التجار سلوكاً[9]. وكان الدلال والتاجر اليهودي كثير الإلحاف على المشتري، فلا يستطيع أن

---

(1) ـ الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص26 .
(2) ـ الترمانيني: نفس المرجع، ص272 .
(3) ـ عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص283 .
(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص149 .
(5) ـ المصدر السابق، جـ2 ص149 .
(6) ـ مجهول: قصة المهاجرين، مخطوط ورقة 3 .
(7) ـ الجلاسون: هم أصحاب محلات داخل السوق، يتم فيها البيع بالمزاد لحساب التجار النصارى أصحاب السلع المباعة، انظر. الونشريسي: نفس المصدر، جـ12 ص63 .
(8) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ12 ص63 .
(9) ـ الملقي: نفس المصدر، ص73 ـ 78 ، القادري: الإسلام السري، ص181 .

يتخلص منه إلا بعد عناء كبير، عكس التاجر المسلم الذي كان ينتظر أمام دكانه متزناً صابراً، ولايزعج أحداً من المارة[1].

وكانت عملية البيع والشراء في الأسواق تتم بكل حرية وتتم بطريق المزاد العلني. ففي مدينة فاس غالباً ماكان يبدأ البيع بالمزاد ظهراً وينتهي عصراً[2]، بخلاف أسواق أخرى كان البيع والشراء يتم فيها طوال النهار.

وكان لليهود نشاط كبير في هذه الأسواق. ودراسة هذا النشاط وفي فترة تاريخية معينة يعتبر مدخلاً حقيقياً لدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في العصر المريني والوطاسي. وهذا العصر لايزال في حاجة إلى مزيد من الدراسات التاريخية في شتى مناحي المجتمع المغربي، خاصة اليهود الذين مارسوا حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال هذا المجتمع، ولم يكن من السهل فصلهم عن حركة السوق المغربي.

ويتميز هذا العصر بوفرة الحركة وكثرة الأحداث، نظراً لأنه يمثل المرحلة الأخيرة قبل تدهور الحضارة الإسلامية في المغرب الأقصى. والذي يهمنا من هذه الدراسة محاولة رصد حركة اليهود والتعرف على بعض أوجه النشاط الاقتصادي لهم من خلال السوق.

وفي هذا الصدد فإن نظرة على الأسواق الداخلية بالمغرب، تؤكد أن الشطر الأول من عصر دولة بني مرين كانت فيه ثروة البلاد طائلة بفضل نشاطها التجاري المزدهر واستتباب الأمن، فضلاً عن رسوخ أسس الدولة ونظامها. ولكن في الشطر الثاني من عمر هذه الدولة، بدأ الانحلال السياسي فضعفت سلطة السلاطين، وقصرت مدة حكمهم، كما تهددتها الأخطار الخارجية، وكثرت الحروب الداخلية، وانهار النقد، وانتشرت الأوبئة، فانعكس ذلك على الأسواق الداخلية في البلاد.

(1) ـ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة 1964 ، ص365 ، 366 .

(2) ـ الحسن الوزان: نفس المرجع، ص243 ، روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص155 .

وقَدَّم عدة مؤرخين وجغرافيين ورحالة كتابات واضحة عن أسواق فاس ومراكش وباقي المدن المغربية. ويمتاز كل من الحسن الوزان ومارمول كربخال بأنهما قدما تقريراً وافياً عن تطور الأسواق من حيث الرواج والكساد فأحصيا مابها من دكاكين. وعلى سبيل المثال فقد أشارا إلى أنه في وسط مدينة فاس وجد مكان مسوَّر يدعى القيسارية، حيث دكاكين التجار وجميع ثروات فاس. ولهذه القيسارية اثنا عشر باباً كبيراً مغلقاً بسلاسل غليظة من الحديد تستعمل كحواجز لمنع دخول المارة إليها وهم ركوب، وتضم خمسة عشر زقاقاً للدكاكين[1]، هذا خلاف الأسواق التي تكونت خارج القيسارية نظراً لكثرة العرض والطلب، إلى جانب الأسواق المنتشرة بالمدن والقرى المغربية الأخرى.

ويضيق بنا الحال عن محاولة تتبع كل الأسواق. من هنا فإننا سوف نكتفي بعرض الأسواق التي يكثر تعامل اليهود فيها سواء بالبيع أو الشراء. ولنبدأ بأسواق المواد الغذائية. وهذه الأسواق كانت منتشرة في جميع المدن والقرى التي توجد بها كنائس أو بيع أو أحياء يهودية، حيث تقام بجوار المعابد أو داخل الحي[2] أو قريبة من أضرحة الأولياء اليهود. إلى جانب دخول اليهود أسواق المدن لبيع منتجاتهم لأنهم اشتهروا بصناعة الخبز وبيع الزيت والخل وغيرها من المائعات كما سبق القول[3]. وكان بقيسارية فاس التي يرجع تأسيسها إلى بداية إنشاء المدينة أربعون دكاناً يباع فيها اللحم[4]، إلى جانب بيع اللبن[5]، وأصناف أخرى.

أما الأسواق التي تخصصت في بيع الملابس والمنسوجات ولوازمها، فقد

---

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص245 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص148 .
(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص15 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص156.
(3) ـ لسان الدين بن الخطيب: مثل الطريقة، ص95 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص68 . مجهول: قصة المهاجرين المسلمين بالبلدين، مخ ورقة 2 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص156 .
(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص125 .
(5) ـ مجهول: قصة المهاجرين المسمون بالبلديين، مخ ورقة 4 .

كانت منتشرة عبر مدن وقرى المغرب الأقصى بأكملها. فنجد في (تيدسي) حيًّا كبيراً لليهود، وسوقاً يقصده أعراب هذه المنطقة بالماشية والصوف والجلود والسمن، فيشترون بدل ذلك الجوخ والقماش والأحذية[1]. وفي فاس كان يقام المزاد ويبدأ البيع ظهراً وينتهي عصراً[2]، وكان لليهود سوق للخياطين[3].

ولكثرة تواجد اليهود بالأسواق والخوف على المسلمين من غشهم كثرت الفتاوى التي تحذر من غشهم في سلع كثيرة، منها بيع الأقمشة[4]. حيث كثر اليهود المشتغلين بصناعة الأقمشة وبشراء الصوف[5]، وصبغه وإعادة بيعه كما في (تدنست). التي كان بها عدد من اليهود لايبيعون سوى أقمشة خشنة مصنوعة في البلاد. أو يتجرون في أقمشة مستوردة من أسفي حيث يأتي بها النصارى الأوربيون[6]. وبعد سقوط الأندلس كثر التوافد اليهودي على المغرب الأقصى، ولذلك كثرت متاجرهم في عهد الوطاسيين وامتدت في شارع طويل[7].

وكان سوق الشماعين من أهم الأسواق المنتشرة في الجنوب المغربي، الذي ازدادت أهميته مع الاستعمار الأوربي، نظراً لأنه كان مهملاً قبل ذلك[8]. ولكن بعد مجيء هذا الاستعمار ظهرت أهميته وزاد الطلب عليه، فأصبح الشمع من أهم المواد التي يتم التبادل بها في الأسواق. لدرجة أن اليهود أقاموا بناية لعصر شمع العسل[9]. وكان اليهود وسطاء للأوربيين في الحصول على هذه السلعة، فكانوا يجمعون الشمع ويبيعونه لتجار جنوة والبرتغاليين[10].

(1) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص38 .
(2) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص243 .
(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص155 .
(4) ـ الهادي روجيه: نفس المرجع، جـ2 ص373 .
(5) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص120 .
(6) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص110 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ص9 ، 10 .
(7) ـ ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ2 ص191 .
(8) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص107 .
(9) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص157 ، ١٠
(10) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص157 .

وإلى جانب ذلك وجد في الأسواق دكاكين لبيع الأحذية وأغطية السروج المطرزة[1]. وأغلب الصناعات القائمة على الصباغة والدباغة كانت من نصيب اليهود. فكانوا يتاجرون فيما يصنعونه منها. إلى جانب سوق الصاغة التي احتكرها اليهود أيضاً. ففي فاس الجديدة، كانت توجد دكاكينهم، وكانوا يذهبون منها إلى فاس القديمة لبيع مصنوعاتهم في ساحة قريبة من سوق العطارين[2].

وهذه الأسواق تختلف حسب مدة كل سوق. فنجد أسواقاً تقام كل عام مثل سوق مدينة (أديكيس) الذي يدوم خمسة عشر يوماً كل عام، ويقصده سكان الجبال المجاورة وضواحي المدينة[3]. وفي إقليم جزولة يقام سوق يدوم شهرين كل عام، وأثناء هذه المدة كلها كانوا يطعمون الغرباء الوافدين على هذا السوق مجاناً، ويوزع التجار على دكاكين مختلفة فيها حسب اختلاف البضائع. وكانت هذه الدكاكين منظمة في الأزقة والدروب حسب ترتيب معين، ويأتي إلى هذا السوق عشرة آلاف تاجر أجنبي[4]. كما يوجد في هذا الإقليم سوق أسبوعي للتجارة يدوم ثلاثة أيام في الأسبوع[5]. وفي هذا الإقليم تكثر الحروب بين القبائل، وهنا يظهر دور اليهودي، السواقة والدوازة[6]، لبيع ما يتطلبه المشتري قبل انعقاد السوق. خاصة وأن هذا الإقليم يقع بجوار إقليم حاحا الذي يكثر فيه اليهود.

---

(1) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص106 ، مجهول: قصة المهاجرين، مخطوط ورقة 2 .

(2) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص284 .

(3) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص16 .

(4) ـ المصدر السابق، جـ2 ص69 .

(5) ـ المصدر السابق، جـ2 ص69 .

(6) ـ السواقة أو الدوازة: هم الباعة المتجولون الذين يغادرون قراهم غداة عيد الفصح ويعودون عشية رأس السنة ثم يعودون للتنقل بعد عيد المظلات ليعودوا عشية عيد الفصح. انظر. حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص25 .

وإلى جانب الأسواق السنوية والأسبوعية وجدت الأسواق اليومية الحافلة بكل أنواع البضائع، مثل أسواق قيسارية فاس، حيث يقام المزاد كل يوم للأقمشة والصوف الخام وجميع المواد الخام والسلع اللازمة للاستهلاك. وقد كانت الأسواق تقام في أماكن يراعى فيها أن يكون السوق متعدد المنافذ والمسالك من أجل الدخول إليها والخروج منها(1).

ويشير الونشريسي إلى أن بعض الباعة من المسلمين واليهود، كانوا يقومون ببيع السلع للنساء في الدور وليس في الأسواق. ويضيف بأن النساء كن يخرجن إليهم للشراء سافرات الوجه عندما يشتد الحر في فصل الصيف(2). وكان البيع في الأسواق يتم عن طريق الدلالين والجلابين. وجرت العادة أن تكون أسواق المواد السائلة مثل اللبن والزيت والخل أمام المدينة أو أسوارها أو أمام ضريح أحد الصلحاء(3).

وأهم بضاعة لعب اليهود دوراً في رواجها تمثلت في تجارة الرقيق، حيث كانت توجد شبكة من اليهود تنتشر في إسبانيا والمغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي، مروراً بمصر وبلاد الشام حتى المشرق الأقصى وأماكن أخرى، مستغلين معرفتهم بعدة لغات(4). إلى جانب اعتمادهم على الطوائف اليهودية المتمركزة في عدة مدن وأماكن مختلفة في العالم. وكان اليهود يقومون بخصي الذكور من الرقيق على مر العصور الإسلامية(5).

وكان المصدر الذي تأتي منه هذه التجارة إلى المغرب الأقصى بلاد السودان الغربي، وذلك بفضل تنظيم القوافل التجارية عبر الصحراء للمتاجرة في الذهب والرقيق. وكان هذا الرقيق يصدر إلى نول لمطة وإلى سجلماسة ثم

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص243 ، 244 ، روجيه لوتورنو: نفس المرجع ص155 .
(2) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ5 ص197 .
(3) ـ عبد القادر زمامة: أزمة التجارة في الأندلس، مجلة المناهل عدد 32 المغرب 1985 ، ص333 ، 334 .
(4) ـ ابن خردزاية: نفس المصدر، ص153 .
(5) ـ الترمانيني: نفس المرجع، ص99 .

يتم بيعه نقداً في سوق مراكش وفاس[1].

وكانت أسواق المدن المغربية تقام في مواعيد ثابتة، ويقوم المحتسب بالإشراف عليها لمنع غش السلع، والمضاربة في الأسعار، والاحتكار، وغش الموازين والمكاييل[2]. وكان للمحتسب غلمان وأعوان ملتزمون بالأمانة والعفة في عملهم[3]. وقد اهتم المرينيون بهذه الوظيفة، فجعلوا صاحبها أحد عناصر الإدارة الهامة في كل مدينة.

وكان اليهود يتحكمون في النشاط التجاري داخل الأسواق أثناء ضعف الدولة، سواء كانت مرينية أو وطاسية، وحسب قوة وشكيمة محتسب السوق[4]. ففي حالة ضعف الدولة والمحتسب كانوا يسيطرون على الأسواق خاصة القيسارية بفاس. وعند استعادة الدولة لقوتها كانوا يطردون منها، أو يلتزمون الأدب والعمل في أمانة[5].

(4) التجارة الخارجية ودور يهود المغرب الأقصى فيها:

وصلت التجارة الخارجية ذروتها في بداية العصر الماريني، نتيجة الدور اليهودي والمسيحي إلى جانب المغربي، ولمجيء دولة ذات اتجاهات سياسية وليست دينية. مما أعطى لليهود حرية ممارسة نشاطهم التجاري خاصه الخارجي، ولذلك ازدهر دورهم التجاري، وشجعت الدولة على ذلك بعقد عدة اتفاقيات دولية مع الجمهوريات التجارية، والممالك المسيحية في حوض البحر المتوسط.

---

(1) ـ سيدي عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في افريقيا، كتاب دعوة الحق عدد 32 مكة 1985 ، ص27 . موريس لومبار: نفس المرجع، ص299 ، الترمانيني: نفس المرجع، ص88 .

(2) ـ المالقي: نفس المصدر، ص18 ، عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص294 ، فتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية دار المعارف مصر 1981 ، ص118 .

(3) ـ الشيرازي: نفس المصدر، ص10 ، ابن الأخوة: نفس المصدر، ص128 .

(4) ـ ليفي بروفسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص39 .

(5) ـ مجهول: قصة المهاجرين، ورقة 4 .

فعقد أبو الحسن المريني في عام (739هـ/ 1339م) معاهدة سياسية تجارية في تلمسان مع وفد ميورقة. وقد سمح هذا الاتفاق لرعايا ميورقة بالتجارة في المغرب، ولكن منع عليهم أن يصدروا منه القمح والسلاح والخيل والجلود المملحة والمدبوغة(1). ولكن تطور الوضع بعد ذلك، ففي عهد السلطان أبي عنان (749 - 759هـ/ 1348 - 1357م)، تم عقد عدة معاهدات مع البرتغال وقشتالة وأرغون وميورقة وصقلية وجنوة(2) والبندقية(3). وكان لهذه الاتفاقيات أكبر الأثر على الرواج التجاري، حيث كان يهود الأقطار الإسلامية ومنها المغرب الأقصى يسافرون على سفن تخص مواطني هذه البلاد غير الإسلامية(4)، نظراً لما كانت تقوم به هذه البلاد من حماية طرق التجارة البحرية بينها وبين المسلمين حسب الاتفاقيات التي أشرنا إليها. وانتهز يهود المغرب الأقصى هذه الفرصة ولعبوا دوراً كبيراً في التجارة الخارجية للمغرب الأقصى، وذلك من خلال عقد صلات قوية بينهم وبين يهود ومواطني هذه البلاد الأجنبية، جعلتهم يكوّنون فيما بينهم مايشبه أول نظام ائتماني عالمي، يسهل فيه عملية انتقال التاجر من بلد إلى آخر، وتسهل عمليات التبادل التجاري وتنظمها(5).

وساعد على ذلك تحدث اليهود بعدة لغات مثل العبرية والفارسية والرومية والآرامية والإفرنجية والصقلية والبديشية(6)، إلى جانب اللغة العربية. مما أدى إلى رواج التجارة وإلى ازدهار الموانئ المغربية المطلة على البحر المتوسط مثل ميناء باديس، الذي أصبح من أهم الموانئ التجارية لتصدير السلع القادمة من فاس.

---

(1) ـ محمد المنوني: نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي عدد 3 ، 4 ، ص251 .
(2) ـ المرجع السابق، ص251 .
(3) ـ شارل دبل: البندقية جمهورية ارستقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، توفيق اسكندر، دار المعارف مصر 1947 ، ص66 .
(4) ـ جواتياين: نفس المرجع، ص213 .
(5) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية، جـ1 ص18 .
(6) ـ ابن خردزابة: نفس المصدر، ص153 .

ففي القرن الرابع عشر الميلادي كانت السفن التجارية تأتي كل سنتين من مدينة البندقية إلى ميناء باديس، لإنزال مختلف أصناف البضائع وشحن بضائع أخرى[1].

كذلك اشتهر ميناء سبتة في ميدان التجارة العالمي، فكان يقصده تجار المدن الإيطالية وبخاصة تجار مدينة جنوة حيث كانت لهم سبعة فنادق فيها[2]. كما كانت مدينة سبتة بداية طريق القوافل المؤدية إلى إمبراطورية غانة والسودان الغربي[3]. ووصلت سبتة أوج مجدها كميناء أثناء حكم عائلة العزفي من قبل السلاطين المرينيين، فحظيت بقوة سياسية واقتصادية حقيقية. حتى أن صاحب أرغون المسمى خايمي الأول - جايمش - (610 - 675هـ/ 1213 - 1276م) عقد معاهدة سلم مع صاحب سبتة في (فبراير 1269م/ 668هـ)، فكان هذا أول اتفاق بين صاحب أرغون ومدينة مغربية. وفي عام 694هـ/ 1294م عينت أرغون سفيراً لها لدى أبي حاتم العزفي. ونظراً لأهمية هذا الميناء على البحر المتوسط وسيطرة عائلة العزفي عليه، اضطر السلطان أبو سعيد المريني (تولى عام 719 - 732هـ/ 1310 - 1331م) إلى تغيير سياسة الدولة تجاه هذه الأسرة العزفية، وهي إقصاؤها عن هذا الميناء وتوزيع السلطة فيه على أكثر من فرد[4].

وهناك مواني أخرى لعبت نفس دور ميناء سبتة مثل ميناء مليلة. فكان في

---

(1) - ابن سعيد: نفس المصدر، ص140 ، الحميري: نفس المصدر، ص75 ، راجع المؤتمر الثالث للآثار: بحث أحمد المكانس، ص209 .

(2) - السبتي: اختصار الأخبار عما بثغر سبتة من سنى الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية. الرباط 1969 ، ص45 .

(3) - ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص139 ، الادريسي: نفس المصدر، جـ1 ص290 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص216 ، 217 ، أمين توفيق الطيبي: النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية القرن 8هـ/ 14 ميلادي، مجلة البحوث التاريخية عدد 2 يوليو 1982 السنة 8 ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص292 .

(4) - محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي الأندلسي في العصر المريني، ص105 .

كل هذه الموانى فنادق خاصة بالدول التي تتعامل معها، وذلك بتخزين تجارتها إلى أن يتم تصريفها داخل البلاد المغربية عن طريق التجار الوسطاء وهم غالباً يهود.

وكان لكل جماعة من الجماعات اليهودية المتمركزة في الموانى المغربية رسول خاص بها ينبهها بوصول القوافل والسفن القادمة من البلاد الأجنبية، وإلى أهمية شحناتها ونوع السلع التي تنقلها، وترتبط بعلاقات مع الضامنين الذين يقومون بإيواء التجار القادمين على متن هذه السفن. وكان لكل جماعة يهودية أيضاً قاض خاص يحكم في معاملاتها التجارية، ومراقب لهذه المعاملات والأسواق(1).

وكان التجار اليهود مغاربة وغير مغاربة يتعاملون فيما بينهم متخذين من الوكالة نظاماً للتعامل، حيث كان الوكيل يوزع بضائعهم على التجار الصغار لبيعها لحسابهم(2). وقد كان للتجار اليهود دور أقوى من التجار المسيحيين في المجالات الاقتصادية، لكثرة حركتهم وتغلغلهم في المجتمعات الإسلامية(3). ولذلك تغلغلوا في المدن المغربية حتى وصلوا إلى المدن السودانية، فكان بها مغاربة مغتربين، ويهود منهمكون في تجارة الصحراء(4)، مما جعل تجارة المرور أهم أنشطة التجارة في الدولة المرينية، التي جمعت مبالغ كثيرة من الضرائب والرسوم الجمركية التي كانت تفرضها على هذا النوع من التجارة.

وعندما سيطر الوزراء على السلطة الفعلية في الدولة المرينية، تفككت أوصال التجارة الخارجية في دائرتها الواسعة، إذ باتت خاضعة لرحمة الزعماء الهلاليين وآخرين، مما جعلها تتحول نحو موانى المحيط الأطلنطي ونحو الصحراء

---

(1) ـ موريس لومبار: نفس المرجع، ص313 .

(2) ـ عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص304 .

(3) ـ عاشور بوشامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (626 ـ 981هـ / 1228 ـ 1573م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة 1991 هامش ص350 .

(4) ـ الشيخ الأمين: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغى، دار المجمع العلمي جدة 1979 ، ص165 .

تجاه الشرق[1]. وتعرض ميناء سبتة لغزوات البرتغاليين، ونزل يهود أوروبا في ذمة النصارى بمرسى هذا الثغر لكونه قد تولاه النصارى[2] بعد أن احتله البرتغاليون في عام 818هـ/1415م. ولم يستمر طويلاً استقراراً اليهود بسبتة أو تطوان، حيث تعرضوا للتنكيل والإهانة من الغزاة الإسبانيين والبرتغاليين[3].

وفي هذا الفترة المضطربة سياسياً ضعفت مواني الشمال، ونشطت المواني المطلة على المحيط الأطلسي مثل سلا وأنفي وأسفي وازمور وأغادير وماسة ونول لمطة، حيث أصبح ميناء سلا بدلاً من ميناء باديس المطل على البحر المتوسط، مركزاً لتصدير تجارة إقليم فاس. ورست في هذا الميناء سفن من مختلف الجنسيات[4]. وبدأ تبر السودان ينقطع وصوله بالكميات الكبيرة السابقة منذ العقود الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي إلى مدن الشمال الأفريقي. ونتج عن ذلك أن الرخاء المحلي في المواني الغربية المغربية السابق ذكرها انهار[5]، حيث سجل مجيء ثلاثين سفينة خلال شهر وستة عشر يوماً، ووفد على هذه المنطقة الجنوبية سفن إنجليزية وهولندية[6]. وبدأ اليهود يتجهون حيث تتجه التجارة، فتمركز البعض منهم في هذه المواني للقيام بدور الوسيط بين مناطق الإنتاج والتاجر الأوربي، واتجه البعض الآخر منهم للعمل في الربا والمضاربة. ولذلك وثق يهود فاس في عهد بني وطاس صلاتهم بيهود الواحات السوسية حتى بلاد السودان، واحتكروا أغلب تجارة البلاد. بينما وقف تجار الجنوب المسلمين ضدهم[7].

---

(1) - العروي: نفس المرجع، ص238 . .Larui. op. cit.. p238.

(2) - الجوطي: تأليف في أنساب الشرفاء الذين لهم شهرة بفاس، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 1442 تاريخ) ورقة 11 .

(3) - ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ2 ص192 .

(4) - الحسن الوزان نفس المصدر، ص123 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ1 ص489 ، جـ2 ص135 .

(5) - فرنان برودل: من ذهب السودان إلى فضة أمريكا، بحث ضمن أبحاث في التاريخ الاقتصادي، الجمعة المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة 1961 ، ص84 ، 85 .

(6) - محمد رزوق: نفس المرجع، ص224 .

(7) - ابراهيم حركات، أوضاع المغرب قبل قيام السعديين، ص88 .

كما استخدم اليهود سلاح الرشاوي والهدايا المحرمة. يؤكد ذلك أن ظاهرة الرشوة شاعت بينهم، وأيضاً بين مجموعة من أمناء الأسواق[1]. ولذلك سيطر اليهود على أهم المدن وعلى مصادر التجارة والمال، وتوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين، فأصبحوا صنائع لهم[2]. ولذلك عملوا على السيطرة على تجارة السودان الغربي[3]، فوصلت أقمشة أوربا إلى تمبكت عن طريقهم[4]، وكرد فعل لهذه الهيمنة اليهودية التجارية، إلى جانب آراء الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[5] المحرضة على التصدي لهم، حرم عليهم حاكم تمبكت[6]، وهو العدو اللدود لليهود، التجارة مع هذه المدينة[7].

وهؤلاء اليهود المسيطرون على بعض المدن المغربية تجارياً، كان منهم الرؤساء الدينيون لليهود. الذين كانوا يمارسون التجارة إلى جانب مهامهم

---

(1) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ8 ص351 ، جـ10 ص120 ـ 122 .

(2) ـ عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1982 ، ص153 .

(3) ـ d oliver and Anthany Atnore. The African Midle Ages 1400 - 1800 - Paress 1981. P. 66.

(4) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص540 .

(5) ـ كان محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إماماً وعلامة في الفقه والتفسير والحديث والمنطق وغيرها من العلوم. بدأت دراسته الأولى في تلمسان وغيرها من مدن بلاد المغرب ثم غادرها إلى واحة توات بالصحراء الكبرى ووقعت له حادثة مع يهودها في أواخر القرن التاسع الهجري مما جعله يكتب رسالة «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» إلى علماء فاس وغيرها مما اثار لغطاً كثيراً بين معارض وموافق واشتد في مطاردة اليهود إلى أن قتل اليهود ولده عبد الجبار فعاد المغيلي حزيناً إلى توات وتوفي بها في عام 909هـ/ 1503م. انظر محمد عبد الكريم المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح.

(6) ـ كانت تمبكت في تلك الفترة خاضعة لحكم اسكيا الحاج محمد سلطان دولة صنغي الإسلامية التي كانت تحكم غرب افريقيا، وكانت تمبكت الولاية الثانية بعد العاصمة في هذه السلطنة وقد تأثر هذا السلطان بآراء المغيلي ضد اليهود فكان عدواً لهم انظر وداد نصر محمد السيد الطوخي: مدينة تمبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة 1986 ، ص52 .

(7) ـ المصدر السابق، ص541 .

الدينية، مثل حاخام أسفي إبراهام بن زاميرا وحاخام ازمور. وكان كبار تجار اليهود بهاتين المدينتين من أصل برتغالي أو إسباني[1]، وكذلك أسرة الديب بأزمور. وكان لهؤلاء اليهود أصدقاء وأقارب بفاس ومراكش ومناطق أخرى، وكانوا يخبرون البرتغاليين والإسبانيين باستعدادات كل من الوطاسيين والسعديين لمواجهتهم[2]. كما كان هؤلاء التجار الكبار المحتكرون لبعض المواد الخام على علاقة بالسلطة الحاكمة[3]، ولهم وسائلهم الخاصة في الحصول على المعلومات ذات الطابع الاقتصادي، ولهم مراسلون في الدول الأخرى. وكانوا يحتكرون تصدير المواد المحلية مثل الحبوب والفراء والشمع[4]، وكذلك السكر والتمر والصمغ والعسل وملح البارود والنحاس والجلود الخام والمدبوغة والقطن[5]، ويجمعون هذه المواد عن طريق أصحاب الدكاكين في الملاح أو السوق، ومن المتجولين ببضائعهم في البوادي. كذلك كانوا يجمعون المنتجات المحلية لحساب موكليهم أو شركائهم في المدن، وتعرف هذه المهنة باسم (تادوداست). وكان يطلق على الذين يمارسها داوس، أي بائع متجول[6]. وكان التجار المتجولون في الأسواق لجمع السلع يعرفون بالسواقة أو الدوازة.

وكان يهود بسجلماسة مشهورون بتجارتهم مع بلدان ساحل النيجر ووسط أفريقيا[7]، وعن طريق البرتغاليين والإسبان تمركز البعض منهم في عدة قواعد مثل قاعدة ساوتومي وفرناندوبو[8]، ولذلك بدأ اليهود والبرتغاليون في

(1) ـ بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص325 .
(2) ـ المرجع السابق، ص328 .
(3) ـ جون ماتربوري: الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة ماجد نعمة، دار الوحدة بيروت 1983 ص23 .
(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص25 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص9 .
(5) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص147 ، عبد الكريم كريم: نفس المرجع، ص9.
(6) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص149 .
(7) ـ المرجع السابق: ص25 ، ص11 .
(8) ـ فيجي: تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف 1982 ، ص129 .

عام 1530م بنقل عبيد أفريقيا عبر الأطلنطي(1). وحرمٌ المغرب الأقصى من عبور هذه التجارة بأرضه وبالتالي حُرِمَ مما كان يدفع عليها من رسوم كانت تدعم اقتصاد المغرب. ولذلك شهد المغرب الأقصى انهياراً في التجارة الخارجية في نهاية الدولة المرينية وبداية الدولة الوطاسية، حيث تناقصت موارد الرسوم والمكوس التي كانت تجبي من الجمارك بصفة عامة.

وتعرف رسوم الجمارك بالمكس(2)، وكان يهود المغرب الأقصى عندما يجلبون بضائع من الخارج يدفعون رسوم الجمارك المقررة عليهم بنسبة 5٪، أما الغرباء وغير المسلمين القادمين من خارج البلاد، فكانوا يدفعون رسوماً على بضائعهم التي يدخلون بها للمغرب الأقصى نقداً بنسبة 10٪. وللهروب من هذه الرسوم كان هؤلاء الغرباء يحاولون مشاركة اليهود المغاربة في استيراد بضائعهم(3). وكان فقهاء المسلمين لاينظرون إلى هذه الرسوم بعين الرضا، لأنها رسوم غير شرعية(4) نظراً لعدم وجود سند شرعي لها، ولكنها تواجدت من عصور سابقة(5). ولكن هذه الرسوم أمدَّت الدولة المرينية بكثير من الأموال. فكان إيراد ميناء سبتة في اليوم الواحد يتراوح بين خمسمائة دينار إلى سبعمائة،

(1) - المرجع السابق: ص134 .

(2) - المكس هو العشور، واصل المكس في اللغة الحباية، وذكر كلود كاهن بأن كلمة مكس وهي كلمة من أصل آرامي استعملها اليهود بمعنى مايدفع من الضرائب على السلع، انظر الندوة الدولية لتاريخ القاهرة: تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، دار الكتب القاهرة 1971 ، جـ 2 ص121 ، ابن منظور: نفس المصدر، جـ 6 ص4248 ، المقريزي: الخطط، جـ2 ص121 ، ابن سلام: نفس المصدر، ص471 ، 472 ، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، جـ1 ص126 .

(3) - عاشور بوشامة: نفس المرجع، ص339 ، 340 ، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، جـ1 ص124 .

(4) - أبي يوسف: نفس المصدر، ص145 ، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، جـ1 ص124 ، عطية مشرفة: نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة 1948 ، ص220 ، 221 .

(5) - المقريزي: الخطط، جـ2 ص121 ، نعيم زكي: طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973 ، ص354 .

وفي بعض الأحيان كان يصل إلى ألفي دينار[1].

وكان لرئيس إدارة الثغر سلطات قانونية وتنفيذية يساعده في ذلك أعوان مختصون من أجهزة الشرطة والقضاء وذلك لمواجهة الإشكالات التي تنشب مع التجار، أو التي تطرأ بين التجار سواء أكان الطرفان من المسلمين أو من الرعايا اليهود مع المسلمين، أو بين مسلمين وأطراف أخرى مسيحية. أما المشكلات التي تطرأ بين التجار المسيحيين فقد كان قناصلهم مكلفين بالنظر فيها[2]. وما إن تصل السفينة إلى الثغر حتى يستقبلها رجال من موظفي الثغر، فيصعدون عليها ويثبتون جنسيتها عن طريق القنصل الذي تتبعه، أو عن طريق مواطنيهم المقيمين بالثغر. كما كانوا يعرفون عدد ركابها وأسمائهم وأنواع السلع التي معهم[3]. وبعد ذلك يتم إنزال حمولتها في الفنادق الخاصة بهم في انتظار تصريفها. ويبدأ التعامل بين التجار الوافدين وتجار البلد، وغالباً مايكونون من اليهود المغاربة مثل يهود مدينة تفزة الذين كان التجار يقصدونهم بالخصوص[4]. وفي أماكن أخرى من البلاد نجد الأوربيين يدخلون السوق بتجارتهم لبيعها بأنفسهم[5].

أما رجال القوافل البرية القادمة من البلاد المجاورة فكانوا يدفعون الرسوم قبل دخول الأسواق، وهذه الرسوم أسهل الضرائب من ناحية الجباية، لأن المدن محاطة بأسوار عالية ولاتدخل هذه القوافل إلا من أبوابها حيث يجبى منها الضرائب المفروضة[6].

---

(1) ـ المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا (وآخرون). لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1939 الجزء الأول ص42 ـ 44 .

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص143 ، عاشور بوشامة: نفس المرجع، ص341 .

(3) ـ ابراهيم طرفان: مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1960 ، ص285 .

(4) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص117 .

(5) ـ المصدر السابق، جـ2 ص55 .

(6) ـ المصدر السابق، جـ3 ص145 ، هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار المصرية للكتاب ليبيا وتونس 1980 ، ص92 .

وحفاظاً على دخل الدولة من الضرائب سواء كانت تجبي من القوافل أو من التجارة المحملة على سفن، أمنت الثغور حتى لأُتهرَّب البضائع إلى داخل البلاد. ولذلك نقل الجمرك من سلا إلى فاس الجديدة لمزيد من الأمن، حيث كانت سلا مهددة بالغزو البرتغالي[1]، أما المناطق التي يضعف فيها نفوذ الدولة فكانت الرسوم الجمركية يستخلصها الأعراب[2]، أو أكابر السكان لأنفسهم[3].

(5) ـ طرق ووسائل تعامل اليهود في التجارة بالمدن والموانى وأثرها في انهيار اقتصاد المغرب الأقصى:

تشرف عدة جهات في الدولة الإسلامية على تنظيم التعامل الاقتصادي في الموانى والمدن وفق الشريعة الإسلامية[4]. والمقصود بالتعامل هنا هو طرق البيع والشراء بين المسلمين وأهل الذمة سواءِ كانوا يهودا أم نصارى. وهذه الطرق عديدة وهي التي أقرتها كتب الفقه الإسلامي. ولكن وجد عدة طرق وأساليب تعامل بها اليهود مع المسلمين ونهت عنها هذه الكتب منها:

آ ـ بيع النجش:

وهو الزيادة في البيع، بأن يزيد شخص في قيمة السلعة دون أن يكون له حاجة إليها، ولكنه يريد أن يوقع غيره في شرائها[5]. وهذا عمل محرم نهى عنه

(1) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، ص150 .

(2) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ3 ص153 .

(3) ـ المصدر السابق، جـ2 ص38 .

(4) ـ الجهات هي القضاء وصاحب المظالم وصاحب المدينة والشرطة وصاحب السوق (المحتسب). انظر. ابن الأخوة: نفس المصدر، ص25 .

(5) ـ مجهول: قصة المهاجرين المسمون بالبلدين، مخطوط ورقة 3 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. ولكن السماسرة اليهود كانوا[2] يقومون بالنجش لحصولهم على أجر مقابل هذه النوع من البيع[3].

ب ـ بيع الجزاف:

وهو الذي لايعلم قدره على التفصيل أو وزنه أو كيله أو عدده وهو جائز، ولكن إن علم قدره ووزنه وعدده فلا يجوز البيع جزافاً، مثل بيع المسكوكات من الدنانير أو الدراهم[4]. وكان اليهود يشتغلون ببيع الدنانير والدراهم ويعرفون بالصيارفة ولسوء معاملتهم ألحقوا الضرر بالمسلمين[5]. وقد نهى المشرع عن هذا البيع، وكذلك أنواع أخرى مثل (أ) بيع الملامسة وهو أن يلمس كل منهما ثوب صاحبه أو سلعته فيجب البيع بذلك دون علم بحالها أو تراض عنها. (ب) بيع المخاضرة وهو بيع الثمرة الخضراء قبل صلاحها ونضجها[6]. (جـ) بيع الصوف في الظهر أي قبل قصه من على ظهر الدابة. (د) بيع السمن في اللبن[7]. وكان ينتشر في فاس عدد كبير من بائعي اللبن من اليهود[8]، وكانوا يغشونه بالماء[9]، وينقصون وزنه[10]، إلى جانب أفعال أخرى من البيع بأن يجعل في حانوته

---

(1) ـ الشافعي: نفس المصدر، جـ3 ، جـ3 ص80 ، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ2 ص199 .

(2) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص157 ، المغيلي: مصباح الأرواح، ص42 .

(3) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص149 .

(4) ـ ابن رشد: بداية المجتهد، جـ2 ص175 ، السيد سابق: فقه السنة، دار التراث القاهرة بدون تاريخ، جـ3 ص137 ، الملطاوي: فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1972 ، ص90 ، 91 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ5 ص35 .

(5) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص137 .

(6) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ5 ص22 .

(7) ـ ابن رشد: بداية المجتهد، جـ2 ص176 ـ 182 ، السيد سابق، نفس المرجع، جـ3 ص146 .

(8) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 4 .

(9) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص412 .

(10) ـ المصدر السابق، جـ6 ص424 ، 425 .

ماهو أعلى من المنتجات وماهو أدنى، ويرى المشتري الأعلى ويتفاوض معه في الثمن الذي يتم به البيع، ثم يأخذ من يد المشتري مأراه من الأعلى ويرده لحانوته ثم يعطيه الأدنى الذي لم يره مما يضر بالمشتري[1].

ج - بيع المرابحة:

وهو أن يذكر البائع للمشتري الثمن الذي اشترى به السلعة ويشترط عليه ربحاً ما للدينار أو الدرهم[2]. وكان اليهود يقترضون الأموال بربا زهيد ثم يقرضونه بربا فاحش، فيربحون الفرق وهو الذي يسمى المرابحة[3]. وفي ذلك تقول التوراة «أخذت الربا والمرابحة وسلبت أقرباءك بالظلم»[4].

د - بيع السلم «السلف»:

وهو البيع بثمن معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم[5]. والفقهاء تسميه بيع المحاويج، لأنه بيع غائب تدعو إليه ضرورة كل واحد من المتبايعين، فإن صاحب رأس المال محتاج إلى أن يشتري السلعة، وصاحب السلعة محتاج إلى ثمنها قبل حصولها عنده لينفقها على نفسه وعلى زرعه حتى ينضج[6]. وهنا يتواجد اليهودي لتسليف المزارعين مايحتاجونه، ثم يقومون بجمع المحاصيل التي يسلمها لهم الفلاحون مقابل ديون أو رهون كان متفقاً عليها، وكانت تلك

---

(1) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط رقم 4 .

(2) - ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ2 ص256 .

(3) - زكي شنودة: نفس المرجع، ص394 .

(4) - التوراة سفر حزقيال اصحاح 22 آية 12 .

(5) - الشافعي نفس المصدر، جـ3 ص81 ، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ2 ص 240 .

(6) - الشافعي: نفس المصدر، جـ3 ص81 - 83 ، السيد سابق: نفس المرجع، جـ3 ص171 .

المواد التي يتلقونها منهم أداء لهذه الديون[1]. وهذا مخالف للشرع الذي ينص على «من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»[2]. ولذلك قام اليهود بتسليف المحتاج بفائدة بلغت في بعض الحالات 60٪ وفي أخرى 100٪[3].

كما وجدت عدة معاملات أخرى نهى عنها الشرع مثل بيع العنب لمن يتخذه خمراً[4]، حيث كان اليهود يربحون من عصر العنب خمراً[5]. ومنع بيع السلاح أثناء قيام فتنة[6]، نظراً لكون أغلب الحدادين وصناع السيوف والنبال يهود[7]. وكذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كثرة الحلف أيماناً بما جاء في كتاب الله العزيز «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولايكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم»[8] وكان السماسرة والدلالون والتجار اليهود كثيروا الالحاف على المشتري، فلا يستطيع أن يتخلص منهم إلا بعد عناء كبير[9]. لذلك حرم بعض الفقهاء بيعهم[10].

وتستدعي عملية البيع والشراء الكبرى ابرام عقد من عقود المعاملات، وعلى أساسه ينظم التعامل في المواني والمدن بحيث يتحقق الهدف المرجو وهو الربح المجزي، من هذه العقود عقد المضاربة.

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص149 .
(2) ـ الشافعي: نفس المصدر، جـ3 ص281 ، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ2 ص240 ـ 242 ، السيد سابق، نفس المرجع، جـ3 ص171 .
(3) ـ عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص81 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ5 ص18 .
(4) ـ الشافعي: نفس المصدر، جـ3 ص65 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ5 ص20 .
(5) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص69 .
(6) ـ الشافعي: نفس المصدر، ج3 ص65 .
(7) ـ مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 2 .
(8) ـ سورة آل عمران آية 77 .
(9) ـ غوستاف لوبون: نفس المرجع، ص365 ، 366 .
(10) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ5 ص22 .

هـ ـ المضاربة[1]:

وتسمى أيضاً قراضاً وهو مشتق من القرض[2]، والمضاربة في اللغة هي أن يدفع شخص مالا لآخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ماشرطا والخسارة على صاحب المال[3]. وفي الشرع عقد توكيل صادر من رب المال لغيره على أن يتجر بخصوص النقدين المضروبين ضرباً يتعامل به وإن يشترط له جزءاً من الربح[4]، وشرط عقد المضاربة أو المقارضة أن يكون بين المسلمين بعضهم البعض وإما بين مسلم صاحب المال واليهودي العامل في الاتجار بهذا المال[5]. وتستوجب المقارضة شروطاً لاتجوز إلا بها وهي (أ) أن يكون رأس المال نقداً، فإن كان تبراً أو حلياً فإنها لاتصح. (ب) أن يكون معلوماً. (جـ) أن يكون الربح بين العامل وصاحب رأس المال معلوم النسبة، كالنصف أو الثلث أو الربع. (د) أن تكون المضاربة مطلقة فلا يقيد رب المال العامل بالاتجار في بلد معين أو في سلعة معينة، أو يتجر في وقت دون وقت[6]. (هـ) أن يكون البيع والشراء في يد المسلم دون اليهودي لأنهم يأكلون الربا ويستحلون الأموال ويتاجرون في الخمر والخنزير[7]. وعندما دخلت الدولة خضم مشاكلها السياسية والاقتصادية نشط اليهود ففسدت المعاملات والتجارات[8]، مما أفسح المجال أكثر لليهود في زيادة نشاطهم التجاري فأقرضوا المتعاملين معهم ومداينتهم إلى آجال يتفقون عليها[9]، فظهر التجار الصغار وأصحاب الدكاكين

(1) ـ المضاربة من الضرب في الأرض وهو السفر للتجارة وفي سبيل الله. انظر. ابن منظور: نفس المصدر، جـ4 ص2566 .

(2) ـ السيد سابق: نفس المرجع، جـ3 ص212 .

(3) ـ ابن منظور: نفس المصدر، جـ4 ص2566 .

(4) ـ الملطاوي: نفس المرجع، ص106 .

(5) ـ ابن القيم الجوزي: مصدر سابق، جـ2 ص193 .

(6) ـ ابن رشد: بداية المجتهد، جـ2 ص285 ـ 294 ، السيد سابق: مرجع سابق، ص213 ـ 214 .

(7) ـ ابن القيم الجوزي: مصدر سابق، جـ1 ص205 .

(8) ـ الحكيم: مصدر سابق، ص139 .

(9) ـ بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1993 ص214 .

في الملاح أو السوق (السواقة) والمتجولون ببضائعهم في البوادي والذين كانوا يقومون أيضاً بجمع المنتجات المحلية لحساب موكليهم أو شركائهم في المدن[1].

و ـ الحوالة:

وهو مأخوذ من التحويل بمعنى الانتقال. والمقصود هنا نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه[2]. وهي أيضاً أن يعطي تاجر مالاً لمن له مالٌ بالبلد الذي يريد أن يسافر إليه بأسعار صرف ذلك البلد[3]. وفي الغالب يقوم الصرافون بمهمة تحويل تلك الحوالات إلى نقود مقابل خصم من المبلغ المحول[4]. ويرى بعض الفقهاء أن الحوالة ربا وقد نهوا عن التعامل بها[5]، لكون أكثر الصرافين يهوداً وكانوا يسيطرون على سوق الصرف[6]، إلى جانب أن التجار كانوا يدفعون للصيارفة الدراهم ويأخذون بدلاً منها دنانير ولايتعجلون، ثم يشترون من الباعة مايريدون ويحيلون الباعة إلى الصيارفة المذكورين، فذلك مما لايسوغ ولايحل بالإجماع، والحوالة فاسدة مفسوخة[7]، لوجوب تماثل الحقين في الجنس والقدر والحلول والتأجيل والجودة والرداءة، فلا تصح الحوالة إذا كان الدين ذهباً وأحاله ليأخذ بدله فضة[8]. ويقوم الصرافون بذلك مقابل خصم جزء من المبلغ المحول مقابل صرفهم[9]، ولابد للصيارفة أن يكونوا على دراية واسعة بشأن أسعار صرف العملات، والتغيرات التي تطرأ عليها ليتسنى لهم مقارنتها مع قيمة العملة المحلية.

---

(1) ـ حاييم زعفراني: مرجع سابق، ص149 .
(2) ـ الشافعي: مصدر سابق، جـ3 ص203 ، ابن رشد: بداية المجتهد، جـ2 ص363 ، السيد سابق، مرجع سابق، ص217 .
(3) ـ عاشور بوشامة: مرجع سابق، ص363 .
(4) ـ المرجع السابق، ص364 .
(5) ـ الحكيم: مصدر سابق، ص109 ، 110 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ66 ص130 .
(6) ـ الحكيم: مصدر سابق، ص136 ، 137 .
(7) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص316 .
(8) ـ السيد سابق: نفس المرجع، جـ3 ص218 ، الملطاوي: نفس المرجع، ص127 .
(9) ـ عاشور بوشامة: نفس المرجع، ص364 .

ز ـ الوكالة:

ومعناها التفويض وشرط الوكيل أن لايكون ممنوعاً بالشرع من تصرفه في الشيء[1]، ولايكون من أهل الذمة[2]، لأنه مايسري على الشركاء يسري على الوكلاء، خاصة عندما يكون وكلاء عن المسلمين، حيث كان الملوك وكبار القوم المغاربة يوكلون اليهود بتدبير مواردهم لمعرفتهم بدقائق الأمور التجارية[3].

ح ـ الموازين والمكاييل:

استعمل في المغرب القنطار والرطل والأوقية والوسق والصاع والمد[4]، وحاول السلطان أبو يوسف بن عبد الحق (656 ـ 685هـ/ 1258 ـ 1286م) توحيد هذه المكاييل والأوزان لأنها كانت موحدية فجعلها مرينية. وعندما بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة ظهر غش اليهود، إذ عثر بيد يهودي حبات من شعير أعدها ليزن بها، فاتهمه أحد الأمراء لأنه شك في وزنها فاختبرها فإذا في جوفها أطراف من إبر ركزها فيها بعد أن رطبها بالماء ثم جففها، فاشتدت على تلك الحال. فإن وزن لغيره وزن بالتي فيها أطراف الابر، وإن وزن لنفسه وزن بالتي لاإبر فيها[5]، ولمزيد من هذه الأفعال الخبيثة انظر المالقي[6].

وكانت المكاييل والموازين داخل القيسارية تخضع لرقابة المحتسب

---

(1) ـ ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ2 ص366 .

(2) ـ ابن القيم الجوزي: نفس المصدر، جـ2 ص192 .

(3) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص155 ، 156 .

(4) ـ الحكيم: نفس المصدر، القلقشندي: نفس المصدر، جـ5 ص177 ، وحول مقدار هذه الموازين والمكاييل، انظر الحكيم: نفس المصدر، ص103 ، 104 ، ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1961 ص312 ـ 348 ، محمد أمين صالح: النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1984 ص193 ـ 198 .

(5) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص82 .

(6) ـ المالقي: نفس المصدر، من ص26 ـ 35 .

الشديدة، وكان يصدر أحكامه القمعية ضد المخالفين منهم. وأما خارج المدن والثغور وبعيداً عن رقابة المحتسب كان التجار يهوداً ومسلمين يطففون في الكيل والميزان[1]، ويقومون بهذا مستغلين بعدهم عن رقابة السلطة. كما كان لليهود دور كبير في انهيار الاقتصاد المغربي بما قاموا به من تزييف للعملة التي كانت أساس الاقتصاد.

ط ـ النقود:

تناول عدة مؤرخين ماحل بالمغرب الأقصى من مجاعات[2] وأوبئة[3]، استغلها اليهود كعاداتهم فظهر على أيديهم احتكار التجارات والرشوة وشراء ذمم المسؤولين الكبار[4]، إلى جانب ترويج العملة المغشوشة.

وعندما تولى السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (656 ـ 685هـ/ 1258 ـ 1286م) وجد عملة متداولة مضروبة بأيدي اليهود، ولم يكن عليها سكته ـ شعار الدولة أو مكان الضرب ـ إلى جانب نقصان وزنها وغش معدنها[5]، ولذلك أمر ألا تضرب عملة خارج دار السكة،

(1) ـ يحيى بن عمر: نفس المصدر، ص101 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص423 .

(2) ـ راجع ابن أبي زرع: الاينس المطرب، ص398 ، 401 ، 409 ، انظر ابن بطوطة: نفس المصدر، ص666 .

(3) ـ راجع ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ13 ص689 . وباء 819هـ/ 1401م، الصرفي: نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب القاهرة 1971 جـ2 ص369 وباء 919 هـ/1513م الحسن الوزان: نفس المصدر، ص117 ، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة تونس 1966 ، ص85 ، 141 ، 147 ، 150 ، 158 وباء 928هـ/ 1541م عبد القادر الفاسي: لمحة في تاريخ دولة الشرفاء بالمغرب، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 1954 تاريخ ورقة 4).

(4) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ2 ص1043 ، الحبيب بن خوجة: نفس المرجع، ص26 .

(5) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص107 (يبلغ وزن الدينار العملة الشرعية 4.25 غرام، الوزن الشرعي للدرهم 2.97 غرام انظر، عاشور بوشامة: نفس المرجع، هامش ص361 ، 362 .

فاستمرت العملة قوية في عهده ومن جاء بعده إلى مدة خمسين سنة. وبعد ذلك دخل الفساد في أحوالها[1].

وفي عهد السلطان أبي عنان (749 - 759 هـ/1348 - 1357م) حلت بالبلاد مجاعة وكساد بسبب الأوبئة والتطاحن القبلي والصراع على السلطة. وفي وسط هذا الوضع الخانق لعب اليهود المرابون دوراً كبيراً في الإقراض بالربا، ولكن سرعان ماانتهت الأزمة على يد السلطان أبي عنان الذي وزع الأرض على الفلاحين مجاناً وأعطى لهم البقر لحرثها[2]. وبعد وفاته ضعفت السلطة المركزية وسيطر عليها الوزراء، مما أضعف من اقتصاد الدولة فصارت النقود الذهبية قليلة[3]، لاشتغال اليهود بتجارة الذهب والفضة، ونقص دخل دار السكة وعائداتها منها[4].

وبعد وفاة السلطان أبي عنان المريني تولى الحكم في المغرب أربعة عشر سلطاناً في مدة يسيرة، ولم يكن من بينهم سلطان يستطيع أن يأخذ بزمام الأمور، حتى كان عهد عبد الحق بن أبي سعيد المريني (831 - 869هـ/ 1427 - 1464م) فكثر تعسف الوزيرين اليهوديين وهما شاويل وهارون، وأخذا في مصادر أموال تجار المسلمين[5]، إلى جانب ماحل بالبلاد من حروب قبلية للسيطرة على السلطة. كل ذلك أثَّر على الوضع الاقتصادي والنقدي، وجعل أصحاب رؤوس الأموال يكتنزونها خوفاً عليها من هذا الجو الذي لايسمح بالإتجار، فازداد تعامل اليهود بالربا واكتناز الأموال، واشتغلوا وسطاء للتبادل التجاري البسيط والتجارة الهامشية، ولم يكونوا وسيلة لتوسيع الإنتاج والانتقال إلى مرحلة إنتاجية أعلى، فلم ينظروا إلى العملة كوسيلة لتوسيع دائرة الإنتاج وتجديدة، بل كأداة لحمايتهم من تقلبات الزمن. ونتيجة لاكتنازهم للأموال

---

(1) - الحكيم: نفس المصدر، ص107 .
(2) - عبد العزيز بن عبدالله: مظاهر الحضارة المغربية، جـ2 ص26 .
(3) - محمد المنوني: نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي عدد4 ، 5 ص243 .
(4) - الحكيم: نفس المصدر، ص95 .
(5) - الحكيم: نفس المصدر، ص95 ، 96 .

ظهرت الأزمة النقدية التي تزايدت حدتها في العصر الذي نحن بصدده. ومن ثَمَّ لعب اليهود دوراً خطيراً في انهيار الاقتصاد المغربي نتيجة لدورهم في تزييف العملة، فتعرض الدينار والدرهم المريني للتزييف، وظهرت الدنانير والدراهم غير المضروبة في دار السكة وتخلصوا منها بالرشى حتى لايتم عقابهم(1).

ولمنع هذه الأعمال ألغى السلطان أبو عنان التعامل بأي نقد إلا ماكان عليه سكته. ولكن اليهود كان يتحينون الفرصة لمزاولة نشاطهم المريب في هذا المجال، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى رفضوا ماأمروا به، ورجع الفساد في الدنانير والدراهم، وظهرت الدنانير والدراهم المضروبة خارج دار السكة، ولم يكن ذلك إلا بأيديهم(2).

ويلاحظ أن التعامل النقدي تمركز في المدن، أما القرى فكان السائد بها التعامل التبادلي والبيع جزافاً(3). ولكثرة وجود عملة مغشوشة في الأسواق المغربية، أصبحت ثقة المتعاملين تتجه إلى النقود الأجنبية، فراجت هذه النقود في الأسواق مما أدى إلى تدهور العملة المحلية. وحاول الحكام منع هذا التدهور، وأمروا بتسليم العملات التي يأتي بها التاجر إلى دار السكة بغية تحويلها إلى عملات مغربية سليمة(4)، ولكن ذلك لم ينفذ.

ويعود سبب تدهور العملة المغربية أيضاً إلى الظروف السياسية الدولية التي ساهمت في شدة الأزمة الاقتصادية، حيث قلَّ تدفق الذهب القادم من السودان الغربي إلى الشمال بسبب الحروب القبلية، ووصول البرتغال إلى منابع استخراجه، فتغير طريقه إلى المحيط الأطلسي ثم إلى لشبونة(5). وهكذا قلَّت كمية الذهب التي كان يسك منها عملة الدولة التي كانت رمزاً لاستقلالها

---

(1) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص96 .
(2) ـ المصدر السابق، ص138 ، 139 .
(3) ـ الونشريسي: نفس المصدر، جـ6 ص393 .
(4) ـ محمد المنوني: نظم الدولة المرينية، البحث العلمي عدد 4 ، 5 ص247 .
(5) ـ فرنان برودل: من ذهب السودان إلى فضة أمريكا، بحث ضمن أبحاث في التاريخ الاقتصادي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ص84 .

الاقتصادي وتأكيداً لاستقلالها السياسي. ومع هذا الوضع حوَّل اليهودي نشاطه إلى الربا مستغلاً مالديه من مخزون العملة والذهب. ولذلك كان الربا مسؤولاً عن عدة أمور: (أ) إنَّه يسبب العداوة بين الأفراد ويقضي على روح التعاون بينهم[1]، مثل هجوم أهل فاس على حيِّ اليهود عندما يتغير حاكم أو يشعرون بظلم وقع عليهم نتيجة غش وخيانة منهم[2]. (ب) إنَّه يؤدي إلى خلق طبقة مترفة لاتعمل[3]، ولذلك لم يساهم اليهودي في حركة الإنتاج ذات الدور الكبير في تطور المجتمع المغربي، بل كان أغلبهم يشتغلون في المعاملات بالدراهم والدنانير الزائفة والناقصة[4].

لذلك وضعت التشريعات لتحريم الربا بين البشر بعضهم البعض، إلا أن اليهودي في بادئ الأمر حرَّم الربا بينه وبين أخيه وأباحه مع الأجنبي، وهذا مفهوم عنصري، لأن الأحبار فسروا الأخ باليهودي ولم يدرجوا الأخ في الإنسانية. ونتيجة لهذا الفهم العنصري فقد أجيز لليهودي أن يقرض غير اليهودي بالفائدة والربا[5]. وأكد على ذلك التلمود الذي شجع على حب المال فقال «إن الأتقياء يحبون أموالهم أكثر من أجسادهم»[6]. ولذلك يقرض اليهودي الأجنبي ليس لسد احتياجاته بل ليستفيد منه، ولفرض إرادته عليه نظراً لكون هذه الأمور محرمة على اليهودي مع أخيه اليهودي[7]. ولكن اليهود كثيراً ماخالفوا ماجاء بشريعتهم فأقرضوا بعضهم البعض بربا[8].

والمراحل التي مرت باليهودي للاشتغال بالربا هو؛ ضياع دورهم في

---

(1) ـ السيد سابق: نفس المرجع، جـ3 ص178 .
(2) ـ مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط ورقة 3 ، 4 .
(3) ـ السيد سابق: نفس المرجع، جـ3 ص178 .
(4) ـ الحكيم: نفس المصدر، ص140 .
(5) ـ محمد سعيد عشماوي: الربا والفائدة في الإسلام، سيناء للنشر القاهرة 1988 ، ص15 .
(6) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص131 .
(7) ـ السيد عاشور: الربا عند اليهود، طبع على نفقة المؤلف القاهرة 1972 ، ص72 .
(8) ـ اسرائيل شاحاك: نفس المرجع، ص69 ، السيد عاشور: الربا عند اليهود، ص116 .

التجارة العالمية، وهيمنة التجار الأوروبيين عليها منذ القرن الثاني عشر للميلاد[1]، وتحول التجار اليهود إلى تجار محليين بالمغرب الأقصى. لذلك أخذوا في توظيف مدخراتهم التي جمعوها من تجارة الذهب والصياغة والصيارفة وغيرها إلى مبادلة النقد، ثم تلقي المال من الأمراء والملوك لاستثماره في التجارة[2]، ثم إلى إقراض المال بالربا[3]. ولكثرة أعمالهم الربوية المتفشية في المجتمع المغربي كثر السؤال «هل البيع والشراء والاستدانة من اليهودي حلال أم حرام؟» وقد أجاب الفقهاء[4] بكراهية مقارضة من لايفرق بين الحلال والحرام[5]، والمقصود بذلك اليهود. ولذلك كانت السلطة تفرض عليهم ضرائب ضخمة[6]، دفعها اليهود مطمئنين لأنهم كانوا يجمعوها من خلال مرابحتهم الربوية في المغرب الأقصى، خاصة الجنوب[7] الذي يكثر فيه التواجد اليهودي.

(1) - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، دار الحقيقة، بيروت 1983 ، ص176.
Gaitein. Studies in Islamic Histary and Institutions Leiden 1968. P. 296.

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ2 ص55 ، محمد الشريف: سبتة الإسلامية دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، جمعية تطوان اسمير المغرب 1996 ، ص83 .

(3) - ديورانت: نفس المرجع، جـ14 ، ص61 ، لويس لومبار: نفس المرجع، ص317 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية، جـ ص22 ، 41 .

(4) - الونشريسي: نفس المصدر، جـ5 ص244 .

(5) - الماوردي: المضاربة، تحقيق عبد الوهاب حواش، دار الوفاء، القاهرة 1989 ، هامش ص271 .

(6) - ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ2 ص191 .

(7) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبل قيام الدولة السعدية، ص89 .

الفصل الرابع

يهود المغرب الأقصى والحيـاة الثقـافيـة

1 ـ أهداف وطرق التربية والتعليم عند يهود المغرب الأقصى.

2 ـ التعليم ومدارسه.

3 ـ العلوم عند يهود المغرب الأقصى...

آ ـ العلوم النقلية.

1 ـ التفسير ومدارسه.

ـ المدرسة اللغوية في التفسير

ـ المدرسة الفقهية والتشريعية

ـ المدرسة الفلسفية في التفسير

ـ التفسير الصوفي «القبالي»

2 الجدل الديني.

3 الدراسات اللغوية

4 الإبداع الأدبي والإبداع القبالي.

ـ الكتابات القبالية

ب ـ العلوم العقلية

1 ـ علم الفلك (علم الهيئة)

2 ـ الفلسفة

3 ـ المنطق

4 ـ الموسيقى

5 ـ الطب والصيدلة.

(1) أهداف وطرق التربية والتعليم عند يهود المغرب الأقصى:

كان الطفل اليهودي يربى في بلاد المغرب على إتباع الأوامر والنواهي الشرعية اليهودية، واكتساب التقاليد والعادات والتشبع بالمعتقدات والشعائر الدينية اليهودية[1]. كما كان يربى دينياً على أسطورة شعب الله المختار، وأن الله قد ميزهم عن سائر الشعوب، ورُبِّيَ أيضاً على أنه صاحب رسالة فذَّة، على أساس أن اليهود كانوا محل اضطهاد دائم من كل الدول والشعوب عبر القرون، ولايفسر للطفل سبب هذا الاضطهاد إن وجد. ويربى الطفل على أن هناك نبوة دينية تاريخية ببعثهم وعودتهم إلى أرض الميعاد، ويؤكدون على ذلك في كل الاحتفالات[2].

ويربى الطفل اليهودي على أن اليهودي له طقوس وعادات. ولايعترف بيهودية إلا من كانت أمه يهودية ضماناً لنقاء الدم. ولأنه من شعب مختار كتب عليه أن يكون قليل العدد، محسوداً في أحسن الأحوال ومضطهداً في أسوأها من الآخرين[3].

كما يربى هذا الطفل على أن قتل غير اليهودي لايعد جريمة عندهم بل فعل يرضي الله[4]، ويربى أيضاً على تعاليم التلمود التي تقول «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك،

---

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص59 .
(2) - المرجع السابق، ص241 .
(3) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص205 .
(4) - صالح محمد صالح: نفس المرجع، ص37 .

أو يخرجه من حفرة يقع فيها» لأنه بذلك يكون حفظ حياة إنسان على غير الملة اليهودية[1]. ويربى كذلك على أن القسم الذي يقسمه اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لايعد يميناً[2].

وإلى جانب ذلك يلجأ المعلم إلى الترهيب كوسيلة أولية، وبذلك يكون التلميذ مجبوراً على الانتباه. وبذلك يبذل أكبر جهدٍ في دراسته خوفاً من العقاب، إلى جانب وسائل أخرى مثل زجره أو إذلاله.

ويتبنى بعض المعلمين اتجاه تربية الأطفال اليهود نظاماً أقل خشونة، كتوزيع بعض الحلوى أو مكافآت أخرى. ولكن العقاب والتأديب الجسدي هو القاعدة في طريقة تعليم هؤلاء الأطفال[3].

(2) التعليم ومدارسه عند يهود المغرب الأقصى:

نجد في تجمعات اليهود بالمغرب الأقصى أماكن مخصصة للتعليم، ظهرت أولاً بالقيروان وفاس، ثم نشأت أماكن أخرى إثر هجرة اليهود الإسبان إلى المغرب[4]. ويطلق على هذه الأماكن «حيدر»[5]، أو الصلاة أو المسيد (المدرسة)[6]، وهي شبيهة بالكتاتيب، وكان بكل معبد أو كنيسة مدرسة[7]، وفي الأماكن التي تخلو من معبد أو كنيسة كانت المدرسة تلحق بأحد المنازل اليهودية[8].

---

(1) ـ المرجع السابق، ص37 .

(2) ـ حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص169 ، صالح محمود صالح: نفس المرجع، ص45 .

(3) ـ حاييم زعفراني، نفس المرجع، ص65 ، 66 .

(4) ـ الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص35 .

(5) ـ الحيدر: كلمة عبرية تعني «حجرة» وهي مدرسة لتعليم الأطفال أسس الدين اليهودي وتعاليمه. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص171 . عبد الرزاق أحمد قنديل: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث القاهرة 1984 ، ص162 .

(6) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص61 .

(7) ـ ديورانت: نفس المرجع جـ14 ص73 .

(8) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص61 .

وهي عبارة عن غرفة ضيقة تقفل في الشتاء لبرودة الجو، وتفتح في الصيف لشدة الحرارة في بلاد المغرب، وأرضها مغطاة بحصائر من القش، أو الحلفاء، ويجلس المعلم القرفصاء مستنداً إلى جدار قرب الباب على فراش صغير يراقب تلاميذه، ويتجول من حين إلى آخر وسط المجموعات الطلابية بجلبابه الأسود، يلوح بعصاه أو بسوط في يده. وفي زاوية الغرفة تنتصب جرة ممتلئة بالماء للشرب مغطاة بلوحة وفوقها قدح، وفي المساء عندما يخيم الليل تشعل قناديل الزيت أو الشموع(1).

ويؤخذ الأطفال اليهود مابين سن الثالثة والسادسة(2) إلى المدرسة، ليحفظوا قسماً من التوراة والفصول المتعلقة بها من كتب النبيين التي تسمى «هفتار» بالعبرية. إلى جانب استظهار هذه النصوص والتغني بها والترتيل بها جماعياً، يعلم الصبية الصلوات والعبادات حتى تثبت في أذهانهم الروح الدينية. ويشرح لهم المعلم ماحفظوه من الكتاب بلغتهم اليومية من غير أن يكونوا قد درسوا النحو أو التاريخ(3). والمطلوب من التلميذ في هذه المرحلة معرفة القراءة لكي يتمكن في النهاية من أن يشارك في أقرب وقت ممكن في قداس البيعة(4).

وتكون القراءة مجوَّدة رغم عدم وجود نقاط الحركات ولاعلامات الوقف. لكن الطفل يمرن عليها بالتكرار(5). ويقوم الطفل بتحريك جسمه أثناء التعلم، وتجلب القراءة المرتلة السرور ومتعة التعلم للمتعلم، وتنبه قواه الروحية وتسهل استيعابه وتساعده على الحفظ(6)، لأن الطفل لايتعلم الكتابة إلا في مرحلة متأخرة(7)، والتعليم في معظمه شفوي(8).

---

(1) - المرجع السابق ص62 .
(2) - المرجع السابق ص63 .
(3) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع ص80 .
(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص67 .
(5) - نفس المرجع، ص64 .
(6) - نفس المرجع، ص69 .
(7) - نفس المرجع، ص64 .
(8) - نفس المرجع، ص66 .

وتقترن نهاية التعليم الابتدائي وبلوغ سن الطالب سن الثالثة عشر باحتفال في البيعة[1]. بعدها يصبح الطالب راشداً شرعاً ويصبح من حقه المشاركة في قداس البيعة مثله مثل باقي الأحبار[2].

ويتلقى الحزان أجرة تسمى الشرط، مقابل حراسة الأطفال أو مكافأة للوقت الذي يقضيه مع الطالب[3].

ويأخذ المعلم علاوة تسمى «خبز المعلم» في كل يوم جمعة، أو أجراً تؤديه الجماعات اليهودية عامة أو يؤديه الآباء[4].

وبعد اجتياز مرحلة الحيدر يلحقونه بمرحلة بيت همدراش، وهي المدرسة الدينية أو مدرسة التلمود. وهي مخصصة لإعداد التلاميذ الذين يختار من بينهم الحاخامات في المستقبل. ويتعلم هؤلاء التلاميذ في هذه المدرسة التلمود والمدراشيم[5] وفصولاً من الهالخا. وكانت هذه المدارس تقام باستمرار إلى جوار المعابد اليهودية[6].

وقد أسس يعقوب الفاسي في مدينة فاس معهداً «مدرسة لتعليم أطفال اليهود في هذه المدينة قبل هجرته إلى الأندلس عام 490هـ/ 1096م»[7]. وظل هذا المعهد موجوداً في عهد المرينيين. ولكننا لم نجد ذكراً لهذا المعهد في المصادر القديمة. وربما يعود ذلك إلى تخوف الموحدين من الوجود اليهودي في

---

(1) ـ الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص80 .
(2) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص67 .
(3) ـ الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص154 ، مارمول كربخال: نفس المصدر جـ2 ص67 .المرجع السابق، ص63 .
(4) ـ ديورانت: نفس المرجع، جـ14 ص73 .
(5) ـ المدراشيم: من الكلمة العبرية «درش» أي فحص والكلمة تستخدم للإشارة إلى منهج في تفسير العهد القديم والتعمق فيه للوصول إلى معانيه الخفية، انظر. عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة ص360 .
(6) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص162 .
(7) ـ الهادي روجيه ادريس: نفس المرجع، جـ2 ، ص426 .

بلادهم، وكان هذا التخوف في الغالب سبباً في هذا الوضع مما أدى إلى اختفاء اليهود من مجال التعليم(1).

وبعد هذه المرحلة من الدراسة في المعهد المذكور، كان الطلاب اليهود يلتحقون بالهيشيفا أو التعليم العالي، ويدور التعليم فيه حول توضيح الشريعة من خلال أدبيات الربيين المشرعين، وتعويد الطالب على ممارسة الجدل وإظهار قدرته على التأويل، وتقديم الجديد في هذا العلم، ويمنح في نهاية هذه المرحلة لقب ربي أو حبر(2).

وقد ظهر هذا النوع من التعليم مع هجرة الأندلسيين إلى المغرب، وكان من قبل يقتصر على الحيدر، ونموذج من مدارس الهيشيفا مدرسة اشير بن يحيل «ق8 هـ/ ق14م». ويعتبر منهج هذه المدرسة إرثاً للمدرسة الأندلسية التي نقل آثارها الربيون القشتاليون الذين جاءوا إلى المغرب(3).

ومن أراد المزيد من العلم رحل إلى أكاديمية صفد بفلسطين. ومؤسس هذه الأكاديمية إسحاق لوريا الإشكنازي(4) (1543 - 1572م). ويعد الطلبة الوافدين من المغرب من بين مريديه المشهورين(5).

وقد وجد من العلماء اليهود تجار متجولون بتجارتهم وعلمهم، لأن العلم لم يكن محل رزق، بل كانت التجارة ومنها يصرف على علمه، ولذلك لم يكن طلبة الدراسات العليا منقطعين للتعلم، بل كانوا يحصلون على العلم إلى جانب تحصيل الرزق وتعلم الطلاب أو المريدين للعلم(6).

---

(1) - BARPEUR. op sit. P. 77

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص68 .

(3) - المرجع السابق، ص175 .

(4) - الإشكناز: هم أساساً يهود شرق أوربا خاصة القاطنين على حدود أرمينيا في أعالي الفرات وفي العصور الوسطى أصبحت تطلق على الجنس الجرماني ثم أصبحت تشير إلى ألمانيا، ومن استقر منهم في شمال فرنسا وشرقها، انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص76 .

(5) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص201 .

(6) - المرجع السابق، ص72 .

وكان لهذا النظام التعليمي عند اليهود أكبر الأثر في خلق متعصبين ليهوديتهم، رغم تأثرها بالثقافة الإسلامية التي كانت مزدهرة في عصر المرابطين والموحدين وزادت ازدهاراً في عصر سلاطين بني مرين، حيث ازدادت آفاق المعرفة الثقافية اتساعاً أمام الراغبين في الدرس والتحصيل، عندما تطعمت الثقافة المغربية بأخرى أندلسية، مما أدى إلى ازدهار العلوم العقلية والنقلية الذمية.

ولقد واجه الباحث صعوبات كثيرة لعدم توافر النصوص الكافية في هذا الموضوع. فالمصادر العربية التي تؤرخ للدولتين موضوع البحث غالباً ماتخلو من الحديث عن الثقافة اليهودية. وكل مايمكن ذكره هو بعض الإشارات الخاطفة التي تضمنتها بعض الكتب والرسائل التي تتجلى أهميتها في مجالات أخرى، فقد تكلمت تلك الكتب باختصار شديد عن بعض الأدوار الثقافية لهم.

(3) العلوم عند يهود المغرب الأقصى:

انقسمت العلوم عند يهود المغرب الأقصى كما هو الحال في بلاد المغرب الأخرى وجميع أرجاء العالم الإسلامي في العصور الوسطى إلى قسمين: أولاً العلوم النقلية أو العلوم الشرعية، ثانياً العلوم العقلية أو الحكمية.

(أ) العلوم النقلية:

هي العلوم التي يرجع الأصل فيها إلى التوراة والتلمود ومايستتبعها من علوم لأزمة لتوضيحها وفهمها والإفادة منها، فشملت علم التفسير وعلم اللغة والتشريع وعلم التصوف وخلافه.

1 ـ التفسير ومدارسه:

تفرعت مناهج التفسير لدى اليهود في المغرب وأخذوا يتوسعون فيها، وحمل كثير منهم عبء القيام بهذه العلوم، ونشأت عندهم مدارس مختلفة للتفسير، كان من أهمها: المدرسة اللغوية، والمدرسة الفقهية والتشريعية، والمدرسة الفلسفية.

ونشطت الدراسات التلمودية في المغرب في عصر المرابطين والموحدين وبدأ انحدار هذه الدراسات مع نهاية القرن الثالث عشر[1]، وما أتى بعد ذلك ماهو إلا اعتماد على ماسبق من دراسات، وكان يقتصر على نسخها ومزيد من تلخيصها. فتركزت كل جهود الكتاب والدارسين في أعمال دينية كانت تدور حول شرح وتفسير ماكتبه أسلافهم[2].

أما المدارس الخاصة بالتفسير فيمكن أن نتحدث عنها في شيء من التفصيل، وأول هذه المدارس هي المدرسة اللغوية.

المدرسة اللغوية في التفسير:

كان جهد هذه المدرسة ينصب على معرفة طبيعة النصوص الدينية وماتحتويه من مشاكل لغوية، لايستقيم فهمها أو شرحها دون أن نفهم اللغة التي كتبت بها[3]. وبذلك يتضح معنى النص بتوضيح ألفاظه أو بالزيادة عليه ونقله إلى لغة الشارح. لأن نقل أي نص إلى لغة غير لغته يعتبر تفسيراً.

ولذلك نشطت حركة التفسير التلمودي في بلاد المغرب، وكان ذلك[4] مع بداية القرن الحادي عشر[5]، لعدة أسباب: أولاً عندما نبه سعديا الفيومي إلى مايحتويه العهد القديم من أسرار لغوية لم يتنبه إليها اليهود بعد[6]، وقام بترجمته إلى اللغة العربية باعتبارها لغة اليهود في كل العالم الاسلامي[7]. ووصلت هذه الترجمة إلى المغرب الأقصى. ثانياً: استقرار اليهود في معيشتهم بين العرب

---

(1) ـ أسعد رزوق: نفس المرجع، ص186 .
(2) ـ قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص76 .
(3) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص212 .
(4) ـ نظراً لخضوع كل بلاد المغرب العربي والأندلس لحاكم واحد.
(5) ـ محمد بحر: نفس المرجع، ص34 .
(6) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص212 .
(7) ـ ديلاس أو ليرى: نفس المرجع، ص245 .

والاهتمام الكبير باللغة العربية، نحوها وصرفها وآدابها[1]، ولذلك نشطت الدراسات اللغوية العربية نشاطاً كبيراً، وأصبحت علوم هذه اللغة نحوها وصرفها وفقهها ذات تأثير كبير بالنسبة لتوضيح وتفسير التراة، وفهم معاني التوراة وفك غموض هذه المعاني وكذلك الألفاظ الواردة فيها[2].

وبرز من بلاد المغرب يهود بن قريش الذي عاش في القرن التاسع الميلادي[3]، في مدينة تاهرت، ويعتبر أول اليهود المحققين في بحث المقارنة بين اللغة العبرية والعربية في كتابه الذي يطلق عليه (رسالة)، ووجه ابن قريش كتابه هذا إلى علماء اليهود في مدينة فاس. والكتاب مقسم إلى ثلاثة موضوعات، أولها: مقارنة اللغة الآرامية[4]، باللغة العبرية، والثاني: مقارنة لغة التوراة العبرية باللغات الأجنبية، الثالث: مقارنة اللغة العبرية باللغة العربية. وبذلك تتضح قواعد اللغة العبرية من خلال مقارنتها باللغة العربية[5].

وظهر كذلك داود بن ابراهيم الفاسي الذي ولد في مدينة فاس، وقيل إنَّه عاش قبل سعديا الفيومي أي في القرن الثاني عشر الميلادي[6]، وكان له معجم يسمى «جامع الألفاظ» ووضعه لتفسير وشرح مفردات التوراة[7].

(1) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص213 .
(2) ـ المرجع السابق، ص215 .
(3) ـ طوبيا سمحاة: نفس المرجع، ص48 .
(4) ـ اللغة الآرامية: هي إحدى اللغات السامية. ودعيت سامية نسبة إلى سام بن نوح، وأخوتها العربية والعبرية والحبشية. ويظن أن العربية أقربهن إلى الأصل السامي الذي تفرعت منه. إلا أن السريانية أقدم منها عهداً. وفي الواقع ان الآرامية التي كانت معروفة ليست إلا أرامية الكتاب المقدس التي كانت تدعى عادة الكلدانية. وفي أواخر القرن السابع عشر الميلادي أخذ الناس يحسون بأهمية السريانية فأقبلوا على دراستها متوخين تمحيص نصوص الأسفار المقدسة. انظر. الأب شابو: اللغات الآرامية وآدابها، تعريب أنطون شكري لورنس، مطبعة ديرمار مرقس للسريان بالقدس 1930 ، ص 1 ـ 5 .
(5) ـ سليم شعشوع: العصر الذهبي صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، تل أبيب 1979 ص115 ، 116 .
(6) ـ اسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص3 .
(7) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص221 .

المدرسة الفقهية والتشريعية:

اشتغل بعض اليهود في المغرب الأقصى بعلوم الفقه والشريعة اليهودية، ومن أبرز هؤلاء اليهود إسحاق بن يعقوب الفاسي الذي قضى فترة طويلة من حياته في موطنه الأصلي مدينة فاس بالمغرب الأقصى، وتتلمذ على يد حاخامات شمال افريقيا مثل حنانئيل وزميله نسيم بن يعقوب. وأخذ مكان أحدهما في رئاسة الطائفة هناك، إلا أنه اضطر إلى الهجرة من موطنه الأصلي إثر وشاية قام بها بعض الحاقدين عليه، فذهب إلى الأندلس واستقر في قرطبة، ثم انتقل إلى غرناطة ومنها إلى اليسانة التي كانت منفى لليهود ولهم أكبر تجمع فيها(1).

ويعتبر هذا الرجل من الفقهاء المجتهدين في الشريعة اليهودية. ومن مؤلفاته كتابه الذي يحمل عنوان «الفقه» والذي استخرج فيه معظم الأحكام الفقهية التلمودية فكان بمثابة «تلمود مختصر»(2).

وقد كان لهذه المؤلفات أكبر الأثر على الأجيال التي عاصرته والتي جاءت من بعده مثل ابن ميمون وخلافه.

المدرسة الفلسفية في التفسير:

وصل التفسير اليهودي مرحلة لم يعد يعتمد فيها على الشروح أو استنباط الأحكام الشرعية، بل جنح إلى الغوص إلى جوهر العقيدة اليهودية نفسها، وإثبات أن الجوهر لايتعارض أبداً مع العقل، وأن الدين والفلسفة لايختلفان. وذلك كله من خلال النصوص الدينية الموجودة في التوراة أو التلمود(3)، ويتضح من ذلك أثر ابن رشد في هذه المدرسة(4).

---

(1) ـ ابن رشد: فصل المقال، ص6 ، عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص226 ، 227
(2) ـ أسعد رزوق: نفس المرجع، ص187 .
(3) ـ ابن رشد: فصل المقال، ص23 ، عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص241 ، 242 .
(4) ـ محمد غلاب: الفلسفة الإسلامية في المغرب، جمعية الثقافة الإسلامية، القاهرة بدون تاريخ، ص132 .

وأبرز علماء هذه المدرسة موسى بن ميمون الذي تتلمذ على يهودا الكاهن الذي كان موسى ينصت إلى محاضراته أثناء إقامته بمدينة فاس، ومن ناحية أخرى لم تنقطع علاقته بالفلاسفة من المسلمين[1]. وألف موسى بن ميمون رسالة باللغة العربية، حث فيها جماهير اليهود على الاتحاد فيما بينهم، والثبات على النوازل والكوارث التي يريد الله أن يمتحن هؤلاء اليهود. ورسالة أخرى بالعربية بعنوان «في سبيل تقديس اسم الله»، وكانت هذه الرسالة بمثابة رد على أحد كبار أحبار اليهود. وقد ألف موسى بن ميمون هاتين الرسالتين في فاس قبل رحيله إلى المشرق الإسلامي في عام 556هـ/ 1160م[2].

وهذه المؤلفات التي تناولت تفسير التوراة كتب لها الدوام والانتشار حتى الآن[3]، بسبب التجارة والأسواق التجارية والرحلات التي قام بها اليهود، والتي لعبت دوراً مهماً وواضحاً في إيصال فكر هؤلاء اليهود إلى أقصى الشرق والغرب.

وقد وصل هذا الأثر إلى مدينة «ترويز» بشمال فرنسا، التي ولد بها الحاخام شلومو يصحن، والذي عرف واشتهر باسمه المختصر «رشى» والذي توفي في عام 1105م[4]. وقد تتلمذ هذا الحاخام على يد أساتذة مدرسة الأندلس، والألمانية، والمدرسة الفرنسية السائد فيها منهج المدراشي، الذي يعتمد على الوعظ والإرشاد وإيصال المعنى الديني[5]. وبذلك استفاد من كل المدارس التفسيرية وكان لمذهب راشي في التفسير أثر على التشريع اليهودي المغربي[6].

مما سبق يتضح أن أحبار المغرب كانوا أساتذة المدرسة اليهودية الأندلسية، فمن المغرب انطلق أوائل اللغويين والمؤلفات الفقهية والتشريعية والفلسفية،

---

(1) ـ اسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص7 ، عبد المنعم الحفني: نفس المرجع، ص36 ـ 40.
(2) ـ اسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص7 ، 8 .
(3) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص262 .
(4) ـ المرجع السابق، ص267 .
(5) ـ المرجع السابق، ص324 ، 325 .
(6) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص176 .

فكانوا أصحاب التراث الذي انطلق منه علماء ومفكرون متوسطو القيمة. من أمثال صموائيل بن موسى المغربي الذي عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكانت أعماله تدور حول شرح وتفسير ماكتبه السابقون[1].

وكذلك الحبر يهودا بن نسيم المغربي صاحب كتاب «أنس الغريب» ت عام 1365م. وشرح ابن طبول اليهودي المغربي القرآن معتمداً على مفاهيمه التوراتية[2].

وكذلك إسرائيل الديان الثاني بن شمويل المغربي، وتلميذه يافت بن دافيد بن شمويل بن صغير الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي[3].

ومن العلماء التلموديين الجنوي، الذي اشتهر ضريحه بفاس، وكان مزاره معروفاً لليهود، وهو من أب مسيحي وأم يهودية[4].

التفسير الصوفي «القبالي»:

كانت الوثنية في المغرب الأقصى لاتزال تؤثر في المجتمع المغربي، واختلطت عادات بعض المسلمين إلى حد ما بالمعتقدات الشعبية الموروثة، كما أن الأعمال السحرية القديمة خلَّفت إرثاً بالغ التعقيد، مما كون طبقة عريضة من السحرة كان لها أثرها في تركيبة العقل المغربي[5]. وكان معظم اليهود لايعرفون أساسيات القراءة والكتابة[6]، مما جعلهم يلجؤون إلى السحرة والأولياء[7]، مثل باقي المغاربة. وفي هذا الجو كان التصوف القبالي مضمون له النجاح[8]، خاصة

---

(1) ـ قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص76 .
(2) ـ حسن السائح: نفس المرجع، ص271 .
(3) ـ طوبيا سمحاة: نفس المرجع، ص51 .
(4) ـ حسن السائح: نفس المرجع، ص271 .
(5) ـ ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص23 ، 24 .
(6) ـ صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص312 .
(7) ـ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص100 .
(8) ـ الفرديل: نفس المرجع، ص379 .

بين المتعلمين والجهلاء تماماً[1]، لدرجة أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني الذي حكم في الفترة 685هـ/ 1286م إلى سنة 706هـ/ 1307م اتخذ الاجراءات اللازمة لتجنب إمكان قيام ثورة شعبية بتحريض هؤلاء المتصوفة ضد حكمه[2].

وبذلك ساد التفسير الباطني والقبالي «التقليد المتوارث»، وأخذ في الانتشار بين اليهود، لكي يصبح عند مجيء القرن الرابع عشر الميلادي مثار اهتمام الكثيرين منهم[3]. وانتشرت في المغرب مراكز لتعليم ونشر العلوم القبالية الباطنية، وتركزت في جنوب البلاد في سوس ودرعة والتخوم الصحراوية، حيث كانت تسود حركة صوفية هائلة، وكان بها نشاط قبالي كبير. إلى جانب المدن الكبرى مثل فاس ومكناس وسلا ومراكش[4].

والذي كان له الدور الكبير في انتشار القبالة كتاب «الزوهار»، الذي أصبح كتاباً مقدساً مثله مثل التوراة والتلمود. وأخذت منه نصوص أدمجت في الصلوات. وفي مدينة تودغا بالأطلسي الكبير تقول إحدى الأساطير: بأن كتاب الزوهار كتاب موحىً به، إلا أنه ظل خافياً عن الأنظار، ولم يظهر إلا حديثاً وأذاع هذه الأسطورة العالم القبالي إبراهام أزولاي المغربي[5].

والقبالة في بعض جوانبها ومظاهرها وطلاسمها تقارب السحر. وكان لها نفوذ واسع، خاصة القبالة التطبيقية، والتركيبات المختلفة للحروف الهجائية العبرية، وأسماء الملائكة، وعلم الفلك، وعلوم أخرى سحرية تنجيمية، كان الأحبار يستخدمونها دوماً[6]. وكان أعلام هذه القبالة كثيرون منهم:

(1) إبراهام سباع: أندلسي الأصل كتب في فاس فيما بين عامي 1498 و 1551م مؤلفه «صرور هامور» (حصن الرخام)، وله أيضاً شرح للتوراة أصبح من أمهات التفسير القبالي[7].

---

(1) - المرجع السابق، ص386 .
(2) - المرجع السابق، ص390 ، 391 .
(3) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص182 .
(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص197 ، 198 .
(5) - المرجع السابق، ص198 .
(6) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص183 ، 184 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص198 .
(7) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص199 .

(2) إسحاق لوريا الاشكنازي (1543 ـ 1572): رغم أن هذا العالم اليهودي لم يولد في المغرب الأقصى، إلا أنه كان مؤسس مدرسة صفد القبالية بفلسطين. وكان الطلبة اليهود من المغرب الأقصى من بين مريديه المشهورين الذين افتتنوا كغيرهم بتعاليم القبالة الجديدة التي كان يعلمها لهم، كيوسف بن طابول ومسعود ازولاي الأعمى وأبو حنا معارابي[1].

(3) يوسف كارو (1488 ـ 1575م): ولد في إحدى مدن الأندلس وطرد هو وعائلته مع من طرد من اليهود والعرب في عام 1492م إلى المغرب، ثم هاجر إلى استنبول عام 1498م، ثم استقر به المقام في فلسطين عام 1525م حيث أسس مدرسة تلمودية في صفد[2]، وألف كتاب شولحان عروخ أي المائدة المستديرة. وهو كتاب ضخم في الفقه اليهودي مقسم إلى عدة كتب منها: كتاب «يوره دعت» وكتاب «حشن همشباط» والكتابان باللغة العبرية. ويعتبر كتاب شولحان عروخ من أهم الكتب في الفقه اليهودي بعد كتاب «مشناه توراة» للعلامة موسى بن ميمون. وظهور كتاب شولحان صادف اختراع الطباعة فطبع منه الكثير، وأصبح في متناول الكثير من اليهود[3]. وكان كارو من المهتمين بالقبالة[4]. لذلك ترك أثراً كبيراً فيمن افتتنوا بالتعاليم القبالية من يهود المغرب الأقصى.

وبذلك يتضح دور العلماء اليهود في التفسير القبالي وأثره على المجتمع المغربي. ويرجع ذلك إلى طبيعة المغرب التي تأثرت بالوضع الاقتصادي والسياسي اللذين كان لهما أكبر الأثر في هروب كثير من الناس إلى التصوف، كملجأ من الانتكاسات التي كانت تتوالى على الدولة المرينية والوطاسية مما أدى إلى انتشار التصوف.

---

(1) ـ المرجع السابق، ص200 ، أسعد رزوق: نفس المرجع، ص185 .
(2) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص306 .
(3) ـ السيد محمد عاشور: الربا عند اليهودي، ص137 .
(4) ـ عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص306 .

2 ـ الجدل الديني:

كان من أهداف اليهود في بلاد المغرب الأقصى وغيره تشويه الحقائق الإسلامية وإفساد عقيدة المسلمين. ولذا فرض الإسلام على المسلمين حقوقاً لله تعالى. منها رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان. كما دعانا كتاب الله إلى مناظرة غير المسلمين وإقامة الحجة عليهم، وإبطال الادعاءات التي يقولون بها طعناً في دين الإسلام.

وكان هذا أول سبب من الأسباب التي دفعت محمد بن عبد الكريم المغيلي. وعبد الحق الإسلامي السبتي، إلى مجادلة اليهود ومن يتعامل معهم باعتبارهما من العلماء الذين توافرت لديهم كل المعلومات الأساسية التي تتطلبها المناظرات مع الخصوم من رجال الدين. وبجانب هذا كانت هناك أسباب أخرى دفعتهما إلى الدفاع عن عقيدتهما نذكر منها:

(1) سوء الأوضاع السياسية في أواخر عصر بني مرين وبني وطاس، وفساد الحياة الاجتماعية، والاستهتار بالناحية الدينية لدى بعض الحكام والقائمين بالأمر في البلاد، مما شجع بعض المتعصبين من اليهود على الطعن في الإسلام، مستغلين الضمور الفكري والفقهي، وشيوع التقليد في هذا العصر مثل النقل من المختصرات[1]، وتقاعس بعض رجال الدين عن دورهم في الدفاع عن الدين متساهلين في ذلك بانصياعهم لأوامر حكامهم الذين تحالفوا مع أعداء الدين[2].

(2) وجود المغيلي في عصر بلغ فيه تطاول اليهود على المسلمين حداً لايطيقه مسلم غيور.

(3) استعانة بعض السلاطين والأمراء المسلمين باليهود لتوطيد سلطانهم

(1) ـ أحمد بابا التنبكتي: نفس المصدر، ص414 .

(2) ـ المغيلي: مصباح الأرواح، ص58 .

ونصرتهم ضد خصومهم من أبناء عمومتهم من المسلمين[1]. هذه هي الأسباب التي دفعت المغيلي وعبد الحق الإسلامي السبتي وحملتهما على نقد العقيدة اليهودية ومناظرة أصحابها.

وأول من تصدى للرد على أحبار اليهود وكشف ألاعيبهم من خلال كتبهم، عبد الحق الإسلامي السبتي الذي أسلم، وألف رسالة في أواخر القرن الثامن الهجري تحمل اسم «السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود»، وذكر في خطبة الكتاب وخاتمته اسم السلطان المريني عبد العزيز الثاني[2]، وإن كان الصحيح أن السلطان المعاصر لهذا الموضوع، والذي كتب اسمه هو أبو سعيد عثمان الثاني بن أحمد المريني (801 ـ 831هـ/ 1398 ـ 1427م)[3]، وقد كتب هذه الرسالة بتوصية من أبي زيد عبد الرحمن بن الحاجب أبي العباس القبائلي المتوفي في ثلاثين من شوال من عام 802هـ/1399م[4].

وتتكون هذه الرسالة من خمسة أبواب، الأول: في تقرير المواضع التي في كتبهم وتتضمن صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مرسل لكافة الخلق، والثاني: في نسخ شريعته لجميع الشرائع، والثالث: في وقوعهم وتحاملهم في الأنبياء عليهم السلام، والرابع: فيما في توراتهم من الشرك والتجسيم والتغيير والتبديل، والخامس: فيما في كتبهم من تعظيم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومافيها من معجزاته وصفته وآياته[5].

أما المغيلي (ت909هـ/ 1503م) فقد تصدى لهم لسيطرتهم على

---

(1) ـ السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954 ، جـ4 ص98 .

(2) ـ محمد المنوني: مناقشة أصول الديانات في المغرب الوسيط والحديث، البحث العلمي عدد 13 يناير المغرب 1968 ، ص24 ، محمد المنوني: التيارات الفكرية في المغرب المريني، الثقافة المغربية عدد 5 المغرب 1391 هـ، ص93 ، 94 .

(3) ـ السلاوي: نفس المصدر، جـ4 ص87 ، 88 .

(4) ـ محمد المنوني: التيارات الفكرية، ص93 .

(5) ـ محمد المنوني: مناقشة أصول الديانات، ص25 ، محمد المنوني: التيارات الفكرية، ص94.

الاقتصاد، واستخفافهم بالأحكام، واحتقارهم لفقراء المسلمين، ونقضهم للعهد المبني أساساً على الخضوع المطلق لسلطة المسلمين، وتصدى كذلك لكل من يتعامل معهم من حكام ومحكومين[1]، وألف في ذلك كتاباً سُمي «مصباح الأرواح في أصول الفلاح»[2].

ويتكون هذا الكتاب من ثلاثة فصول، الفصل الأول: فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، والفصل الثاني: فيما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، والفصل الثالث: فيما عليه يهود هذا الزمان ـ الذي عاش فيه المغيلي ـ في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة لهم وخدمتهم السلطان.

وكان لهذا الكتاب أكبر الأثر على الفقهاء المسلمين في أقطار المغرب الثلاثةُ فحاولوا الرد على الكتاب بردود[3] اتسم بعضها بالعنف والتجريح، وذهب آخرون إلى الموافقة، في حين اتسم بعضهم بالاعتدال، ووصل الأمر حتى جاء المغيلي إلى فاس في عام 891هـ/ 1486م لمناظرة مخالفية بحضرة الشيخ ابن زكريا الوطاسي. ولما خرج الفقهاء المسلمون لملاقاته بعد ماستقر به المقام في فاس، طلب من أحد مماليكه محادثة الفقهاء المسلمون في نازلة اليهود، فأنف الفقهاء من الكلام مع المماليك ووشوا به إلى السلطان، مما تسبب في طرده فهاجر إلى توات[4]، وعاهد الله تعالى أن لايلقى سلطاناً أبداً[5].

واستغل اليهود وضعهم داخل الدولة المرينية فقاموا بعدة مكائد ضد

(1) ـ المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص13 ، 14 ، 15 .

(2) ـ حصلنا على كتاب المغيلي المذكور إضافة إلى كتاب أسئلة الاسكيا عن طريق تصويره من مركز التراث بتربية دمياط، جامعة المنصورة.

(3) ـ المغيلي: مصباح الأرواح، ص65 ـ 73 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ2 ص214 .

(4) ـ المغيلي: مصباح الأرواح، ص17 ، 18 ، التازي: النصوص الظاهرة، مجلة البحث العلمي، ص16 ، 17 .

(5) ـ ابن عسكر: دوحة الناشر من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، مخطوط مصور ميكروفيلم، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 1626 تاريخ) ورقة 95 .

المسلمين مثل تحريف القرآن. والمثال على ذلك هو ماحدث من يهودي كان يخدم السلطان أبا عنان، فقد غير شيئاً من القرآن لبعض الصبيان، وذلك أنه مرَّ بصبي يستفتي في قوله تعالى «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»، فقال اليهودي للصبي: قل ومن يبتغ الإسلام ديناً فلن يقبل منه. فأسقط الصبي لفظة غير، فأنكر عليه المعلم وقال له: من قال لك هذا؟ فقال الصبي: مر الآن بنا رجل، فقال له المعلم: أرني إياه. فلم يزل الصبي معه حتى لقيه، فذهب المعلم من حينه لأستاذ كان السلطان أبو عنان يأخذ القراءات عنه، وأخبر المعلم الأستاذ بما جرى، فأخذ السلطان في تجويد لوحه، فاتفق أن كان فيه قول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتوله منكم فإنَّه منهم»[1] فلما قرأها السلطان قال له أستاذه أعدها، فأعادها أكثر من مرة والأستاذ يطلب منه ذلك حتى وضع السلطان اللوح من يده وقام لصاحب السيف فقال له: إن خرجت ولم أجد رأس ذلك اليهودي على يمين الطريق وجسده على شماله جعلتك في مكانه. وبعد فترة وجد اليهودي كما أمر السلطان، فسأل الأستاذ السلطان، فقال له: كان ذلك بسبب تكريرك الآية فأخبره بفعلة اليهودي[2].

وإلى جانب هذا النوع من الجدل الديني الذي ثار في المغرب الأقصى بين المسلمين واليهود، كان لهؤلاء دور يذكر أيضاً في علم اللغة والدراسات اللغوية.

3 ـ الدراسات اللغوية:

كان علماء اللغة اليهود يرون أن النص التوراتي له معنى قد يتضح أحياناً وقد يغمض أحياناً أخرى. إلا أن كل كلمة إضافية أو عبارة قد تبدو غير مهمة لها هدفها أو قيمتها في النص التوراتي. ومن هنا جاء اهتمامهم بدراسة اللغة من

(1) ـ قرآن كريم: سورة البقرة آية 85 .
(2) ـ المغيلي: مصباح الأرواح، ص58 ، 59 .

خلال استخدامها في النص التوراتي ودلالتها في التفسير[1].

وأثر المسلمين واضح في ذلك من خلال اهتمامهم بالحروف ومعانيها، وعنايتهم الخاصة بها. حتى أفرد لها النحويون مؤلفات منفردة مثل سيبيويه المتوفي عام 180هـ/ 797م[2]، وكانت كتاباته لها دور كبير في تجديد النحو العبري في فاس[3].

فقد استفاد من هذا التطور اللغوي علماء يهود منهم داود بن أبراهام الفاسي، الذي ولد في فاس وكان من مؤلفاته كتاب «جامع الألفاظ» أو «الأجرون»[4]، الذي وضعه لشرح مفردات التوراة[5].

وكذلك يهودا حيوج وكان يسمى بالعربية أبو زكريا داود، وهو نحوي يهودي ولد في فاس في القرن العاشر الميلادي، ثم ذهب إلى قرطبة، وظل بها إلى أن مات. ومن أهم مؤلفاته كتابه عن الأفعال ذوات حروف اللين، والأفعال ذوات المثلين[6]، وكتاب التنقيط، وكتاب خاص بالأسماء وشرح قواعد تشكيلها[7].

---

(1) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص294 ، 295 .

(2) ـ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، طبعة ثانية، دار المعارف مصر 1984 ص72 .

(3) ـ حسن السائح: نفس المرجع، ص70 .

(4) ـ حسن ظاظا: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، بدون ناشر القاهرة 1971 ، ص160 ، ومؤلف الأجرومية هو محمد بن محمد بن داود الصهناجي المشهور بابن أجروم، واجروم باللغة البربرية تعني الفقير الصوفي، انظر، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، أبو الفضل ابراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه طبعة أولى القاهرة 1964 جـ1 ص238 .

(5) ـ طوبيا سمحاة: نفس المرجع، ص49 ، عبد الرازق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص221.

(6) ـ حروف اللين هي الواو والألف والياء (واي)، والأفعال ذوات المثلين هي ذات الحرفين المتماثلين مثل استمر... استمرر. مر... مرر. انظر. أحمد أبو الخير: الصرف العربي قراءة أصواتية، جـ1 القاهرة 1990 ، ص22 ، محمد أبو الفتوح: علم الصرف، دراسة وصفية، دار المعارف القاهرة 1986 ، ص63 .

(7) ـ عبد الرازق أحمد قنديل: نفس المرجع، هامش ص214 .

وكان ذلك بمثابة بداية الدراسات اللغوية التي فتحت الباب على مصراعيه لعلماء اللغة اليهود للمقارنة بين لغتهم واللغة العربية، لاستخلاص قواعد لغتهم العبرية[1]. وتبلورت هذه العلاقة على يد العالم اليهودي «راشي»[2] من خلال دراساته اللغوية والتفسيرية وخلافه، والذي ترك أكبر أثر في كل من أتى بعده. فكان له أثر عظيم على علماء المغرب الأقصى، لأن الثقافة العبرية كلها تنصهر في خدمة التوراة، وتتمحور الحياة الفكرية حول نموذج شرعي وروحي في آن واحد، لأن كل مايبدع يكتسي صبغة دينية[3].

4 ـ الإبداع الأدبي:

خضع أدب اليهود المغاربة لمؤثرين اثنين: مؤثر إسلامي من جهة، والتوراة والتلمود والقبالة من جهة أخرى. وأول مانلاحظه في ذلك أن اليهود تخلوا عن اللغة العبرانية والآرامية وكتبوا إبداعهم بالعربية التي كانت لغة السواد الأعظم[4]. ثانياً: لابد من الرجوع إلى ماقبل الفترة الزمنية موضوع البحث لمعرفة مدى تأثر أدباء اليهود بمن سبقوهم والذين كان لهم أكبر الأثر عليهم. وكان على رأس هؤلاء الأدباء الشاعر اليهودي دوناش هيلفي بن لبراط، الذي ولد في مدينة فاس في عام 478 هـ/ 1085م، وذهب إلى الأندلس ونهل من ثقافتها، وكان لهيلفي دور كبير في إدخال أوزان الشعر العربي إلى الشعر

---

(1) ـ سليم شعشوع: نفس المرجع، ص114 .

(2) ـ العالم اليهودي راشي هو (الحاخان شالومو يصحن) الذي اشتهر باسم «رشي» ولد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بمدينةترويز بشمال فرنسا، وتلقي تعلميه الأولي في هذه المدينة وأظهر منذ حداثته ميلاً للدراسات الدينية إلى أن أصبح صاحب مدرسة في التفسير إلى جانب دراسات أخرى. انظر عبد الرازق أحمد قنديل نفس المرجع، ص278/267 .

(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص168 .

(4) ـ عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص437 .

العبري، وكان ذا باع طويل في شعر المدح، وقد نظم قصائد عدة مدح بها عدة شخصيات في الأندلس وافريقيا الشمالية(1).

والشاعر ىبراهيم بن سهل الإسرائيلي الذي نشأ باشبيلية في عهد الموحدين، ثم هجرها بعد استيلاء الاسبان عليها، واتصل بابن خلاص والي سبتة ومات غريقاً في عام 649هـ/ 1251م. وله ديوان شعر اتسم بالرقة، وسئل عن سبب رقته فقيل إنَّه اجتمع فيه ذلان؛ ذل اليهودية وذل العشق(2) في صبي يهودي كان يهواه اسمه موسى بن عبد الصمد(3).

ورغم وجود هذا النشاط الأدبي، إلا أن المصادر لم تمدنا بأي شاعر من الشعراء اليهود الذين كتبوا باللغة العربية الفصحى في عصر بني مرين. ولكن نجد كماً من الشعراء اليهود المتصوفة خاصة في الجنوب الذي ازدهر فيه هذا اللون من الشعر، إذ إنهم كانوا يجهلون اللغة العربية الفصحى. وزاد عددهم في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي(4)، فانتشر الشعر القبالي في الجنوب باللغة المحلية «بربرية وقشتالية».

الكتابات القبالية:

كان لانتشار الصوفية والأولياء أصحاب الكرامات أكبر الأثر في انتشار الأدب الصوفي والشعبي، وهؤلاء الصوفية غالباً هم إفراز لمرحلة داخلية مظلمة بالمغرب الأقصى، إلى جانب تكالب الخطر الخارجي وعدم قدرة السلطة المركزية على ردعه(5).

---

(1) ـ سليم شعشوع: نفس المرجع، ص125 .

(2) ـ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ3 من ص522 ـ 526 .

(3) ـ لجنة من الأساتذة: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف مصر، بدون تاريخ، ص142 .

(4) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص186 .

(5) ـ ابراهيم القادري، الإسلام السري، ص135 ، 136 .

كل ذلك أفرز أزمة كان ضحيتها الطبقات الشعبية اليهودية التي عبرت عن أزمتها باستخدام السحر والتعبير الأدبي القبالي.

وتنتشر العلوم الباطنية «القبالية» في جنوب البلاد في السوس ودرعه والتخوم الصحراوية، حيث كانت تسود حركة صوفية هائلة، وكان بها نشاط قبالي كبير[1]، خاصة في مطلع القرن الرابع عشر عند ظهور كتاب الزوهار[2] الذي لعب دوراً كبيراً في الحياة الفكرية مثل التوراة والتلمود كما سبق القول.

وقد عكس الأدب القبالي الكتابات الخاصة بالشعائر الدينية التي تعتمد على الوعظ الديني «المدارشي»، والشطحات الصوفية التي كانت وقفاً على نخبة ضئيلة جداً من العارفين محدودة العدد[3]. ولذلك وجد عدد من الأدباء لهم مؤلفات عدة في الأدب القبالي منهم:

(1) **ابراهام سباع، ومسعود أزولاي، واسحاق لوريا الاشكنازي** الذين سبق الحديث عنهم في نفس هذا الفصل[4].

(2) **شمعون لابي**: استقر في فاس بعد الطرد من قشتالة، وتعرض لمختلف عادات وتقاليد مدينة فاس في كتابه «كيتيم باز» (الذهب الابريز)، إلى جانب قصيدته الصوفية «باريوحاي» التي أصبحت جزءاً من طقوس عيشة يوم السبت[5]. وهؤلاء الأدباء برغم كونهم أندلسيين إلا أنه كان لهم دور كبير في الأدب اليهودي في المغرب الأقصى، إذ استقروا في هذه البلاد وصاروا ممثلين للأدباء اليهود فيها، حيث إننا لم نعثر على أدباء يهود من الأصل المغربي الخالص وخاصة من جنوبي البلاد، حيث كان تمركزهم هناك

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص197 ، 198 .
(2) ـ أسعد رزوق: نفس المرجع، ص183 .
(3) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص198 .
(4) ـ الرسالة: ص183 ـ 184 .
(5) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص199 .

كثيراً كما أشرنا سابقاً، ولكون المغرب كان يعاني في تلك الفترة من ضعف في بعض النواحي منها الناحية الثقافية التي أشرنا إليها وإلى أسبابها.

(ب) العلوم العقلية:

هي تلك العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره ومداركه[1] وتخضع للتجربة، ولذلك فهي لاتختص بملة أو دين معين، بل يجب النظر فيها لأهل الملل كلها، وقد اشتملت هذه العلوم على عدة علوم مثل علم الفلك (علم الهيئة) والفلسفة والمنطق والطب ولكن المصادر تمدنا بمادة لاتشفى غليل الباحث في هذا المجال.

1 ـ علم الفلك «علم الهيئة»:

هو علم يبحث في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة، كما يبرهن على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس[2]، ومن فروعه علم الأزياج، وهو صناعة حسابية على قوانين عددية، فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، ويعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت وكما يمكن به معرفة الشهور والأيام والتواريخ السابقة، والتنبؤ بالحوادث المستقبلية.

ولهذه الصناعة في عصر بني مرين وبن وطاس قوانين مثل المقدمات والأصول في معرفة الشهور والتواريخ الماضية وأصول متقررة في معرفة الأوج والحضيض، والميول وأصناف الحركات، واستخراج بعضها عن بعض، ليضعوها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين، وهذه الجداول تساعد على معرفة مواضع الكواكب، ويسمونها «الأزياج»، وقد اعتمد العلماء على زيج منسوب لابن اسحاق من منجمي تونس في أول المائة السابعة للهجرة، وهو أهم مرجع

(1) ـ ابن خلدون: نفس المرجع، م1 ص779 .
(2) ـ المصدر السابق، م1 جـ2 ص905 .

في علم الأزياج[1]، وقد لخصه ابن البناء العددي (ت 723هـ/ 1323م) وسماه منهاج الطلاب في تعديل الكواكب[2].

وبالأندلس في مدينة شلمنقة[3]، وضع الإسرائيلي ابراهيم الشلمنقي رسالة زيج زكوط باللغة العبرية في عام 877هـ/ 1472م ووضعت الرسالة حسب موقع شلمنقة[4]. والزِّيجْ هي الجداول الموضوعة لتعديل الكواكب، وبلغ عددها 248 جدولاً موزعاً على 248 صفحة، حيث ينقسم كل جدول ـ طولاً وعرضاً ـ إلى مربعات، يرسم بداخلها الأعداد المعنية بالأمر، ووظيفة هذه الجداول أن يستخرج بواسطتها الحركات الطولية والعرضية للكواكب المرصودة، حتى يعرف موضع هذه الكواكب في فلك دائرة البروج لأي وقت فرض، كما يعرف منها أيضاً زمن حصول الكسوف للشمس والخسوف للقمر وما إلى ذلك[5].

وقام المعلم يوسف الأندلسي نزيل مراكش بتعريب رسالة زيج زكوط إلى اللغة العربية بعد عام 877هـ/ 1472م[6]، وكان المعلم يوسف مهتماً بهذا العلم وله خبرة بعلم التنجيم[7]، وأقبل المغاربة على زيج زكوط عندما ترجم إلى

---

(1) ـ المصدر السابق: م1 جـ2 ص907 ، 908 .
(2) ـ الحريري: المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص347 .
(3) ـ شلمنقة: عرفت عند العرب بشلمنقة وتبعد عن سرقسطة عشر مراحل وتبعد 172 ميلاً بالسكة الحديد شمال غرب مدريد، اشتهرت بجامعتها التي أسسها الفونصو التاسع ملك ليون في عام 1220م واستمرت حتى عام 1812م. انظر البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الارشاد بيروت 1968م ص63 ، الادريسي: نفس المصدر، جـ2 ص733 ، محمد المنوني: ظاهرة تعريبية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلدان الحادي عشر والثاني عشر 1963 ، 1964م، هامش ص348 .
(4) ـ محمد المنوني: ظاهرة تعريبية، ص348 .
(5) ـ المرجع السابق، ص349 .
(6) ـ المرجع السابق، ص353 ، 354 .
(7) ـ محمد رزوق: نفس المرجع، ص283 .

العربية نظراً لكونه لايحتاج لكثرة العمليات الحسابية في المرصد عكس زيج ابن البناء العددي[1].

2 ـ الفلسفة:

لم تحظ الدراسات الفلسفية الإسلامية أو اليهودية باهتمام كبير نظراً لما وقع لابن رشد من أبي يوسف يعقوب المنصور الذي تولى عام 580هـ/ 1184م والذي أمر باعتقاله ونفيه في عام 592هـ/ 1195م إلى مدينة اليسانة، وأصدر مرسوماً لعامة المسلمين ينهاهم فيه عن قراءة كتب الفلسفة أو التفكير في الاهتمام بها، ووصل الأمر لأن أحضر ابن رشد وأمر السلطان الناس بلعنه ولعن المشتغلين بالفلسفة وأمره بتحريم دراسة الفلسفة[2]، وحرق كل مؤلفات ابن رشد في المغرب، وكان سبب ذلك هو النزاع بين علماء الدين والفلسفة[3].

فكان لهذا الحدث أكبر الأثر على الفلاسفة المسلمين واليهود في العصر المريني حيث أنهم لاقوا مقتاً وكراهية مثل أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني وهو من المشتغلين بعلوم الفلسفة. ورغم ذلك يوجد من اشتغل بالفلسفة[4]، وإن كان عددهم قليل على العكس من اليهود من تلاميذ مدرسة موسى بن ميمون ومدرسة ابن رشد[5].

ورغم ذلك لم يسلم تلاميذ هاتين المدرستين من اضطهاد رجال الدين اليهودي «الاكليروس»[6]، الذي اشتد اضطهادهم للفلاسفة اليهود، فأخذت

---

(1) ـ محمد المنوني: ظاهرة تعريبية، ص348 ، 349 ، محمد حجي: نفس المرجع، جـ1 ص163 .

(2) ـ محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف مصر 1972 ، ص139 .

(3) ـ المرجع السابق، ص140 .

(4) ـ ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف مصر، جـ1 ص280 .

(5) ـ محمد غلاب: نفس المرجع، ص135 .

(6) ـ المرجع السابق، ص135 .

الفلسفة اليهودية في الاضمحلال منذ القرن الخامس عشر للميلاد حتى إذا أقبل القرن السادس عشر للميلاد استعان الاكليروس في مقاومتها بفكر الإمام الغزالي الذي اشتد في هجومه على الفلسفة في العالم الإسلامي فترجموا كتابه «تهافت الفلاسفة» حوالي عام 945هـ/ 1538م ليدحضوا به فكر اتباع ابن رشد وأرسطو من اليهود فاضطر الكثيرون من الفلاسفة اليهود إلى مغادرة الأندلس[1]، فلجأوا إلى إسبانيا المسيحية وإلى جنوب فرنسا حيث كان التسامح في تلك المقاطعات موفوراً بعض الشيء[2] ونقلت معهم مؤلفات ابن رشد حيث ترجمت إلى العبرية والاتينية[3].

ولهذا صارت برشلونة في اسبانيا وناربون ومونبلييه ولونيل ومارسيليا في فرنسا مراكزاً للثقافة الفلسفية التي وجدت فيها العقول مسرحاً لابداء آرائها[4]، واكتفى الفلاسفة اليهود الذين لم يرحلوا عن المغرب الأقصى اختصار أهم الكتب مثلما فعل المسلمون.

3 ـ المنطق:

هو علم يعرف به الصحيح من الفاسد في الكلام في حدود المعرفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات[5]. وقد شهد العصر المريني نشاطاً في علم المنطق أكثر من الفلسفة لأن المشتغلين بالمنطق لم يلقوا معارضة مثل المشتغلين بالفلسفة[6]، فاشتغل بهذا العلم عدد قليل مثل ابن الخطيب. ولكن في

---

(1) ـ توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر الطبعة الثانية 1958م، ص94 .

(2) ـ محمد غلاب: نفس المرجع، ص136 .

(3) ـ توفيق الطويل: نفس المرجع، ص94 .

(4) ـ محمد غلاب: نفس المرجع، ص136 .

(5) ـ ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ2 ص908 .

(6) ـ الحريري: المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص348 .

نهاية دولة بني مرين لم يلق هذا العلم اهتماماً من علماء المغرب، ولذلك لم يتداولوا إلا كتب المتأخرين وهجروا كتب المتقدمين وطرقهم فصارت كأن لم تكن، وهي ممتلئة من ثمرة المنطق وفائدته[1].

وسبب تركهم هذا العلم يفهم من المراسلات التي دارت بين الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشيخ جلال الدين السيوطي يقول المغيلي:

سمعت بأمرها سمعت بمثله — وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة — وينهي عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلا عبارة — عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معاينة في كل الكلام فهل ترى — دليلاً صحيحاً لايرد لشكله
أرني هداك الله منه قضية — على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور وذمة — رجال وإن أثبت صحة نقله[2]

فأجابه السيوطي بقوله:

عجبت لنظم ماسمعت بمثله — أتاني عن حبر أقر بنبله
تعجب مني حين ألفت مبدعاً — كتاباً جموعاً فيه جم بنقله
أقرر فيه النهي عن علم المنطق — وماقاله من قال من ذم شكله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى — علوم يهود أو نصارى لأجله[3]

ويعني ذلك في رأي السيوطي أن علم المنطق من علوم اليهود والنصارى ويحرم الاشتغال به، وكان المغيلي ممن يكره العمل بهذا العلم مثل السيوطي والغزالي وابن تيمية وابن الصلاح[4].

---

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م1 جـ2 ص913 .

(2) - آدم عبدالله الألوري: الإسلام في نيجيريا، دار العربية بيروت 1971 ، ص89 ولمزيد من التفاصيل انظر نفس المرجع ص90 .

(3) - المرجع السابق، ص90 .

(4) - عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات كبار المستشرقين، دار النهضة العربية القاهرة 1965 ، ص164 ، 165 .

وفي هذا الجو الاضطهادي الذي صاحب الفلاسفة المسلمين واليهود تأثر علم الفلسفة والمنطق، فاتسم القرن العاشر بخفوت صوت هذه الدراسات[1]، ولم يهتم العلماء إلا بتحفيظ الفقه فقط[2].

4 ـ الموسيقى:

كان لانتقال الموسيقى الأندلسية إلى المغرب الأقصى نتيجة للهجرات الكبيرة التي اضطر إليها المسلمون واليهود نتيجة لحركات الاسترداد المسيحية، أكبر الأثر على أنماط التعبير الموسيقي لحناً وإيقاعاً وأداء، وأسهم بدور فعال في ظهور أصناف من الآلات بسائر أنواعها[3].

إلى جانب ذلك تطورت الموسيقى الزجلية في العصر المريني والوطاسي واستخدمت قصائد خفيفة للغناء قوامها أوزان قصيرة، وزاد نجاح هذه الأغاني وانتشارها في صحراء تافيلالت التي كانت بحق مرتعاً خصباً للزجل في مراحل تطوره وفي غيرها من أقاليم المغرب[4]، نظراً لكون الزجل كان يقال ويغنى باللغة العامية في الأسواق والحفلات بمساعدة بعض الآلات الموسيقية وجوقة من المنشدين[5].

ونظراً لانتشار الموسيقى فقد أخذها الأطباء لعلاج المرضى[6]، وعلى غرار المسلمين، واصل اليهود المغاربة الحفاظ على التقاليد الموسيقية الأندلسية فكانوا

---

(1) ـ المغيلي: مصباح الأرواح، ص12 .

(2) ـ هذا مايراه المقري: انظر أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط1 القاهرة 1942 ، جـ3 ص26 .

(3) ـ عبد العزيز عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، عالم المعرفة عدد 65 الكويت 1983 ، ص6 .

(4) ـ المرجع السابق، ص55 .

(5) ـ محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983 ص111 .

(6) ـ عبد العزيز عبد الجليل: نفس المرجع، ص57 .

يغنون الأغاني الشعبية في الأعراس والحفلات العائلية المتنوعة، إلى جانب الانشاد الديني حيث كذلك كانوا يفعلون في الأعياد الدينية في البيعة[1].

5 ـ الطب والصيدلة:

من العلوم التي لاقت رواجاً على مر أجيال عديدة، مهنة الطب، نظراً لأن الأمراض اقترنت بالسحر في الحضارات القديمة، أما منشأ الطب فكان على يد الطبيب اليوناني الكبير جالينوس الذي ولد في عام 131م وتوفي عام 201م، واتخذه الأطباء مثلهم الأعلى[2].

وكان للطب والصيدلة عناية كبيرة من قبل سلاطين بن مرين وبني وطاس الذين اهتموا بالشؤون الصحية للرعية، فبنوا المستشفيات ونظموا هذه المهنة[3].

فمن مشاهير الأطباء الذين نشأوا في بلاد المغرب أو زاروها الطبيب أحمد بن المغربي الإشبيلي الذي كان يهودياً ويقال له: سليم، فأسلم ومات في عام 718هـ/ 1317م وكان بارعاً في عدة علوم[4]، وإماماً في الفلسفة وخلافه وولي رئاسة الأطباء بديار مصر[5].

وفي العصر الوطاسي رحب شمال افريقيا باللاجئين الاسبان والبرتغال واستخرجوا لهم تصاريح المواطنة[6]، فاستقر منهم عدد ضخم ترك اسبانيا عبر مضيق جبل طارق[7]، وكان منهم علماء وأطباء مثل الطبيب الذي استدعاه السلطان محمد الشيخ لعلاج جروح أحمد الوطاسي أثناء حروبه ضد

---

(1) ـ حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص187 .

(2) ـ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1973 ، ص241 .

(3) ـ الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص326 .

(4) ـ أحمد عيسى: معجم الأطباء من 65هـ إلى يومنا هذا ذيل على عيون الأطباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، دار الرائد العربي بيروت 1982 ، ص125 .

(5) ـ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جـ2 القسم الأول، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1971 ، ص188 .

(6) - Solomon. op. cit. p. 729

(7) - Brocolman. op. cit. p. 220

السعديين[1]، ويوجد طبيب آخر في آسفي كان له دور كبير في التجسس[2]، ولم يسعفنا مارمول كربخال باسمي هذين الطبيبين.

ومن الأطباء الذين قاموا بممارسة مهنة الطب والتأليف المعلم يوسف الأندلسي وهو من المستقرين بمراكش، ويرجح أن يكون هو يوسف الحكيم، وكان رجلاً أندلسياً له خبرة بالعلوم الحكيمة كالطب والتنجيم، خرج من الأندلس فاراً من النصارى، واتصل بأرباب الدول، وكان حكيماً يشهد له بالتقدم في علم الكلام والفلسفة، وقام بترجمة الرسالة الزكوطية في علم الفلك[3].

والطبيب والمؤلف ابن نظير اليهودي، له مؤلف في طب الأعشاب[4]، وكذلك الطبيب والمؤلف هارون بن اسحاق ابن عزرون، وله أرجوزة في الحميات والأورام وهو ذيل لارجوزة ابن سينا الطبية[5].

ومن النادر أن نجد طبيباً متخصصاً بل كان الأطباء لهم دور في كافة العلوم الثقافية مثل الفلك والتفسير التلمودي واللغة وعلوم أخرى[6].

وفي نهاية هذا الفصل نجد أن الحركة الثقافية عند المسلمين في بلاد المغرب اهتمت بنسخ الأصول وحفظ ماسبق، فما بالك بالثقافة اليهودية التي وصفها موسى بن ميمون أبلغ وصف عندما كان بالمغرب الأقصى حوالي عام 560هـ/ 1165م، فتحدث عن جهل اليهود بأمور دينهم وعن تحجر دراستهم التلمودية[7].

---

(1) ـ مارمول كربخال: نفس المصدر، جـ1 ص473 .

(2) ـ المصدر السابق، جـ2 ص73 .

(3) ـ محمد رزوق: نفس المرجع، ص283 .

(4) ـ حبيب بن خوجة: نفس المرجع، ص82 .

(5) ـ محمد حجي: نفس المرجع، جـ1 ص160 ، محمد رزوق: نفس المرجع، ص275 .

(6) ـ Therese and Mendel metzger. op. cit. p 158.

(7) ـ الهادي روجيه ادريس: نفس المرجع، جـ2 ص426 .

ولذلك رفض بعض اليهود المطرودين من إسبانيا والبرتغال أن يعيشوا مع اليهود البربر لتدني مستواهم الثقافي ومن بقي منهم داهنوا الحكام[1]. وصاحب هذا الضعف الثقافي ركود نشاطهم التجاري وهيمنة مدن البحر المتوسط المسيحية على التجارة العالمية، وتحول التاجر اليهودي إلى تاجر محلي، وتقوقع داخل القطر المغربي فتحولت ثقافته إلى ثقافة محلية مغلقة ولذلك لم يكن أمام هذا اليهودي إلا نسخ الأصول وحفظ المتون.

Solmon. op. cit. p. 729. - (1)

الخاتمة

كان ظهور اليهود بالمغرب العربي مواكباً للمد التجاري الفينيقي وازداد معه الاضطهاد الروماني لليهود في بلاد الشام حيث هاجر عدد آخر ن اليهود إلى بلاد المغرب ولاحقهم الرومان هناك فكان لذلك أكبر الأثر في هروبهم إلى الداخل منغلقين على أنفسهم، وشجعهم على ذلك ديانتهم وتلمودهم، ومع مجيء الإسلام للمغرب أعطاهم المسلمون قدراً كبيراً من التسامح، ولكن غشهم وخيانتهم جعل المرابطين والموحدين يصبون جام غضبهم عليهم، فزاد تقوقع اليهود في داخل البلاد وأظهر بعضهم إسلامهم، ولكن كان إسلاماً اسمياً، ولذلك ظهر مصطلح البلديين الذي أطلق على من أسلم من اليهود قديماً، ومصطلح الإسلاميين الذي أطلق على من أسلم منهم حديثاً.

ومن رصدنا للأعياد اليهودية وجدنا أن هذه الأعياد كانت ذات أصول شرقية سرقت من الحضارات الفرعونية والبابلية والفينيقية والفارسية، ولكثرة تواجدهم منذ زمن طويل بالمغرب الأقصى وجدنا خصوصية لهذه الأعياد تختلف إلى حد ما عن الأعياد في المشرق وإن أغلبها ذات صبغة زراعية لأنها مسروقة من بلاد ذات أصول حضارية زراعية عكس مايدعيه اليهود من أنهم تجار وليسوا زراعيين.

وبالتقوقع داخل المغرب الأقصى انعزل اليهود عن العالم الخارجي إلا فئة مارست التجارة، وهذه كانت تستقر في المدن الكبرى والساحلية، أما

المتقوقعون بالداخل فتخلفوا عن الركب الحضاري الذي اجتاح العالم الإسلامي، مما جعل موسى بن ميمون يتهمهم بالجهل والتخلف.

وفي بحثنا هذا أثبتنا وجود طائفتين الأولى ربانيون وهم أشهر الطوائف اليهودية وأكثرها عدداً ويطلق عليها التلموديون ويتم اختيار مجلس الطائفة اليهودية بالمغرب الأقصى من الربانيون عكس القراؤون وهم أقلية، رغم إنكار عدد من المؤرخين المغاربة لتواجدهم. وكان هؤلاء القراؤون متأثرين بأفكار فرقة المعتزلة الإسلامية، ولذلك اعتمدوا على النص التوراتي مباشرة وأنكروا التلمود.

ونتيجة لهذه الدراسة وجدنا لليهود دوراً في الزراعة رغم صغر المساحة التي كانوا يقومون بزراعتها، ولكن كان بعضهم يهرب منها إلى امتهان حرف بعيدة عنها رغم دعوة التوراة لهم إلى تقديم قرابين للإله مما تخرجه الأرض التي يزرعها اليهود. كما وجد لليهود دور كبير إلى حد ما في الصناعة والحرف، خاصة الحدادة والصباغة والصياغة في دور السكة، فكانت هذه الصناعات شبه قاصرة على اليهود لكثرة تواجدهم فيها نظراً لما تحتاجه من مشقة، مما جعل بعض الفقهاء يطلبون من السلاطين والخلفاء إبعاد اليهود عن هذه الصناعات لكثرة غشهم فيها، فكان السلاطين والخلفاء يصدرون الأوامر للمحتسب والشرطة بمنع اليهود من ممارسة هذه الحرف، وممارسة صناعات أخرى يكون الغش فيها قليل الضرر، مما جعل البعض من المستشرقين يتهمون المسلمين بترك الصناعات الحقيرة لليهود، وبالبحث وجدنا أن اليهود المغاربة كانوا مشاركين في أغلب الصناعات والحرف، ولكن تكالب اليهود على الثراء السريع جعلهم يمتهنون بعض الصناعات التي لايقبل عليها المغربي بكثرة.

كما أن لليهود دور كبير في التجارة العالمية مستغلين وضعهم كأهل ذمة في الانتقال بتجارتهم بين بلاد المسلمين وأوروبا فأثروا ثراءً كبيراً، ولكن مع ازدياد قوة أوروبا وسيطرتها التجارية على البحر المتوسط الذي كان بحيرة إسلامية فأصبح بحيرة مسيحية، ضاع دور التاجر اليهودي خاصة المغربي فتحول إلى تاجر محلي، واقتصر دوره على جلب المواد الخام التي يشتهر بها

الجنوب المغربي إلى المواني المسيطر عليها من قبل المستعمر الأوربي وتسليمها للتجار النصارى الوافدين عليها، ولذلك نشط الجنوب المغربي عن شماله وبدأت تظهر طرق تجارية جديدة مما جعل أغلب اليهود يتحولون إلى العمل بالربا والمضاربة مع المسيحي والمسلم مستغلين الحروب والأزمات الاقتصادية، كذلك تعاملوا بالربا مع إخوانهم اليهود رغم تحذير التوراة والتلمود من التعامل بالربا مع اليهودي وحرية التعامل به مع الغير.

وبالبحث وجدت عدة طرق يتعامل بها اليهود في المغرب الأقصى ونهت عنها كتب الفقه الإسلامي، مثل بيع النجش وبيع المرابحة وبيع الجزاف وأنواع أخرى إلى جانب الدور الكبير لهم في نظام التعامل بالوكالة، فكانوا وكلاء عن بعض الملوك وكبار القوم المغاربة الذين كانوا يوكلون اليهود في تدبير مواردهم لمعرفتهم بدقائق الأمور المالية، ويتضح من ذلك أن اليهود مارسوا عدة أنواع من المعاملات غير الشرعية التي كانت تدر عليهم أموالاً طائلة.

كذلك أظهرت هذه الدراسة قيام اليهود بتربية الأطفال والشباب تربية دينية عنصرية تقوم على العداء للغير، وعلى التمسك بالعادات الدينية والاجتماعية التي ليس لها اصل يهودي والإدعاء بيهوديتها، فكان من نتيجة هذا التعليم خلق طلاب متعصبين ليهوديتهم رغم تربيتهم على الثقافة الإسلامية التي تأثروا بها في جميع علومها.

وبالبحث لم نجد إبداعاً يهودياً خاصاً بهم بل اعتمدوا على النمط والثقافة العربية الإسلامية، فكان الأثر الإسلامي واضحاً في شتى علومهم إلى جانب الحرية التي تمتعوا بها في المجتمع الإسلامي خاصة المغربي، ولكن مع انحدار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي انحدر الوضع الثقافي مما كان له أكبر الأثر في هروب كثير من الناس إلى التصوف كملجأ من الانتكاسات التي كانت تتوالى على الدولة المرينية والوطاسية، مما أدى إلى انتشار التصوف القبالي خاصة في الجنوب الذي يكثر فيه التواجد اليهودي.

ومن النتائج البارزة أيضاً أن اليهود تولوا أرفع المناصب بالدولة المرينية

والوطاسية نتيجة للحرية التي حصلوا عليها، حيث تولى بعضهم الوزارة في نهاية الدولة المرينية، أما عهد الوطاسيين فتميز بكون السفراء من اليهود، خاصة المهاجرين منهم من ذوي الثقافة الأندلسية والذين كانوا يجيدون عدة لغات، وسبب استخدامهم لليهود في السفارة إلى البلاد الأوروبية يعود إلى عدم ثقة الوطاسيين في إرسال مسلمين إلى البرتغاليين أو الاسبان خوفاً من التحالف معهم ضدهم فكان اليهود أجدر من يقوم بهذا العمل في نظر الوطاسيين، ورغم هذه الثقة فقد استغلوها لصالحهم ولصالح طائفتهم.

وبالبحث وجد لليهود دور كبير في الفتن والاضطرابات نتيجة للغش الذي اتسم به اليهودي، سواء في الصناعة أو في التجارة أو في السياسة مما جعلهم طائفة منبوذة داخل المغرب الأقصى، ولم يكن لهم دور كبير في حركة الانتاج لأن هدف اليهودي هو تحويل مدخراته إلى النوع السائل الذي يسهل حمله من بلد إلى بلد.

كل ذلك جعل اليهود يعيشون على هامش المجتمع المغربي وأعطى لهم نوعاً من الاستقلال، مما دعم فكرة العنصرية والانعزال والتقوقع داخل الأحياء التي كانوا يسكنونها رغم إعطائهم الحرية في كافة تحركاتهم داخلياً وخارجياً.

الملاحق

جدول بأسماء الأمراء والسلاطين المرينيين:

1 - أبو محمد عبد الحق بن أبي محيو بن أبي بكر ابن حمامة المريني (592 - 614هـ/ 1195 - 1217م)
2 - أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (أدرغال) (614 - 637هـ/1217 - 1239م)
3 - محمد (الأول) بن عبد الحق (637 - 642هـ/1239 - 1244م)

السلاطين:

4 - أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق (642 - 656هـ/1244 - 1258م)
5 - أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (656 - 658هـ/1258 - 1286م)
6 - أبو يعقوب يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله (658 - 706هـ/1286 - 1306م)
7 - أبو ثابت عامر بن أبي عامر (706 - 708هـ/1306 - 1308م)
8 - أبو الربيع سليمان بن أبي عامر (708- 710هـ/1308 - 1310م)
9 - أبو سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب (710 - 732هـ/1310 - 1331م)
10 - أبو الحسن علي بن عثمان (732 - 749هـ/1331 - 1348م)
11 - أبو عنان فارس المتوكل بن علي (749 - 759هـ/1348 - 1357م)

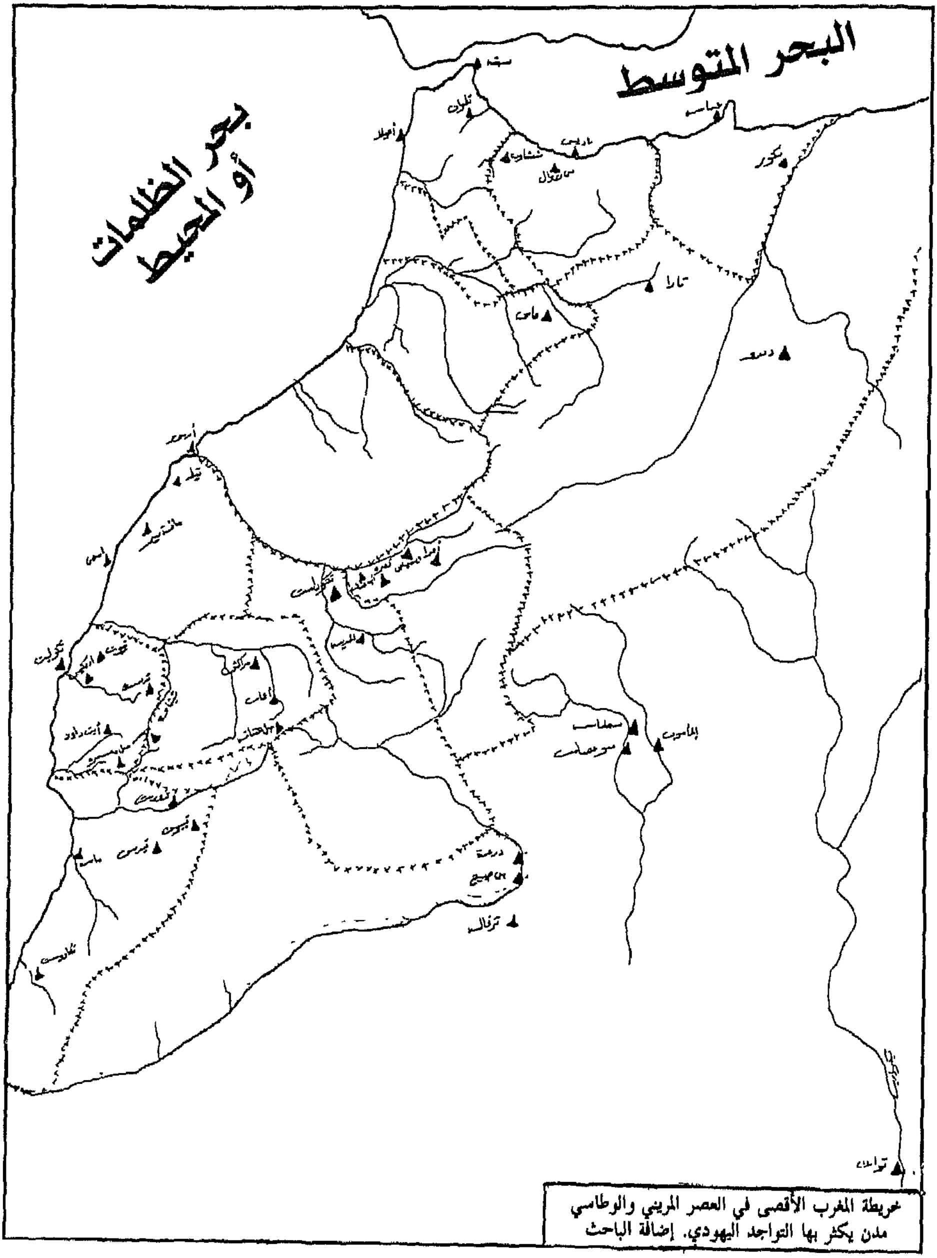
أبو زيان محمد بن فارس أبي عنان (ولي ثم عزل في الحال). (759هـ/1357م)

12 - محمد السعيد بن أبي عنان (وعمره خمس سنوات) (759 - 760هـ/1357 - 1358م)
13 - أبو سالم ابراهيم بن علي (760 - 762هـ/1358 - 1360م)
14 - أبو عامر تاشفين بن علي (762 - 763هـ/1360 - 1361م)
15 - عبد الحليم بن أبي علي عمر (763 هـ/ 1361) (انفرد بسجلماسة) منذ ربيع الأول سنة 763هـ)

16 ـ أبو زيان محمد (الثاني) المنتصر بن أبي عبد الرحمن (763 ـ 768هـ/1361 ـ 1372م)
17 ـ أبو فارس عبد العزيز المستنصر بن علي (768 ـ 774هـ/1372 ـ 1372م)
18 ـ أبو زيان محمد (الثالث) السعيد بن عبد العزيز (774 ـ 776هـ/1372 ـ 1374م)
19 ـ أ) أبو العباس أحمد المستنصر بن ابراهيم (776 ـ 786هـ/1374 ـ 1384م) ومعه
ب) عبد الرحمن أبو يفلوسن (776 ـ 784هـ/1374 ـ 1382م) (بمراكش وفي عام 784هـ/ 1382م انفرد أبو العباس أحمد بسائر المغرب
20 ـ موسى بن أبي عنان، المتوكل على الله أبو فارس (786 ـ 788هـ/1384 ـ 1386م)
21 ـ أبو زيان محمد المنتصر بالله بن أحمد (مدة حكمه 43 يوماً) (788هـ/1386م).
22 ـ أبو زيان محمد (الرابع) الواثق بالله أبي الفضل المستنصر «للمرة الثانية» (788 ـ 796هـ/1386 ـ 1393م)
23 ـ أبو فارس بن أحمد (796 ـ 799هـ/1393 ـ 1396م)
24 ـ عبد العزيز بن أحمد (799 ـ 800هـ/1396 ـ 1397م)
25 ـ عبد الله بن أحمد (800 ـ 801هـ/1397 ـ 1398م)
26 ـ أبو سعيد عثمان (الثاني) بن أحمد (801 ـ 831هـ/1398 ـ 1427م)
27 ـ أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان (الثاني) (831 ـ 869هـ/1427 ـ 1464م)
ـ قتل في رمضان 869 هـ وكان آخر أبناء عبد الحق المريني (831 ـ 869هـ/1427 ـ 1464م)
ـ ثم ولي الأمر نقيب الشرفاء أبو عبد الله محمد العمراني الجوطي المعروف بالحفيد في عام (869 ـ 876هـ/1464 ـ 1471م)

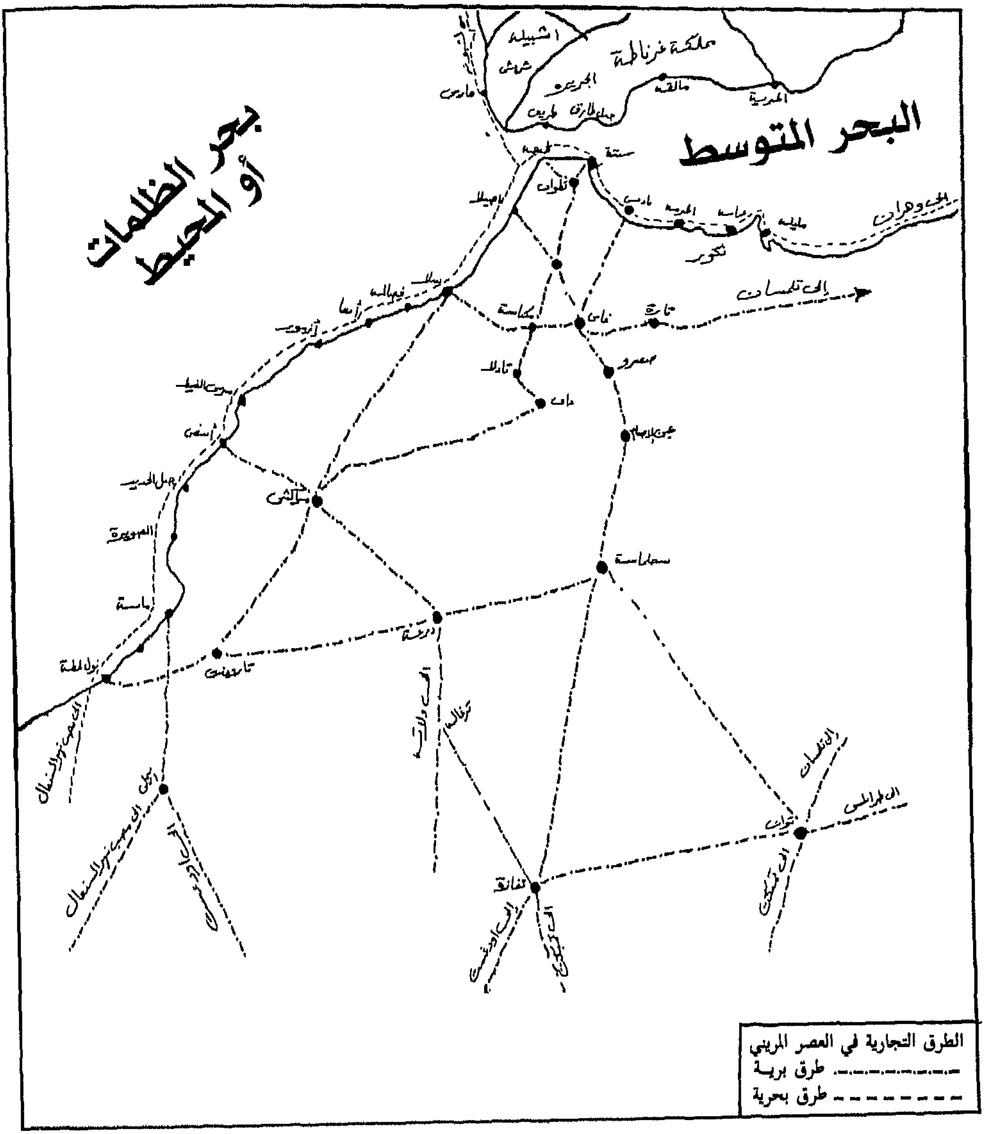
جدول بأسماء الحكام الوطاسيين:

1 ـ أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي (876 ـ 910هـ/1471 ـ 1504م)
2 ـ محمد بن محمد الشيخ بن أبي زكريا الوطاسي المعروف بمحمد البرتقالي (910 ـ 932هـ/1504 ـ 1526م)
3 ـ أبي الحسن علي بن محمد المعروف بأبي حسون (932هـ/ 1526) (للمرة الأولى تولى عدة أشهر).
4 ـ أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ (932 ـ 956هـ/ 1526 ـ 1549م) (انتهى حكمه عام 956هـ عندما دخل محمد الشيخ السعدي فاس وقضى على حكمه.
5 ـ أبو الحسن علي بن محمد المدعو أبو حسون للمرة الثانية، استمر من شهر صفر إلى شوال ودخل محمد الشيخ فاس مرة أخرى وقتله. (961هـ/ 1554م).
وبذلك انتهى حكم بن مرين وبني وطاس للمغرب الأقصى.

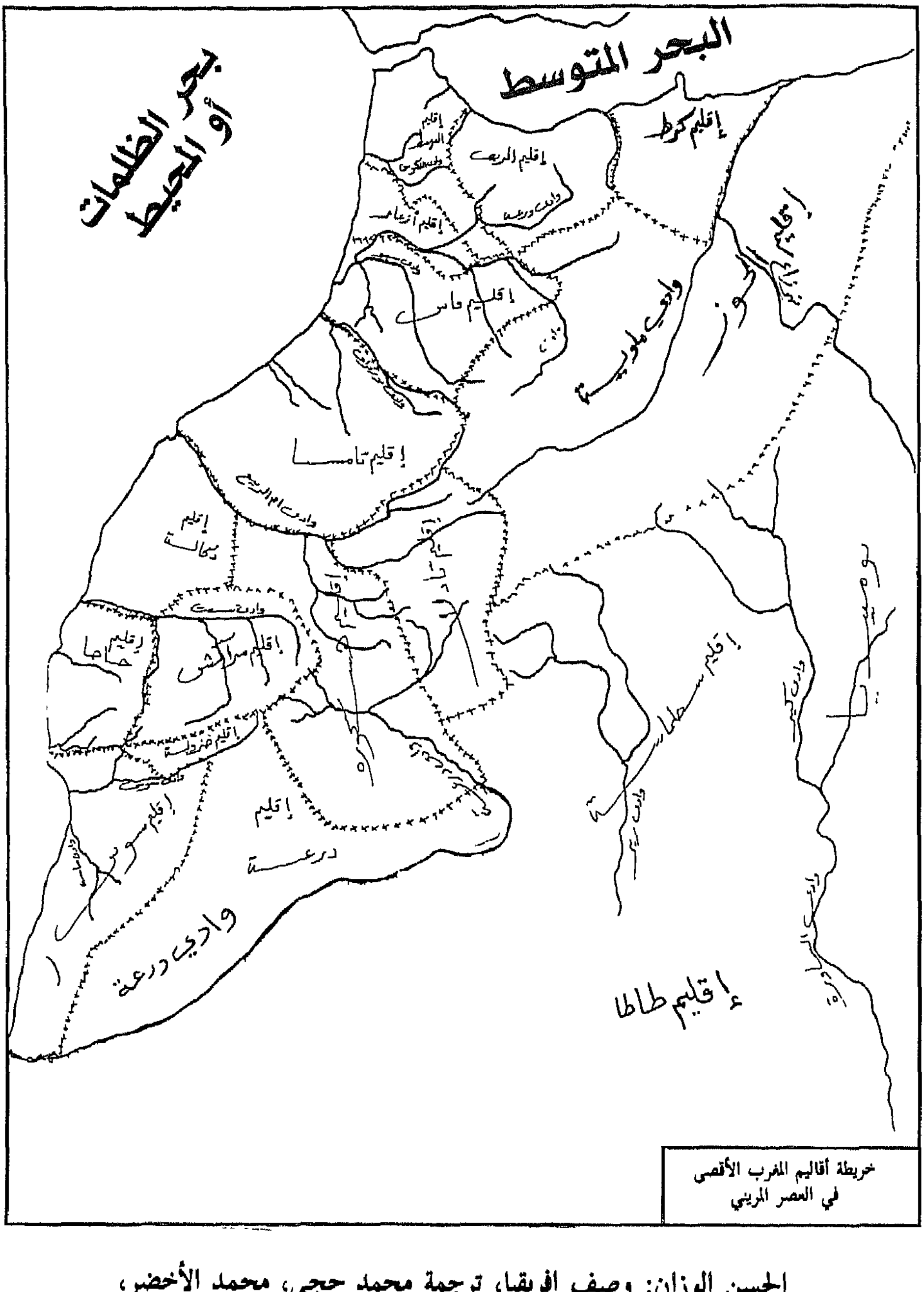


خريطة المغرب الأقصى في العصر المريني والوطاسي
مدن يكثر بها التواجد اليهودي. إضافة الباحث

الحسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر،
دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت 1983 ، ص93 ، 192 .

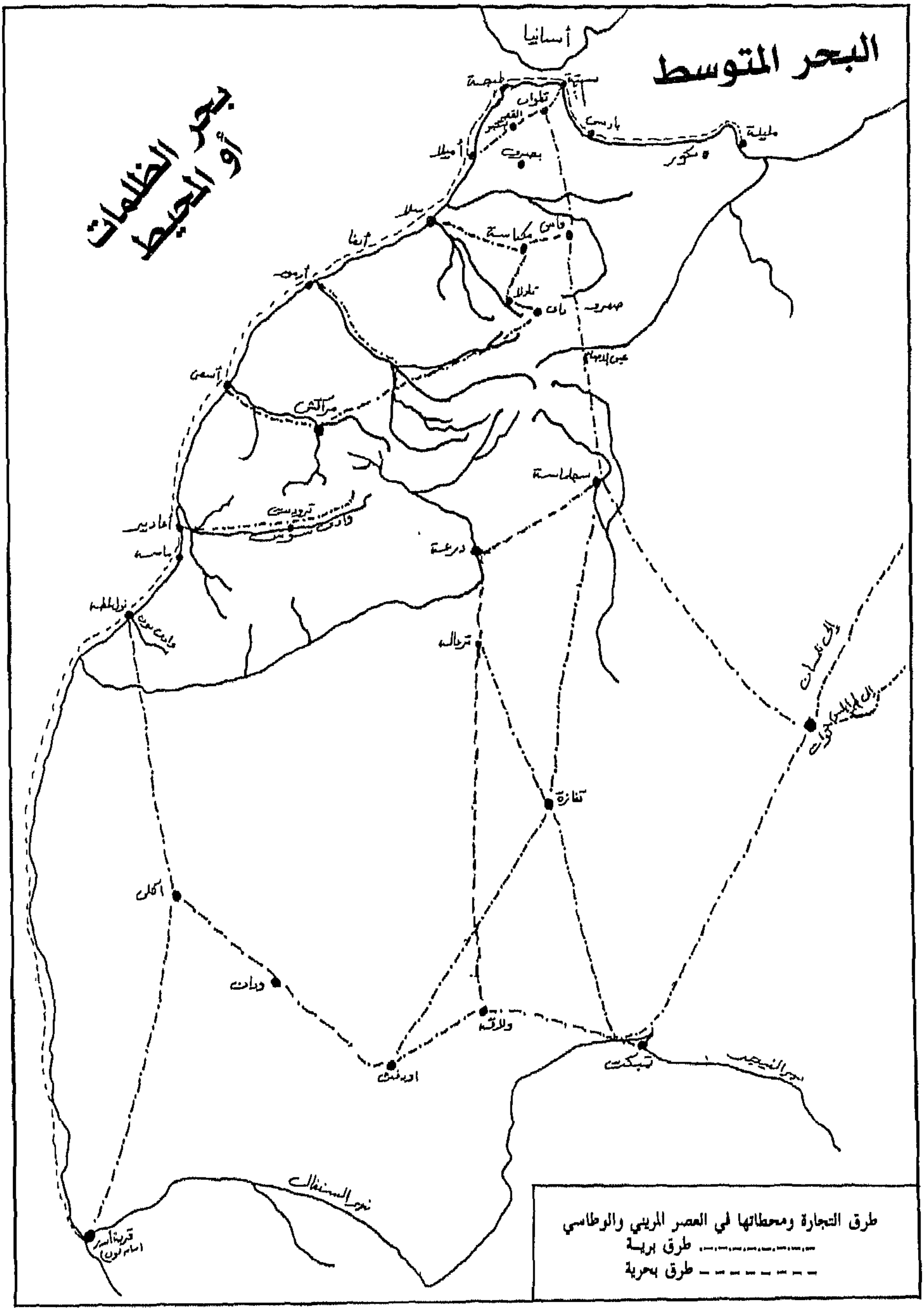


محمد حجي: الحركة الفكرية، جـ 2 ص661 (بتصرف).



خريطة أقاليم المغرب الأقصى
في العصر المريني

الحسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983 ، ص192 ,193 .



محمد حجي: الحركة الفكرية، جـ 2 بعد ص661 (بتصرف).

المصادر ـ المراجع

أولاً: المخطوطات:

1 ـ الجوطي: (ت 1099هـ/ 1687م) أبي أحمد بن عبد القادر ابن عبوا الشهير بحسن الجوطي.

ـ تأليف في أنساب الشرفاء الذين لهم شهرة بفاس.

مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط. (رقم 1442 تاريخ).

2 ـ ابن شاهين: (ت 920هـ/1514م) عبد الباسط بن خليل بن شاهين.

ـ الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثالث تحت رقم (2403 تاريخ تيمور) 50703 ميكروفيلم.

3 ـ أبي عسكر: (ت 986هـ/ 1578م) أبي عبد الله بن علي بن محمد ابن مصباح عرف بابن عساكر الشفشاوي.

ـ دوحة الناشر من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1626 تاريخ).

4 ـ ابن غازي: (ت 919هـ/ 1513م) ابن عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي.

ـ الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1686 تاريخ).

5 ـ ابن مرزوق: (ت 781هـ/ 1379م) محمد بن مرزوق الأكبر التلمساني.

ـ المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن.

مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة

العامة بالرباط (رقم 645 تاريخ).
6 - مجهول: توفي في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي.
- ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين.
مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1637 تاريخ).
7 - عبد القادر الفاسي: (ت 1096هـ/ 1684م) أبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر الفاس.
- لمحة في تاريخ دولة الشرفاء. مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1954 تاريخ).

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:

1 - القرآن الكريم.
2 - الكتاب المقدس.
3 - الأبشيهي: شباب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي (ت 850هـ/ 1446م).
- المستطرف في كل فن مستظرف، المكتبة التجارية، القاهرة بدون تاريخ.
4 - ابن إياس: محمد بن أحمد بن اياس الحنفي (ت 930هـ/ 1524م).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الخامس تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984 .
5 - الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس (ت 558هـ/ 1162م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول والثاني، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1994 .
6 - ابن الأثير: علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت 630هـ/ 1223م).
- الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1966 .
7 - الأصطخري: (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه)
- المسالك والممالك - ليدن 1889 .
8 - الأصطخري: ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي).
- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1961 .

9 ـ ابن أبي زرع: أبو حسن بن عبد الله الفاسي (ت 720هـ/ 1320م).
ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الرباط 1982 .
ـ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة الورقية الرباط 1972 .
10 ـ ابن الأحمر: أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر (ت 807هـ ـ 1404م).
ـ النفحة النسرينية واللمحة المرينية، حققه وقدم له الدكتور عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق 1992 .
ـ بيوتات فاس الكبر، الرباط 1972 .
ـ روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثانية الرباط 1991م.
11 ـ أورسيوس: (ولد فيما بين سنة 380/375م).
ـ تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة. حققها وقدم لها د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982م.
12 ـ ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي عرف بابن الأخوة (ت 729هـ/ 1329م).
ـ معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق د./ محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1976م.
13 ـ ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت 779هـ/ 1369م).
ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت 1993 .
14 ـ بنيامين التطيلي: الرحالة الربي بنيامين بن بونة التطيلي الأندلسي.
ـ رحلة بنيامين 561هـ/ 569هـ، ترجمة وتعليق عزرا حداد بغداد 1384هـ.
15 ـ البكري: أبو عبيد (ت 487هـ/ 1094م).
ـ المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى بغداد.
ـ جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الرشاد، بيروت 1968 .
16 ـ ابن تغري: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م).
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثامن نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.

17 ـ التنبكتي: أحمد بابا (ت 1036هـ ـ 1626م).
ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا 1989 .
18 ـ الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر البصري (ت 255هـ/ 869م).
ـ التبصر بالتجارة، تحقيق ونشر حسن حسني عبد الوهاب، دمشق 1932 .
19 ـ الجزنائي: أبو الحسن علي (ت أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)
ـ زهرة الاس في بناء مدينة فاس، المطبعة الكلية، الرباط 1967 .
20 ـ ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م).
ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1959 .
21 ـ ابن حزم: (ت 456هـ/ 1063م).
ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، بدون تاريخ.
22 ـ الحكيم: أبو الحسن علي بن يوسف (ت في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي).
ـ الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، حققه وذيله جامع مفردات د./ حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1986 .
23 ـ الحميري: محمد عبد المنعم (تمام جمعه 866هـ/ 1463م).
ـ الروض المعطار في خير الأقطار، حققه د./ إحسان عباس، مكتبة لبنان 1984م.
24 ـ الحسن الوزان: ابن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليو الأفريقي (ت 957هـ/ 1550م).
ـ وصف أفريقيا، ترجمه من الفرنسية إلى العربية الدكتور عبد الحميد حميدة، وراجعه الدكتور علي عبد الواحد وافي، نشر المملكة العربية السعودية، الرياض 1979 .
25 ـ ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغداد (ت 367هـ/ 977م).
ـ صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ.
26 ـ ابن الخطيب: لسان الدين (ت 776هـ/ 1364م)
ـ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق د./ أحمد مختار العبادي، مراجعة د./ عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف مصر، بدون تاريخ.
ـ مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، تحقيق عبد المجيد التركي، دراسات ووثائق، المؤسسة

الوطنية لكتاب الجزائر 1987 .
27 ـ ابن خلدون: عبد الرحمن (ت 808هـ/ 1405م).
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت 1983م.
28 ـ الدمشقي: شمس الدين بن عبد الله محمد ابن أبي طالب الأنصاري (ت 727هـ/ 1326م).
ـ الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1977 .
29 ـ أبو الوليد بن رشد: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي (ت 595هـ/ 1198م).
ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، راجع أصوله وعلق عليه، عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار الكتب الإسلامية، القاهرة 1983م.
ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، مصر 1983 .
30 ـ الزبيدي: أبي بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ/ 989م).
ـ طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر 1984 .
31 ـ الزركشي: أبو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت 894هـ/ 1488م).
ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة بتونس، 1966 .
32 ـ الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ/ 1143م).
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المجلد الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1977 .
33 ـ ابن سلام: أبي عبيد القاسم (ت 224هـ/ 838م).
ـ كتاب الأموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر، القاهرة 1981 .
34 ـ السبتي: محمد بن الأنصاري (انتهى من تأليفه 825هـ/ 1421م).
ـ اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار، حققه عبد الوهاب بن منصور، الرباط 1969 .
35 ـ ابن سعيد المغربي: أبي الحسن علي بن موسى (685هـ/ 1286م).

- كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة الثانية 1982 .
36 - ابن سيد الناس: (ت 734هـ/ 1333م).
- المقامات العلية في الكرامات الجلية، تقديم وتحقيق عفت وصالة حمزة، دار الملاح للطباعة والنشر، القاهرة 1986 .
37 - السموأل: ابن يحيى المغربي «الحبر شموائيل بن يهوذا بن أبوان (ت 570هـ / 1174م).».
- إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم تقديم وتحقيق د./ محمد عبد الله الشرقاوي، المملكة العربية السعودية، الرياض 1407هـ.
38 - السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/ 1505م)
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جـ1 ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1 ، القاهرة 1964 .
39 - السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت 1315 هـ 1897م).
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الثالث والرابع دار الكتاب، الدار البيضاء 1954 .
40 - الشافعي: أبي عبد الله محمد بن أدريس (ت 204هـ/ 819م).
- الأم، الجزء الرابع، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون تاريخ.
41 - الشهرستاني: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/ 1153م).
- الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1976 .
42 - الشيزري عبد الرحمن بن نصر (ت 589هـ/ 1193م).
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام على نشره د. السيد الباز العريني، بإشراف محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1946 .
43 - الصيرفي: علي بن داود الجوهري (ت 900هـ/ 1494م).
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق د./ حسن حبشي، دار الكتب 1971 .
44 - الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م).
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة 1971 .

- جامع البيان في تفسير القرآن، جـ 10 ، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة 1327 .
45 - ابن عابدين: محمد أمين (ت 1252هـ/ 1836م).
- رد المحتار على الدر المختار، الجزء الثالث، القاهرة بدون تاريخ.
46 - ابن عذارى المراكشي: أبو العباس أحمد بن حمد (ت القرن 7 هـ/ 13م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول والثالث، تحقيق جس كولان، ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، بيروت 1983 .
47 - أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي (ت 732هـ/ 1333م).
- تقويم البلدان، مكتبة المثنى بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، بدون تاريخ.
48 - القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القاهري (ت 821هـ/ 1418م).
- صبح الأعشى في صناعة الانشا الجزء الخامس، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، بدون تاريخ.
49 - ابن القيم الجوزية: شمس الدين ابن علي محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/ 1315م).
- أحكام أهل الذمة، حققه وعلق حواشيه، طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 .
50 - القرطبي: أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ/ 1272م).
- الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثامن، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967 .
51 - قدامة بن جعفر: ابن زياد (ت 329 هـ/ 940م).
- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق د/ حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق 1981 .
52 - ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن عمر (ت 774هـ/ 1372م).
- البداية والنهاية، الجزء الثالث، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
53 - الكراسي: محمد (ت 964هـ/ 1556م).
- عروسة المسائل فيما لبنى وطاس من الفضائل، تقديم عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط 1963 .
54 - الماوردي: ابن الحسن علي بن حمد بن حبيب (ت 450هـ/ 1058م).
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1973م.
- المضاربة، تحقيق عبد الوهاب حواس دار الوفاء، القاهرة 1989 .

- قوانين الوزارة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ومحمد سليمان داوود مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة 1978 .
55 - مجهول: الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حقق النص وعلق عليه الدكتور/ سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، دمشق 1981 .
56 - مجهول: (أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري).
- الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1979 .
57 - مارمول كربخال: (ألف الكتاب في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي).
- أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، الجزء الأول، مطابع المعارف الجديدة، المغرب 1984 . الجزء الثاني والثالث، دار المعرفة، المغرب 1988 ، 1989 .
58 - المراكشي: عبد الواحد (ت 647هـ/ 1249م).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1963 .
59 - المغيلي: محمد بن الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ/ 1503م).
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974 .
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم وتحقيق، رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1968 .
60 - المالقي: ابن عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي (ت 1684/1096م).
- في آداب الحسبة، تحقيق د./ حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت 1987 .
61 - المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1442م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1987 .
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة الجزء الثاني، القسم الأول، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1971 .
62 - المقري: أحمد بن محمد (ت 1041هـ/ 1631م).
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الثالث، تحقيق د./ إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968 .
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا (وآخرون) دار لجنة التأليف

والترجمة والنشر، القاهرة 1939 .
63 ـ ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ/ 1311م).
ـ لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.
64 ـ ابن القاضي: أحمد بن القاضي المكناس (ت 960هـ/ 1552م).
ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الوطنية، الرباط 1973 .
65 ـ المرتضى: أحمد بني يحيى (ت 840هـ/ 1437م).
ـ طبقات المعتزلة، عنيت بتحقيقه، سوسنة ديفلد ـ فلزر ـ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
66 ـ مجمع اللغة العربية: ـ المعجم الكبير حرف الباء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981 .
67 ـ الونشريسي: أحمد بن يحيى (ت 914 هـ/ 1508م).
ـ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، نشر وتحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 .
68 ـ ابن هشام: أبو أحمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 218هـ/)
ـ السيرة النبوية/ جـ 3 تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1955 .
69 ـ أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم (ت 182 هـ/ 799م).
ـ كتاب الخراج، نشر محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة بدون تاريخ.
70 ـ ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت 626هـ/ 1228م).
ـ معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
71 ـ يحيى ابن آدم القرشي: (ت 203هـ/ 818م).
ـ الخراج، حققه د. حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1987 .
72 ـ يحيى بن عمر: (ت 289هـ/ 901م).
ـ النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب راجعه وأعده للنشر فرحات الدثراوي، الشركة التونسية للتوزيع 1975 .
73 ـ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر (ت 284هـ/ 897م).ـ
ـ البلدان، (على هامش كتاب الأعلام النفيسة) طبع ليدن 1893 .

ثالثاً: المراجع العربية:

1 ـ ابراهيم القادري بوتشيش (دكتور).

ـ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت 1993 .

ـ الاسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة 1995 .

2 ـ ابراهيم حركات: (دكتور).

ـ المغرب عبر التاريخ، الجزء الثاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1984 .

3 ـ ابراهيم نصحي: (دكتور).

ـ مصر في عهد البطالمة الجزء الأول، الأنجلو مصرية، القاهرة 1980 .

4 ـ ابراهيم طرخان: (دكتور).

ـ مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1973 .

ـ القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958 .

5 ـ أحمد أمين:

ـ فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1978 .

6 ـ أحمد أبو الخير: (دكتور).

ـ الصرف العربي قراءة أصواتية، جـ 1 القاهرة 1990 .

7 ـ أحمد عبد المنعم حسن: (دكتور).

ـ تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين علي ابن يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية 1986 .

8 ـ أحمد مرسي: فاروق محمد جودي: (دكتوران).

ـ الفلوكلور والاسرائيليات، دار المعارف مصر 1977 .

9 ـ أحمد عيسى: (دكتور).

ـ معجم الأطباء، من 65هـ إلى يومنا هذا، ذيل على عيون الأطباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة دار الرائد العربي، بيروت 1982 .

10 ـ أحمد السليماني:

ـ تاريخ مدينة الجزائر، ديوان عام للمطبوعات، الجزائر، بدون تاريخ.

11 ـ آدم عبد الله الألوري:

ـ الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار العربية بيروت 1971 .

12 ـ آدم متز:

ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريدة،

دار الكاتب العربي، بيروت 1967 .
13 - إسرائيل ولفنسون:
- موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 .
14 - اسرائيل شاحاك:
- الديانة اليهودية وموقفها من اليهود، ترجمة حسن خضر، سينا للنشر، القاهرة 1994
15 - أسعد رزق: (دكتور).
- التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز أبحاث بيروت 1970 .
16 - ألفرد بل:
- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة د./ عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي 1969 .
17 - الأب شابو:
- اللغات الآرامية وآدابها، تعريب أنطوان شكري لورنس، مطبعة دير مار مرقس للسريان بالقدس 1930 .
18 - الأب متى المسكين:
- الروح القدس، مطبوعات دير الأنبامقار وادي النطرون، القاهرة 1981 .
19 - سبتينو موسكاني:
- الحضارات السامية القديمة، ترجمة د./ السيد يعقوب بكري دار الرقي، بيروت 1986 .
20 - بوفيل:
- المماليك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبري، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1968 .
21 - بوزياني الدراجي:
- نظم الحكم في دولة عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993 .
22 - بيري أندرسون:
- دولة الشرق الاستبدادية، ترجمة بديع عمر نظمي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1983 .
23 - توفيق الطويل: (دكتور)
- قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر الطبعة الثانية، القاهرة 1958 .
24 - م. ب. تشارلز وورث:
- الامبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجس، راجعه الدكتور محمد صقر

خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة 1961 .
26 ـ جرجي زيدان:
ـ تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة الهلال، القاهرة 1903
27 ـ جدع جلادي:
ـ اسرائيل نحو الانفجار من الداخل، دار البيادر، القاهرة 1988 .
28 ـ جلانفيل دواني:
ـ أنطاكية القديمة، ترجمة د./ ابراهيم نصحي، نهضة مصر، القاهرة 1963 .
29 ـ جمال حمدان: (دكتور).
ـ اليهود أنثربولوجيا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967 .
30 ـ جورج رو:
ـ العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1986 .
31 ـ س. د. جواتياين:
ـ دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق الدكتور عطية القوصي، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت 1980 .
32 ـ جيمس هنري برستد:
ـ فجر الضمير، ترجمة د./ سليم حسن، عمر الاسكندري، علي أدهم، مكتبة مصر، القاهرة 1977 .
33 ـ جون واتر بوري:
ـ الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة: ماجد نعمة وعبود عطية، دار الوحدة، بيروت 1982 .
34 ـ حاييم زعفراني:
ـ ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، دار الثقافة، المغرب، ترجمة أحمد شملان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، المغرب 1987 .
35 ـ حسن السائح:
ـ الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، المغرب، بدون تاريخ.
36 ـ حسن كامل الملطاوي:
ـ فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1973 .
37 ـ حسن ظاظا: (دكتور)

- الفكر الديني أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق 1987 .
- أبحاث في الفكر الديني اليهودي: دار القلم، دمشق 1987 .
- اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، القاهرة 1971 .
38 - حسن بيرنا:
- تاريخ ايران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة د. محمد نور الدين عبد المنعم، د./ السباعي محمد السباعي مراجعة وتقديم د./ يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1979م.
39 - حسين مؤنس: (دكتور)
- فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب، القاهرة 1947 .
- عالم الإسلام، دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية، دار المعارف، مصر 1973 .
- كيف نفهم اليهود، سلسلة كتابك عدد 50 ، دار المعارف، مصر 1978 .
40 - ديلاس أولبري:
- الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة دكتور تمام حسان د./ محمد مصطفى حلمي، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.
41 - دوزو زسانتوس:
- يوميات رحلة فاسكوداجاما، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1995 .
42 - زكي شنودة:
- المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
43 - رجينا الشريف:
- الشخصية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد العزيز، عالم المعرفة عدد 96 ، الكويت 1985 .
44 - م. رستو فتزف:
- تاريخ الامبراطورية الرومانية «الاجتماعي والاقتصادي» الجزء الأول المتن ترجمة ومراجعة زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.
45 - رضوان البارودي: (دكتور)
- أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة 1990 .
46 - رولاند أوليفر:

- موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة د./ دولت صادق، مراجعة الدكتور محمد السيد غلاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965 .
47 ـ روجيه لوتورنو:
- فاس في عصر بني مرين، ترجمة د./ نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت 1967 .
48 ـ زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة د./ زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة 1951 .
49 ـ الزركلي:
- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1986 .
50 ـ ستانلي لينبول:
- سيرة القاهرة، ترجمة د./ حسن ابراهيم حسن، د./ علي ابراهيم حسن، ادوار حليم، مكتبة النهضة المصرية، ط4 القاهرة 1950 .
- طبقات سلاطين الإسلام، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت 1986 .
51 ـ السيد سابق:
- فقه السنة، الجزء الثالث، مكتبة دار التراق، القاهرة، بدون تاريخ.
52 ـ سليم حسن: (دكتور)
- مصر القديمة، الجزء السادس عشر، القاهرة، بدون تاريخ.
53 ـ سلام خياط:
- البغاء عبر العصور أقدم مهنة في التاريخ، رياض الريس للنشر، لندن 1992 .
54 ـ السيد محمود القنمي: (دكتور)
- الأسطورة والتراث، سينا للنشر، القاهرة 1994 .
55 ـ السيد طه السيد أبو سديرة: (دكتور)
- الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991 .
56 ـ سيدي عبد المجيد بكر:
- الأقليات المسلمة في أفريقيا، دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدرها إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة 1405هـ.
57 ـ السيد محمد عاشور:
- الربا عند اليهود، بدون ناشر، القاهرة، 1972 .
58 ـ سعيد المغربي:

ـ ظاهرة تعاطي الحشيش، دراسة نفسية اجتماعية، دار المعارف، القاهرة 1963 .
59 ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: (دكتور)
ـ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة 1962 .
60 ـ سعدون عباس نصر الله: (دكتور)
ـ دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت 1985 .
61 ـ سليم شعشوع:
ـ العصر الذهبي، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، تل أبيب 1979
62 ـ سونيا. ي. هاو:
ـ في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، راجعه د./ محمود النحاس مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة 1957 .
63 ـ سيدة كاشف اسماعيل (دكتورة)
ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 .
64 ـ شارل ديل:
ـ البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، توفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة 1947 .
65 ـ شارل أندريه جوليان:
ـ تاريخ شمال أفريقية، الجزء الأول، تعريب محمد مزالي، البشير سلامة الدار التونسية للنشر، تونس 1969 .
66 ـ شفيق مقار:
ـ السحر في التوراة العهد القديم، رياض الريس للكتب والنشر، لندن 1990 .
67 ـ الشيخ الأمين عوض الله:
ـ العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي بجدة 1979 .
68 ـ صموائيل أتينجر:
ـ اليهود في البلدان الإسلامية (1850 ـ 1950) ترجمة د./ جمال أحمد الرفاعي، رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة عدد 197 ، الكويت 1995 .
69 ـ صالح محمود صالح:
ـ الإنسانية والصهيونية والتلمود، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت 1982 .
70 ـ ضياء الدين الريس: (دكتور)

- الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1961 .
71 ـ الطيب محمد حمادي:
- اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1994 .
72 ـ طوبيا سمحاه ليفي بابوفيتش: (حاخام)
- روش بناه (رأس الزاوية) نشأة مذهب القرائين. دار الشرع للاسرائيليين القرائين بمصر 1947 .
73 ـ عادل بشتاوي:
- الأندلسيون المواركة، دارسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، بدون ناشر، القاهرة 1983 .
74 ـ عبد العزيز بن عبد الله:
- مظاهر الحضارة المغربية، القسم الأول دار السلمى، الدار البيضاء 1957.
- تاريخ الحضارة المغربية، دار السلمى، الدار البيضاء 1963.
75 ـ عبد المنعم الحفني: (دكتور)
- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، دار المسيرة، بيروت 1980 .
76 ـ عبد القادر جغلول: (دكتور)
- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم، والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1982 .
77 ـ عبد الرازق أحمد قنديل: (دكتور)
- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث، القاهرة 1984 .
78 ـ عبد الرحمن بدوي (دكتور)
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، دار النهضة العربية، القاهرة 1965 .
79 ـ عبد العزيز عبد الجليل: (دكتور)
- مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، عالم المعرفة عدد 65 ، الكويت 1983 .
80 ـ عبد القادر زبادية:
- الحضارة العربية والتأثير الأوربي في أفريقيا الغربية، جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1982 .
81 ـ عبد الكريم كريم: (دكتور)
- المغرب في عهد الدولة السعدية، الرباط، المغرب 1977 .

82 ـ عبد الكريم دهينة: (دكتور)
ـ الأضرحة وترك الاعتقاد، دار النور المحمدي، القاهرة 1993 .
83 ـ عبد المجيد عابدين: (دكتور)
ـ بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
84 ـ عبد المنعم ماجد: (دكتور)
ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ثالثة، القاهرة 1973 .
85 ـ عبد الهادي التازي: (دكتور)
ـ التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع (عهد بني مرين والوطاسيين)، المغرب 1988 .
ـ الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، الطبعة الأولى، المغرب 1984 .
86 ـ عبد الوهاب بن منصور:
ـ مناقب أهل الصحراء في تشييد صرح الدولة المغربية الغراء، الرباط 1975 .
ـ قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط 1968 .
87 ـ عبد الله العروي: (دكتور)
ـ تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة د. /ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1977 .
88 ـ عبد الوهاب محمد المسيري: (دكتور)
ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام، القاهرة 1975 .
ـ الأيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، الجزء الأول، عالم المعرفة عدد 60 الكويت 1982 .
89 ـ عبد السلام الترمانيني: (دكتور)
ـ الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، عدد 23 الكيوت 1979
90 ـ عثمان الكعاك: (دكتور)
ـ الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة 1965 .
91 ـ عطية مشرفة: (دكتور)
ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة 1948 .
92 ـ عز الدين أحمد موسى: (دكتور)

- النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة 1983 .
93 - علي عبد الواحد وافي: (دكتور)
- اليهود واليهودية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة بدون تاريخ.
94 - غوستاف لوبون:
- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1964 .
95 - فتحية النبراوي: (دكتورة)
- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة 1981 .
96 - فيجي، جي دي:
- تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة د./ السيد يوسف نصر، راجعه د./ بهجت رياض صليب، دار المعارف، الطبعة الأولى 1982 .
97 - فيليب فارح، يوسف كرباج:
- المسيحيون واليهود في التاريخ العربي والتركي، ترجمة بشير السباعي. - سينا للنشر، القاهرة 1994 .
98 - فؤاد حسنين: (دكتور)
- التوراة هيروغليفية، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
99 - قاسم عبده قاسم: (دكتور)
- اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1987 .
- أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة 1977 .
- ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط، المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة 1982 .
100 - كونتو:
- الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه طه حسين، الناشر مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، بدون تاريخ.
101 - كيرلس كيرلس: (قس)
- أصوامنا بين الماضي والحاضر، أصولها الروحية والتاريخية، طبع على نفقة المؤلف، القاهرة 1982 .
102 - كمال أبو مصطفى: (دكتور)
- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي

من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، دار نشر الثقافة الاسكندرية، 1991 .
103 ـ كلود كاهن:
ـ تاريخ الشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية ترجمة د./ بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت 1983 .
104 ـ ليفي بروفنسال:
ـ الإسلام في المغرب والأندلس: ترجمة د./ عبد العزيز سالم، راجعه د./ لطفي عبد البديع، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.
ـ آداب الأندلس وتاريخها، ترجمة عبد الهادي شعيرة، راجعه عبد الحميد العبادي، القاهرة 1951 .
105 ـ ليوتاكسل:
ـ التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة د./ حسان ميخائيل، بدون ناشر، الطبعة الأولى 1994 .
106 ـ كارل ماركس:
ـ حول الهند والجزائر، تعريف شريف الدفوني، دار ابن خلدون، بيروت 1980.
107 ـ ماير:
ـ الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيني، مراجعة د./عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972 .
108 ـ محمد أبو الفتوح: (دكتور)
ـ علم الصرف دراسة وصفية، دار المعارف القاهرة 1986 .
109 ـ محمد الشريف:
ـ سبتة الإسلامية، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، تقديم د./ محمد بن عبود، منشورات جمعية تطوان، المغرب 1996 .
110 ـ محمد أمين صالح: (دكتور)
ـ النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة الشرق، القاهرة 1984 .
111 ـ محمد بحر: (دكتور)
ـ اليهود في الأندلس، المكتبة الثقافية عدد 237 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970 .
112 ـ محمد المغربي: (دكتور)
ـ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر، العراق 1982 .

113 ـ محمد الهواري: (دكتور)
ـ الاختلافات بين القرائين والربانين في ضوء أوراق الجنيزا، قراءة في مخطوطة بودليان بأكسفورد، الزهراء، القاهرة 1984 .
114 ـ محمد جلا: (دكتور)
ـ التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي، القاهرة 1993 .
115 ـ محمد الحبيب بن خوجة: (دكتور)
ـ يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1973 .
116 ـ محمد حجي: (دكتور)
ـ الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، جزءان، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، المغرب 1978.
117 ـ محمد سعيد العشماوي (دكتور)
ـ الربا والفائدة في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة 1988.
118 ـ محمد عيسى الحريري: (دكتور)
ـ تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت 1985.
ـ مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، الدولة الرستمية، دار القلم، الكويت 1983.
119 ـ محمد عبد الله عنان:
ـ نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1949.
120 ـ محمد عادل عبد العزيز: (دكتور)
ـ التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983.
121 ـ محمد بن عبد السلام بن عبود:
ـ تاريخ المغرب، الجزء الأول، دار الطباعة المغربية، تطوان 1957.
122 ـ محمد غلاب: (دكتور)
ـ الفلسفة الإسلامية في المغرب، جمعية الثقافة الإسلامية، القاهرة 1948 .
123 ـ محمد فؤاد عبد الباقي:
ـ المعجم المفهرس، لألفاظ القرآن الكريم، دار الريان للتراث، القاهرة 1987 .
124 ـ محمد رزوق: (دكتور)
ـ الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ـ 17م، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 1991 .
125 ـ محمود اسماعيل: (دكتور)

- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، جزءان، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، القاهرة 1988
سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، الجزء الثالث، سينا للنشر، القاهرة 1995 .
126 ـ محمود العابدي: (دكتور)
- قدسنا: معهد البحوث والدراسات العربية العالية، القاهرة 1972 .
127 ـ محمود قاسم: (دكتور)
- دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة 1973 .
128 ـ مراد فرج:
- القراؤون والربانيون، القاهرة 1918 .
129 ـ مراجع عقيلة: (دكتورة)
- سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا 1975 .
130 ـ موريس لومبار:
- الإسلام في مجده الأول، ترجمة اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، طبعة أولى، الجزائر 1979 .
131 ـ مصطفى سويف: (دكتور)
- المخدرات والمجتمع نظرة متكاملة، عالم المعرفة عدد 205 ، الكويت 1996 .
132 ـ مصطفى كمال عبد العليم: (دكتور)
- اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968 .
133 ـ ميخائيل مكس اسكندر:
- تاريخ بنتابولي المدن الخمس الغربية، دار الثقافة، القاهرة 1987 .
134 ـ نخبة من الأساتذة:
- الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر بدون تاريخ.
135 ـ نعيم زكي: (دكتور)
- طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973 .
136 ـ نورمان كانتروا:
- التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، القسم الثاني، ترجمة د./ قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة 1983 .
137 ـ هشام أبو رملية: (دكتور)
- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس دار الفرقان، الأردن 1984 .

138 ـ الهادي روجيه ادريس:
ـ الدولة الصنهاجية (تاريخ أفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12هـ)، الجزء الثاني، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992 .
139 ـ هوبكنز:
ـ النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1980 .
140 ـ ول ديورانت:
ـ قصة الحضارة، عصر الإيمان، الجزء الثالث المجلد الرابع، جزء 14 ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1975 .
141 ـ واضح الصمد: (دكتور)
ـ الحرف والصناعات عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1981 .
142 ـ يوسف فهمي الجزائري:
ـ الجزائر أرض البطولة، الوكالة العربية للدعاية والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
143 ـ يسري عبد الرازق الجوهري: (دكتور)
ـ شمال أفريقيا دراسة في الجغرافيا الاقليمية، الهيئة العامة للتاليف والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

رابعاً: الدوريات العربية:

1 ـ ابراهيم حركات:
ـ أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعدية، جملة البحث العلمي، السنة 24 المغرب 1975 .
2 ـ أمين توفيق الطيبي: (دكتور)
ـ النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية القرن 8هـ/ 14م، مجلة البحوث التاريخية عدد 2 ليبيا 1982 .
3 ـ بوشارب أحمد:
ـ التجربة الاستعمارية بدكالة ودور بعض الفئات الاجتماعية في إرساء قواعدها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد عبدالله، فاس العدد 1 المغرب 1978 . منشورات الكلية.
4 ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: (دكتور)
ـ اليهود في العصور الوسطى، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة

. 1986

5 ـ صابر دياب: (دكتور)

ـ دراسات في عالم البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، عدد 24 ، القاهرة 1977 .

6 ـ عبد الهادي التازي: (دكتور)

ـ النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة، مخطوط أحمد بن الرجال، مجلة البحث العلمي عدد 32 المغرب 1980 .

7 ـ عبد القادر العافية:

ـ الداعية عبد الله الهابطي، مجلة دعوة الحق العدد 4 المغرب 1979 .

8 ـ عبد السلام بن سودة:

ـ حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق، عدد 1 ، 2 المغرب 1971 .

9 ـ عبد القادر زمامة:

ـ أزمة التجارة في الأندلس، مجلة الناهل، عدد 32 المغرب 1985 .

10 ـ عبد العزيز بن عبد الله:

ـ التجربة المغربية والقرصنة، مجلة تطوان، عدد 3 ، 4 ، المغرب 1958 .

11 ـ عبد العزيز كامل: (دكتور)

ـ دور اليهود في العدوان على قاعدة الإسلام في المدينة، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة 1968 .

12 ـ عبد الحميد أشنهو:

ـ الدور الذي لعبته، الجزائر في القرن 16 ، بالبحر المتوسط، مجلة الأصالة، العدد 8 ، الجزائر 1972 .

13 ـ عبد القادر زبادية: (دكتور)

ـ التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان، مجلة الأصالة العدد 26 ، الجزائر 1975 .

14 ـ فرنان برودل:

ـ من ذهب السودان إلى فضة أمريكا، بحث ضمن أبحاث في التاريخ الاقتصادي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة 1961 .

15 ـ كلود كاهن:

ـ تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة،

دار الكتب، القاهرة 1971 .
16 ـ محمد المنوني:
ـ نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، عدد 4 ، 5 ، المغرب 1965 .
ـ فاس الجديد مقر الحكم المريني، مجلة البحث العلمي عدد 11 ، 12 المغرب 1987 .
ـ وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مقتبس من «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، مجلة البحث العلمي عدد 1, المغرب 1964 .
ـ مناقشة أصول الديانات في المغرب الوسيط والحديث، مجلة البحث العلمي، عدد 13 ، المغرب 1968 .
ـ التيارات الفكرية في المغرب المريني، مجلة الثقافة المغربية، عدد 5 المغرب 1391 .
ـ ظاهرة تعريبية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية المجلدان الحادي عشر والثاني عشر مدريد 1964/1963 .
17 ـ محمد بن ثابت:
ـ إمارة ابن مشعل اليهودية، دعوة الحق عدد 1, المغرب 1980 .
18 ـ محمد عيسى الحريري: (دكتور)
ـ الوطاسيون ودورهم السياسي في المغرب الأقصى، حولية كلية دار العلوم العدد الثامن 1977/ 1978 ، القاهرة 1980 .
19 ـ محمد محمود:
ـ مدينة فاس من خلال رسائل كلينار نيكولا في القرن السادس عشر تعريب محمد محمود، مجلة البحث العلمي عدد 32 الرباط، المغرب 1981 .
20 ـ المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية، فاس من 8 ـ 18 نوفمبر عام 1959 جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية، القاهرة 1961 .

خامساً: الرسائل الجامعية

1 ـ حسن علي حسن: (دكتور)
ـ الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1973 .
2 ـ صالح محمد فياض: (دكتور)
ـ نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ـ جامعة اسكندرية 1977 .

3 ـ صالح محمد فياض: (دكتور)
ـ دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة اسكندرية.
4 ـ محمد عادل عبد العزيز ابراهيم: (دكتور)
ـ الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين، «668 ـ 869هـ/ 1269 ـ 1465م». رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ـ جامعة القاهرة 1982 .
5 ـ محمد ماهر محمد سمك:
ـ الأقلية اليهودية في المغرب دراسة في الأنتروبولوجيا السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ـ جامعة القاهرة 1993 .
6 ـ عاشور بوشامة: (دكتور)
ـ علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626 ـ 981هـ/ 1228 ـ 1573م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة 1991 .
7 ـ نوال علي عبد العزيز: (دكتورة)
ـ علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بني وطاس 869 ـ 962هـ/ 1465 ـ 1554م. رسالة دكتوراه، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة 1991 .
8 ـ وداد نصر محمد السيد الطوخي:
ـ مدينة تمبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة 1986 .

سادساً: المراجع الأجنبية

1 - Abdallah, Larawi:
- I' histoire du Maghreb am. essai de synthese. Paris 1970.
2 - Amnon, Cohen:
- Jewish life under Islam, Cambridge 1984.
3 - Adler,Elkan Roland Nathan - Jewish Travellers, London.
4 - Franz, Rosenthal:
- The Jewish Foundation of Isam. New York, 1967.
5 - Goitein:
- Studies in Islamic History and Instiutions, Leiden 1968.

6 - Jamil M. Abun - Nast:
- A history of the Maghrib, Paris 1971. Cambridge.
7 - John Edeuarde:
- The Jews in christaian. Europe 1400 - 1700. London, 1997. New York.
8 - man Jacob.
- The Jews in Egypt and palestine under Fatimid Caliphs Oxford 1920.
9 - Nev ill Barbour.
- Morocco, London 1965.
10 - Roland, Oliver and Anthany atmor
- The african middle ages,
1400 - 1800 paris 1981.
11 - Therese and Mendel Metzger.
- Jewish life in the middle ages, English.
12 - Solomon Gragzel,
- A history of the Jews,
America 1984.
13 - William C. Athinson,
A history of spain, portagal 1960.

المحتويات

اليهود في بلاد المغرب الأقصى

تبحث هذه الدراسة في تاريخ يهود المغرب خلال فترة بالغة الحساسية من تاريخ المنطقة، فترة احتدام الصراع بين ممالك اسبانيا النصرانية وممالك المغرب الإسلامي بدءاً من عهد المرابطين في القرن ١١ للميلاد. أي عهد دولتي المرينيين والوطاسيين.

وتأتي هذه الدراسة على تاريخ قدوم اليهود إلى المغرب من أماكن مختلفة عبر عدة هجرات وتوضعهم في مناطق المغرب، ثم تنتقل إلى دراسة دورهم في الحياة السياسية وعلاقتهم بالدولة والمجتمع.

وبعد ذلك تعرج على دراسة حياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية إضافة إلى دورهم في الاقتصاد. ولا يفوت هذه الدراسة ان توضح التوترات التي كانت تنشب من حين لآخر بين اليهود وبقية الفئات الاجتماعية.

دار الكلمة
سورية ـ دمشق ـ برامكة
ص. ب: 2229 ها، فا: 2126326

سورية ـ دمشق
ص. ب: 1484 ها: 4447395